دراسات كردية

مجلة فصلية تصدر عن مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية. العدد 3 صيف 2014

رئيس التحرير :

طه خليل

مدير التحرير :

شاهوز حسن

المحررون :

عدنان مصطفى

محمود خليل

القسم الفني والتصميم :

عبد الله سعدون

آزاد محمد

هەواڵنامەی کێبڕ

تتم كافة المراسلات باسم رئاسة التحرير على البريد الالكتروني التالي :

kovar.lekolin@gmail.com

لزيارة الموقع الالكتروني :

www.nrlsonline.com

العدد الثالث – صيف 2014

المحتوى

- **الكرد وتحدّي الإسلام السياسي**

د. سربست نبي..... 6

- **شبح الثورة المضادة و داعش**

بشار العيسى 14

- **حروب دولة الخلافة**

اعداد: عبدالله سعدون 25

- **العنف في الثّورة السوريّة**

د. سليمان أوزاعي 35

- **داعش ومسار الحرب السورية**

د. عبدالعزيز بن سعدى.....38

- **جمعية (خويبون)**

دلاور زنكي 43

- **الهجرة وتأثيراتها**

أعداد: خبات عثمان 50

- **الأمازيغية والعربية: في المغرب**

د.عبد الله الكروم 56

- **طوشا عامودا 1937**

فايق زورو 67

- **التناحر المجتمعي سلاح الغرب الجديد**

سلطان تمو 71

- **المرأة في السياسة والديمقراطية**

تشكي تاف.....79

- **الثورة والإعلام**

عبدالله حسو 87

- **المدخل الى العلاقة بين الطب و الاخلاق**

د. ابراهيم خليفة 91

كلمة العدد

في العدد الثالث من مجلة دراسات كردية حاولنا ان نهتم بموضوع الاسلام السياسي، والحرب في سوريا عامة وفي روج أفايي كردستان بشكل خاص، لاسيما الحرب التي يشنها تنظيم داعش على شعبنا الكردي في كانتوناته الثلاث، محاولين تفسير خلفيات هذا التنظيم وأبعاده الدولية والاقليمية والغاية من وراء هجماته الشرسة على شعبنا ومكتسبات ثورته التي حققها من خلال التضحيات الجسام.

ان الدراسات التي تناولت خلفيات الحرب والثورة في سوريا ظلت في إطارها العام حول الشكل الظاهر للحرب مغلفا بالكثير من المشاعر والعواطف التي تشتهي ما يجب ان تكون عليه الأحداث ولم تدخل الى جوهر الأحداث الجسام التي مرت بها المنطقة خلال أربع سنوات من تاريخ ما أطلق عليه عربيا " ثورات الربيع العربي " والتي تحولت فيما بعد أي بعد اسقاط انظمة تونس وليبيا ومصر الى مجرد حرب عبثية تقتل المواطن الذي ثار لكرامته وتترك الطغاة في اريحية يومهم يديرون الصراعات والحروب بين الفصائل والكتائب المختلفة التي بررت وجودها دائما لمقارعة النظام، واذ تحولت هذه المجاميع المسلحة الى أدوات رخيصة بأيدي سلطات قمعية كانت ولا تزال تتحكم بالمواطنين في هذه البلاد جعلت من الناس تتوق لـ " الايام الخوالي " وكذلك مترحمين على قمع النظام السابق لهم مقارنين بين ما يلقونه من " ثوار اليوم " وبين ما كان في السابق، فيتمنون لو بقي كل شيء على حاله ولم يهتفوا يوما في مظاهرة او يدعوا لحظة لاسقاط نظام.

بقلم :

رئيس التحرير

هدوا الناصري كرد

بدراية جهنمية وخطط دولية واقليمية واستخباراتية لعينة جعلت المواطن العربي بشكل خاص في الدول التي كانت تنتظر دورها في الثورات ان يحمد الله على قمع حاكمه الذي تعود عليه، مبتعدا قدر الإمكان عن التفكير بثورة ستجلب له سكاكين الاسلاميين وجزهم للرقاب أمام عدسات التصوير، وأمام صمت دولي مطبق، وتهجير مأساوي لا يعير له احد أهتماما او يثير شفقة منظمات تتحدث مطولا عن حقوق اللإنسان والحريات المدنية.

وفي الإطار الكردي العام هناك قلب لكل الموازين والسياسات التي بقيت على مدى سنوات تهيمن على العقل الكردي الجمعي، وانكشف عجز القوى الكردية الكلاسيكية التي امتهنت السياسة كديكور مكمل لوجاهة بعض العائلات أو الأشخاص الذين ادعوا على مدى سنوات انهم يعملون من أجل الحقوق الكردية متخبطين بين خطابات سياسية شاعرية تدغدغ مشاعر البسطاء من الناس، وحين جاءت لحظات الحسم والخيارات التاريخية اصطفت معظم تلك الفعاليات والشخصيات الى جانب أعداء الشعب الكردي مرة بحجة " وطنيات " غير واضحة ومرة تحت مسمى " البقاء في الصف الوطني العام والنضال الى جانب الاصدقاء" وكل همهم ان يوكلوا مهمة القيام بواجباتهم " الثورية والوطنية " الى جهات أخرى تعقد لهم الاجتماعات في اسطنبول وجنيف وباريس، فيلتقطون الصور التذكارية الى جانب شخصيات سياسية عالمية لينشروها فيما بعد في صفحات التواصل الاجتماعي كتحصيل حاصل لأبهة يفتقدها الكردي المعزول انسانيا و وطنيا واخلاقيا، ليستمر اشهرا جديدة على سحر الصورة الجوفاء.

وضمن هذا الجو المفعم بالفوضى والتسيب والهروب من المسؤليات الوطنية ظلت معظم الأقلام الكردية تدبج المقالات لعيني هذا وتكتب القصائد لقامة ذاك، تدافع عن الغلط، وتذهب الى أقصى حدود بيع الذمم، كتاب ومثقفون وسياسيون بالجملة تكنوا بهذه الصفات، خرجوا ليتصوروا في مظاهرة او تجمع بائس حملوا بعض الشعارات و وقفوا أمام عدسات أولادهم " ممن تسموا باسماء الناشطين والصحفيين " ثم حملوا صورهم كوثائق ثورة، ويمموا صوب المهاجر الأوربية يطالبون الأمم بحقوق في البقاء بينهم كلاجئين والعيش على ضرائبهم، ليقضوا يومهم في النوم، وليلهم أمام صفحات الانترنيت لتدبيج المقالات الرنانة في مدح الثورة وتخوين الشهداء والقابضين على جمرة الحرية، أو الظهور على شاشات التلفزيون لتقريع الثوار الحقيقيين ومدح العطالة، تفوح منهم روائح الخيانات الغابرة، وان زينهم المخرجون بخلفيات لبرج إيفيل او ساعة بيغ بن او حتى نافورة الماء الشهيرة في بحيرة جنيف.

الكرد وتحدّي الإسلام السياسي

د. سربست نبي

- مفهوم الإسلام السياسي:

مفهوم الإسلام السياسي مفهوم فضفاض ينسحب على طيف واسع من التيارات والحركات لسياسية المنظمة, التي تعتقد بالإسلام لا كمجرد دين أو معتقد آخروي, إنما أبعد من ذلك كنظام سياسي شامل للحكم. وهي تستلهم رؤيتها للحكم والسياسية من الشريعة الإسلامية التي نجد ترجمة نظرية لها لدى السنة في مفهوم (الحاكمية الإلهية) وكذلك لدى الشيعة في مفهوم (ولاية الفقيه) مثالاً.

ينسب المؤرخون إلى المستشرقين الإنكليز الفضل في صياغة مفهوم(الإسلام السياسي) الحديث لمآرب آيديولوجية واستعمارية. بالطبع هذا لايعني أن الإسلام قبل هذا التاريخ كان بمنأى عن السياسة كفكر وكممارسة, على العكس من ذلك يمكن ردّ الكثير من الخلافات التاريخية في الإسلام, وحتى الفقهية منها, إلى تناقضات في المصالح السياسية. فالإسلام كدين وكآيديولوجية لم يكن في يوم من الأيام بمعزل عن الصراعات السياسية وعن التحولات السياسية.

وفي أواسط الأربعينات ألهم هؤلاء المستشرقين الهنديَّ (أبو الأعلى المودودي) (1903- 1979) للتبشير بمفهوم (الإسلام السياسي) والرواج له. وكان هدفهم من وراء هذا - كما يشير سمير أمين- هو" إثبات أن المسلم المؤمن بالإسلام لا يستطيع العيش في دولة غير إسلامية- وبهذا كانوا يمهدون لتقسيم البلاد- لأن الإسلام لا يعترف بالفصل بين الدين والدولة حسب زعمهم. من هنا تبنى أبو الأعلى المودودي فكرة الحاكمية لله، رافضاً فكرة المواطن الذي يسنّ التشريعات لنفسه، مؤكداً أن الدولة عليها أن تطبق القانون الساري للأبد "الشريعة" وتخضع لها.

بداهة يرفض الإسلام السياسي مبدأ الديمقراطية, الذي يقرّ بتساو المواطنين والأفراد في تقرير خياراتهم السياسية بحرية, باعتبارها بدعة, غير إسلامية ولا يجوز الأخذ بها. مستبدلاً إياها بمبدأ الشورى الذي يدعي الإسلام السياسي أنه النموذج الإسلامي الأمثل لإدارة شؤون الرعية وحكمها. لكن الشورى التي تتحدث عنها الجماعات الإسلامية وتبشّر بها تنطوي على نزوع نوستلجي رجعي, حنين إلى شكل أولي وبسيط للاجتماع الإنساني, لم يكن له عهد بتحديات المجتمعات المعقدة والحديثة. وهو لا يتعدى مفهوم (التشاور) الذي كان سائداً فيها. وفي هذا برهان على النزوع المضاد للحداثة لدى آيديولوجية الإسلام السياسي. حيث تجد معظم حركات الإسلام السياسي مثالها في التقدم ونموذجها التاريخي الأمثل في العودة الورائية إلى قرون سابقة, إلى زمن السلف الصالح وفق فهم (ابن تيمية), لا طبقاً للزمن نفسه. يقول (سيوران): العودة إلى الأصول, هو مبدأ الفكر الأصولي الرجعي, الذي يتميّز بعبادة البدايات. فكلما تكرّست وتعمقت هذه العودة زاد الانغلاق والانكفاء لديها وزاد العنف. الفكر الأصولي مضاد للفكر الحداثي التطوري الذي غيّر الغرب.

في عام 1941م أنشأ المودودي (الجماعة الإسلامية). ويمكن عن نظير له في العالم العربي هو (سيد قطب) الذي تلقى أفكار المودودي وبشّر بها في مصر والأقطار

العربية, ويشكلان معاً الأبوين الشرعيين لـ (الصحوة الإسلامية) التي شهدت في الثمانينات والتسعينات من القرن المنصرم نشاطاً ونمواً قويين في الأقطار الإسلامية, واتخذت طابعاً عنيفاً في بلاد عديدة مثل أفغانستان مصر وفلسطين والجزائر والصومال.

لم تكن الدوائر السياسية والأمنية الغربية بمنأى عن مراقبة هذا النشاط والتدخل فيه. فقد دعمت الإدارة الأمريكية المسلحين الجهاديين في أفغانستان في الثمانينات ضد النفوذ السوفييتي في أفغانستان، وأطلق الرئيس الأمريكي (رونالد ريغان) على المحاربين الإسلاميين وقتئذ اسم " المحاربين من أجل الحرية" ضد الديكتاتورية الشيوعية.

- إسلام الكرد

الإسلام هو دين الغالبية العظمى من الكرد، نعني الإسلام بجميع أنساقه المذهبية، الإسلام السني و الإسلاميات الأمامية و الباطنية؛ أهل الحق، الإسماعيلية،الإثني عشرية، و غيرها. ليس هنالك مذهب نموذج– نمطي سائد بين الكرد، بحيث يمكن القول عنه أنه يمثل معتقد الغالبية العظمى منهم ويعبّر عن رغباتهم الروحية تماماً. ليس هناك من إيديولوجية إسلامية واحدة تتمثل فيها جميع المعتقدات المقدسة و الأنساق، دون اختلاف أو تعارض، و يمكنها أن تعمم في المجتمعات الكردستانية الراهنة، من شأنها أن تحقق وحدة قومية سياسية وأدبية متمثلة في الدين الإسلامي. مثل هذا الاعتقاد هو وهم يستلب له الكثير من الكرد ممن يدعون إلى مجتمع سياسي إسلامي كردي. فاللجوء إلى الدين الإسلامي لم يعد إيديولوجية شمولية صالحة إزاء معطيات العصر الراهن، و بخاصة تلك المتعلقة بالواقع الكردي وتحدياته.

ينبغي تبرز أهمية فصل الإسلام كدين ودعوة سماوية عما هو سياسي و دنيوي يتعلق بالسلطة. الكرد هم من الأمم الخصبة في التعددية الدينية وفي التنويعة النسقية – المذهبية، فإذا ما دعى أحدهم إلى أسلمة الكرد والمجتمعات الكردستانية سياسياً أو إلى تماه الخطاب القومي في الإسلام، نسأله في الحال: أي إسلام تقصد و تعنيه من الإسلاميات المختلفة؟ هل هو إسلام الشيعي، أو السني .. .. الخ ؟ بالطبع لا بدّ لـه من أن يحدد نمطاً معيناً لمقاربة الإسلام الذي يبشر به. عندئذ يدخل هذا الإسلام السياسي في تعارض فعلي ومباشر عند التطبيق مع معتقدات الغالبية من الكرد، دونكم بالمعتقدات المسيحية و الازدائية المختلفة معها أصلاً. لا بدّ أن يصبح الغالبية العظمى من الكرد ذميين من منظور هذا الإسلام أياً كانت طبيعته. هكذا يتعين أن يكون هنالك تمييز و فصل حاسمين بين الكرودة (الكردايتي) والإسلام على مستوى التمثيل السياسي.

بالمقابل ليس من المنطقي والإنصاف أن تدعو الكرد إلى قطيعة تاريخية حاسمة مع الإسلام، فهذه فانتازيا تاريخية، ولأن الكرد قد أمضوا شطراً طويلاً من تاريخهم و حياتهم في الإسلام. أياً كانت طبيعة هذا التاريخ، فلا يعقل أن تدعوهم إلى أن يتلفوا أربعة عشر قرناً من تاريخهم الخاص في الذاكرة, و يتخلوا عنه. الكرد, عوضاً عن ذلك, بحاجة إلى وعي تاريخي بالإسلام. هنا تبرز أهمية التمييز بين المقدس في الدين و بين الدين كجملة معاملات و علاقات دنيوية، نعني العقل العملي في الدين. أما المقدس فيظل هو واحد إلى حدّ كبير بالنسبة لجميع الأديان. و حتى هذا الأخير في مقدورنا أن ندرجه في سياق الممارسة الاجتماعية و التاريخية. المقدس يمكنه أن ينخرط في الصراعات بحيث يغدو مقدساً دنيوياً في طبيعته و يمارس دوراً مركزياً في المنظومة القيمية.

- وعي الهوية ومسألة الانتماء

معظم جماعات الإسلام السياسي في العالم تتوحّد حول قناعة آيديولوجية مشتركة, تتخطى الوعي بالانتماء القومي نحو وعي كوزموبوليتي (كوني) مجرد قوامه الإيمان

بالحقيقة الشاملة والمطلقة للإسلام. وفي هذا تزدري الجماعات الإسلامية، ومنها الكردية, بخصوصيتها القومية بعدّها القومية هرطقة آيديولوجية غربية مضادة لروح الإسلام. وضمن هذا الأفق يمكننا أن نفهم رفض النواب الإسلاميين في برلمان كردستان الوقف تقديراً للنشيد القومي الكردي.

هنا تثار ملاحظة تتعلق بالوعي التاريخي لدى التيارات الإسلام السياسي. وهي عموماً حين تعاود قراءة تاريخها القومي الخاص, إنما تنطلق في النظر إليه طبقاً لمجموعة مصادرات آيديولوجية ومعتقدية غير قومية, ولهذا نجدها تكفّر كل تاريخها ما قبل الإسلام وتتبرأ منه تماماً. وبموجب تلك المصادرات تقوم بتأويل تاريخ الشعوب والحضارات السابقة على الإسلام وتفسيرها. هذا التأويل هو شكل آخر مقلوب للرؤية الإسلامية للماضي العربي قبل الإسلامي بعدّه جاهلية، إسقاط معكوس. إذن هي جاهلية أخرى من نوع مماثل، كانت الشعوب تعيشه في فسق وخواء روحي وجدب ثقافي وظلام، وعندما قدم نور الإسلام والإيمان تمكّن بقليل من الجهد ودون مقاومة تذكر من هدي هذه الأقوام وإخضاعها. فهي كانت أصلاً تنتظر خلاصها من الوثنية والجهل على هذا النحو. هذا هو التفسير الإسلامي الميتافيزيقي الأمثل للتاريخ. وهو تفسير ذو نمط اعتقادي يمتح من مرجعية إيمانية وغيبية ولا تاريخية. ولهذا لا تتوقع أن تجد بين الإسلاميين ممن يمكن أن يعتدّ بحضارة الميديين أو الحوريين, فهي في نهاية المطاف مجرد أمم وثنية وجاهلة بنظرها.

الإسلامي السياسي العربي, عروبي بامتياز, في بنائه وفي منطقه, وهذا الانتماء العروبي شرط مقوم حتى لإيمانه. الإسلامي السياسي (الكردي), بخلاف ذاك, متحلل من هويته وانتمائه, بل يجد في هذا التحلل شرطاً لإيمانه القويم. والحال أن الفرس أدركوا هذه المعادلة منذ أمد بعيد, ولهذا عدّوا من التشيّع عتبة لفرّسنة الإسلام.

ما يزال الإسلام السياسي الكردي يعاني من مأزق وعي الهوية، بين الانتماء إلى إيديولوجية سماوية لا تكترث بما هو دنيوي، وعي يتخطى أزمة الراهن بالقفز إلى الوراء نحو الماضي ويلوذ بنوع من الإسلام الانقلابي النسقي الباكر من جهة أولى. و بين ما ينبغي أن يكون عليه هذا الوعي، حيث يفترض أن يكون وعياً دنيوياً – علمانياً وحداثياً من جهة ثانية. و بالنتيجة يعيش وعياً تلفيقياً، متأرجحاً، يماه بين الأمة والدين، نعني بين الكردايتي والإسلام, لمصلحة الأخير. وهو ليس كل الإسلام عموماً، إنما إسلام خاص مستمد من نمط نسقي سياسي ومذهبي معين. لكنه في نهاية المطاف يؤكد على نمط من الادعاء الشمولي في الوعي بالانتماء، وعي كوني مجرد " المؤمنون أخوة" لا يلزمه بعبء مسؤولية تأكيد ما هو ذاتي و خاص و البرهان عليهما، أو يلزمه بتأكيدات الذات المرهقة.

تاريخياً ظل الكرد دون التوصل إلى تشكيل نوع من الوعي الذاتي– القومي بالإسلام أو التفكير الذاتي، ولسنا نظن أنهم نجحوا في تكريد الإسلام على نحو ما, نظير الشعوب المسلمة الأخرى. صحيح أن الإسلام الشافعي هيمن في المرحلة الأيوبية وانتشر من خلال الكرد حتى أصبح المذهب الأكثر رواجاً بين الكرد و عرب الشام . لكن لا يسعنا الزعم أنه يمثل الخصوصية الكردية ويعبر عنها ، نظير المذهب الشيعي بالنسبة للفرس. حيث تمكّن الفرس من تطبيع الإسلام بخصوصيتهم القومية وبصيغة واضحة المعالم زمن الصفويين. فالإسلام الشيعي الأثني عشري، هو إسلام فارسي قومي، له طابعه القومي الخاص.

الإسلام يمكنه أن يؤكد على ما هو خاص وذاتي ويسوغهما في السياق التاريخي الدينوي. والحاجة إلى التعيين التاريخي للإسلام وتخصيصه بقراءة كردية تنبثق عن الحاجات الواقعية والتاريخية الراهنة.

- العنف والإرهاب

لايوجد دين إرهابيّ بذاته كدين أو دين متسامح بذاته, لايوجد دين أكثر إرهاباً أو أقل من دين آخر, مثلما لايوجد دين أكثر تسامحاً أو أقلّ من غيره. الدين يصبح على هذا النحو أو ذاك عبر متلقيه ومعتنقيه, أي من خلال الذوات التي تحمله, وذلك عبر سياقات اجتماعية معقدة للغاية تلعب فيها المصالح المادية دوراً رئيساً في تحديد طبيعة هذا الدين وفهمه.

ومثلما كان الإسلام في العصور الوسطى يمثل ثقافة مجتمع منفتح ومتسامح كانت المسيحية لواء البشر الأكثر بربرية. في حين تتبرأ مسيحية أوروبا الغربية اليوم تماماً من مساوئ تلك الحقبة. وإسلام اليوم أبعد ما يكون عن روح إسلام تلك الحقبة الذهبية, إسلام أبي علاء المعري والإمام الشافعي وابن رشد. واليوم متطرفو الشرق من المسيحيين هم أقرب إلى المتطرفين المسلمين من جيرانهم منهم إلى مسيحيي الغرب, وهم ليسوا أقلّ أصولية منهم وتشدّداً. مثلما أن بوذيي بورما أقرب في تطرفهم إلى التكفيريين الإسلاميين منهم إلى بوذيي الهند الصينية وروح التسامح البوذي. لكن من المؤكد أن أيّ دين حينما ينتحل دوراً سياسياً سيغدو ديناً تكفيرياً وإقصائياً إلى أبعد مدى.

ليس هنالك مؤمن إرهابي بذاته, وبتعبير أكثر تحديداً ليس هنالك إرهابي مسلم أو مسيحي أو بوذي أو يهودي, بل دائماً هنالك فرد إرهابي من هذا المعتقد أو الدين. هو إرهابي ليس لكونه مؤمناً أو متديناً بهذا الدين أو ذاك, إنما هو إرهابي لأنه وجد في شروط اجتماعية أو سياسية تحضّه أو تحرضه على الإرهاب وعلى الكراهية المدمرة, وهذه البيئة بالذات تحمله على قراءة الدين وفهمه على هذا النحو دون آخر ليجد فيها ما يبرر نزوعه نحو الكراهية والتعصب والقتل والتدمير. فهذه الشروط هي التي تحمله على التصرف كإرهابي, فهو لم يولد كمشروع إرهابي لأنه وجد نفسه منتمياً لهذا الدين أو ذاك. وفي يقيني إن الإرهاب المتلبس بلبوس الدين أو المذهب سيكف عن الوجود متى ما انتفت تلك الشروط, ويكفّ أتباع هذا الدين أو ذاك عن التصرف كإرهابيين.

وبالمقابل, ليس هنالك مؤمن متسامح بحكم دينه, أو بحكم طبيعة انتمائه الديني, أو لأنه ينتمي لهذا الدين أو لهذا المذهب فهو متسامح دون غيره من مؤمني الأديان الأخرى. وليس المواطن الأوروبي متسامح لأنه مسيحي الإيمان أو غير ذلك من القناعات الماورائية التي يحملها. إنما يكون الإنسان متسامحاً في الغالب لأنه يعيش في بيئة اجتماعية وثقافية تحمله على القبول بالآخر المختلف معه, ولأن نمط معيشته تحول دون التعصب ودون تكفير من يحمل قناعات ماورائية أو حتى سياسية مختلفة عنه. وهذه البيئة بالذات تنتفي فيها كل المقدمات والمبررات التي تحمله على كراهية الآخر وتجعل من قرائته للدين ومن إيمانه به, ليس دينه ومعتقده فحسب وإنما جميع الأديان, عاملاً معززاً للتسامح.

كلّ دين, دون استثناء, مرشح لأن يكون دين تسامح أو ينقلب إلى الضد, ويغدو دين إرهاب وتكفير, إلى أقصى حدّ, ضمن سياقات معينة من الصراع على السلطة والنفوذ. وعليه فإن الجذر الحقيقي للإرهاب لا يكمن في الدين بالذات, وإنما الشروط الواقعية المولدة للعنف الذي يتخذ شكل عنف ديني, كأسلوب وحيد للتعبير عن الرفض لدى الإنسان. إن العنف الديني في هذه الحالة ما هو إلا أسلوب منحرف ومشوّه للتعبير عن الرفض يلجأ إليه الإنسان كي يبرر بها مطالبه الواقعية والدنيوية إلى أقصى حدّ.

والإسلام السياسي في نهجه التكفيري, حينما يلجأ إلى فرض وصاية شاملة على التفكير والحياة, من منطور تمثيله لوعي مطلق وامتلاكه للحقيقة المطلقة فهو يقع في تعارض مع الحقائق النسبية الأخرى, لهذا يتعذر عليه قبوله الاختلاف. فهو بحكم طبيعته المطلقة واحد ولا يمكن إلا أن يكون واحداً يقصي

البدائل الأخرى, لا يقبل أن يكون وإياها متعايشين ومختلفين في آن وعلى أرض واحد. لهذا يتعين الإطاحة بها وحرقها أو حذفها من الوجود. هنا ينتفي التمييز بين التدين والإرهاب.

انطلاقاً من هذه القناعة تلجأ الحركات الإسلامية إلى تكفير كل سلطة سياسية قائمة وتسعى بالمقابل إلى الاستحواذ عليها بغرض فرض نمط معين من الإيمان والتدين على الدولة والمجتمع. وفي الحالتين تلجأ إلى الإرهاب لتحقيق ذلك.

- الضمير الديني وحرّية الاعتقاد

هنالك دائرة مستقلة خاصة بالفرد ينبغي أن تبقى بمنأى عن تدخل أية سلطة سياسية أو دينية. وكما يشير(ستيوارت مل) تشمِلْ هذه الدائرة ذلك الجزء من حياة الفرد وسلوكه الذي لا يخصّ إلا شخصه وحده أو إن مسّ غيره من الناس فيكون ذلك بمحض إرادتهم, وموافقتهم التي لا خداع فيها, واشتراكهم, وهذا هو نطاق الحرّية البشرية الخاص بها. إنه يشمِلْ أولاً ممِلْكة الوعي الداخلية التي تتطلب حرّية الضمير بأوسع معانيها وحرّية الفكر والشعور، والحرّية المطلقة للرأي والعاطفة في كل المواضيع العمِلْية أو النظرية العلمية أو الأخلاقية أو الدينية. وثانياً, حرّية تصميم خطة لحياتنا توافق طبعنا, وحرّية العملْ وفق ما نحب ونرغب.. وثالثاً، من هذه الحرّية لكل فرد تنشأ ضمن الشروط نفسها حرّية التكتل بين الأفراد, حرّية الاتحاد والتضامن في سبيل أي هدف لا ينطوي على إيذاء الغير.. وكل مجتمع لا تحترم فيه هذه الحريات عموماً لا يكون حرّاً مهما كان شكل حكومته، ولا يكون أي مجتمع حرّ حرّية تامّة إن لم تكن فيه هذه الحريات مطلقة وكامِلْة الشروط. والحرّية الوحيدة الجديرة بهذا الاسم هي حريتنا في أن ننشد خيرنا بطريقتنا الخاصة ما دمنا لا نحاول حرمان الغير من خيراتهم ولا نعرقل جهودهم في الحصول عليها.

في هذا السياق يعتبر (ستيوارت مل) الفردَ هو صاحب الشأن الأول فيما يختص بإيمانه الذاتي ومعتقداته الدينية, ولا يعتد بمواقف الآخرين ودورهم فيه إلّا في حالات التفاعل الإيجابي والحرّ. وما شأن المؤسسة الدينية به كفرد إلا شأن جزئي غير مباشر يتعلق برغبته في التواصل معها. إن تدخل المؤسسة الدينية للتحكم بضمير الفرد الديني وطبيعة إيمانه الخاص يعدّ تعسفاً يقوم على ادعاء خاطئ بحق الحديث باسم الألوهية والدين القويم. وإن كان هذا الادعاء جائزاً فإنه يقود إلى الفوضى في العقائد, وإلى سوء التطبيق من قبل أناس يستغلون الدين لمآربهم وأهوائهم الشخصية. والضرر الذي قد يلحقه شخص مدّع من هذا النوع بالدين وعقائد الآخرين قد يكون ذا أثر خطير على غيره, وعلى المجتمع عموماً, إذا قدِر له أن يستغل المنابر العامة للترويج لأفكاره. حيث يقود سلوك هذا الشخص إلى الإخلال بالسلم والوئام الاجتماعيين ويخرج عن نطاق حرّية الاعتقاد والتفكير والتعبير بمعناها الصحيح إلى نطاق فوض التكفير والتطرف.

إن حرّية الفرد مبررة لأنها- كما يرى عدد من مفكري الحرّية الفردية- تسهم في الصالح العام, وهي وسيلة قيّمة لغاية أعلى منها هي (الوئام الاجتماعي والتقدم الإنساني) الذي يهمّ كلّ عضوٍ في المجتمع. وطالما هي كذلك فهي صحيحة, إلا أنها بخلاف هذه الغاية تعدّ تعسفاً لأنها تعتبر تعدياً على كرامة الإنسان وإرادته الحرة وتهديداً للسلم الأهلي. والغاية الوحيدة التي تجيز للبشر, أفراداً كانوا أم جماعة, أن يتدخلوا في حرّية أفعال أي واحد منهم إنما هي حماية الذات. أي أن الغرض الوحيد الذي من أجله يمكن ممارسة السلطة في أيّ مجتمع حديث على عضوٍ منه رغم إرادته إنما هو دفع للأذى عن الغير. وهذا الأذى المعنوي أو المادّي قد ينجم عن هذا الترويج للثقافة السامة التي قوامها إهانة كرامة الإنسان والتعصب والتمييز بحق الجنسين وتبرير القسّوة أو العنف. من هنا تبدو جميع المؤسسات المدنية

مدعوة للوقف في وجه مثل هذه الأفكار والحدّ منها نظرياً ومادياً. فمثل هذه الأفكار تمسّ ضمير الفرد وكرامته وحقه في تقرير خياراته وفي المحصلة تمسّ حياته وحياة المجتمع. وفي حال تعذر هذا الحدّ قانونياً وفعلياً ينبغي اللجوء إلى الاستنكار العام وهذا أضعف الإيمان لأن الامتناع عن فعل ذلك يعدّ مساهمة في الضرر.

واقع الحال أن خطاب الإسلام السياسي لا يكترث بهذه الحدود أبداً, وإنما يحاول انتهاكها بشتى السبل وفرض الوصاية عليها. وتتصرف الجماعات الدينية التكفيرية على نحو فيه الكثير من الغطرسة والتسلط والصَلَف مستغلين مناخ الانفتاح في المجتمعات الديمقراطية لفرض هيمنتهم الروحية والمادية عل الحياة العامة. ويستخدمون شتى وسائل الضغط والإكراه والمنابر العامة لتحقيق هذا الهدف.

على صعيد آخر يلاحظ المكانة الاستثنائية, التي يشغلها رجال الدين الإسلامي في المجتمعات الآخذة بالانفتاح والدور الذي تلعبه المؤسسة الدينية فيها. وهذا الدور يعكس النزوع المتعاظم لدى طبقة رجال الدين نحو الهيمنة على المجال العام واستغلاله, وإعادة إنتاج نوعٍ من السلطة المركزية على أرواح الناس وعقولهم, كسبيل لخلق نفوذٍ موازٍ للسلطة المدنية ضمن شروط النظام السياسي ذاته. وهذه الطبقة لا تكترث أصلاً ببقاء هذه الشروط وتحسينها إلا لجهة تعزيز دورها السياسي وترسيخه, مستغلة الشرعية القانونية والروحية المتاحة لها. ومن هذا الموقع تعيد إنتاج أشكال رثّة من الخطاب المعتقدي المضادّ لقيم التحديث والديمقراطية. وتروّج لقيم روحية وأخلاقية انطلاقاً من مرجعية فكرية لا تنتمي أبداً لروح هذا العصر, استناداً إلى قراءتها الخاصة, التي تعتقد أنها الشرعية الوحيدة للدين الإسلامي والصحيحة.

هنا نتساءل, وفي حدود سلطة رجال الدين على المجتمع وضمير الفرد, ما هو الحدّ الشرعي والقانوني لسيادتها الروحية والأخلاقية؟ هل يجوز الاحتماء بقواعد الديمقراطية والحرّية لفرض أشدّ أشكال المعتقدات تخلفاً وجهلاً, الأكثر إعاقة للنمو والتقدم الإنساني, الأشدّ تعارضاً مع مبادئ الديمقراطية والحرّية ذاتها؟ أين يجب وضع الحدّ وكيف يمكن تحقيق التوفيق المناسب بين حرّية الاعتقاد والعبادة والتعبير للمؤسسات الدينية وبين استقلالية الضمير الفردي وحرّية الإيمان لدى كل فرد من المواطنين؟ أين تبدأ سلطة المؤسسة الدينية ورجالها وأين تنتهي؟ ماذا ينبغي ويحقّ لها من أفعال وآراء وأساليب تبشير وترويج, وما طبيعتها, وأين تبدأ حرمة المجتمع والفرد؟ يتوقف على الإجابة عن هذه الأسئلة كل شيء تقريباً.

إن كلا من الفرد والمؤسسة الدينية يستطيع أن يمارس دوره العادل إذا هو احتفظ بما يخصّه أو يعنيه دون أن يفرض هيمنته الأدبية والروحية على الآخر قسراً. فيكون للفردية الحق في الاعتقاد الذي يعنيه ويهمه. وللمؤسسة الدينية الحق في التبشير بعقائدها داخل نطاقها الخاص دون إكراه أو قسر وبحيث لا تمسّ مباشرة عقائد الآخرين ومصالحهم .

ومن ينال حماية المجتمع والسلطة المدنية والنظام الديمقراطي يكون مديناً لها مقابل ذلك. والمؤسسة الدينية حين تعمل وتبشر بعقائدها في ظلّ شرط الانفتاح الديمقراطي يتعين عليها ألا تبشّر بأيّة أفكار أو آراء من شأنها أن تهدّد أو تعارض أو تضرّ بهذا الشرط السياسي أو المدني. وهذا يقتضي حتماً أن تتقيد هي ورجالاتها بقواعد من السلوك تجاه السلطة المدنية ونظامها السياسي. ويتألف هذا السلوك أولاً من عدم إضرار الواحد بمصالح الآخر والمجتمع نظرياً وعملياً, أو بالأحرى عدم الإضرار بتلك المصالح التي يجب أن تعتبر حقوقاً إما بموجب نص قانوني صريح أو بموجب تفاهم ضمني للفرد والمجتمع . ويتألف هذا السلوك, ثانياً, من تحمل كل فرد نصيبه مما تقضيه صيانة مصالح المجتمع أو مصالح

أعضائه وتقدمهم وضمان حرّية الاعتقاد والتفكير والتعبير للجميع.

ويحق للمجتمع مهما كلف الأمر أن يفرض تحقيق هذين الشرطين على من يحاول الامتناع عن ذلك.

- التسامح

غدا الوضع الإنساني المعاصر, عموماً, محكوماً بالتعايش والنزاع في الوقت نفسه, وهو الوضع الذي يقتضي مقداراً كبيراً من التسامح. ففي المجتمعات المتعددة الثقافات, التي تحفل بالاختلاف في أنماط المعيشة والتفكير, وتنطوي على تنوع كبير في الآراء والعقائد, يحتل مفهوم التسامح أهمية مركزية. إذ لامعنى للتسامح في أوضاع المماثلة والنمطية في الأفكار والعقائد. من هنا يؤكد راينر فورست في كتابه (التسامح في النزاع) على الارتباط العضوي بين التسامح والتنازع, مشيراً إلى أن التسامح ينبثق عن التنازع ويولد من رحم النزاعات البشرية.

هكذا يؤشر التسامح على الموقف من آراء الآخرين وعقائدهم ومصالحهم. كما يعكس مقدرة المرء على التعايش مع عاداتهم وأنماط السلوك لديهم. وتبرز الحاجة إلى التسامح بهدف الوصول إلى التفاهم والاتفاق حول المسائل الخلافية ووجهات النظر المتباينة, وبغرض الخروج على المصالح المتعارضة دون اللجوء إلى القسوة أو العنف أو الإقصاء.

بالمقابل, لا يمكن عدّ التسامح قيمة أخلاقية مجردة ومطلقة, منفصلة عن التاريخ والتطور. وهو ليس مجرد مبدأ يرنو من خلاله الإنسان إلى التعالي على تناقضات الواقع القائم، وإنما يتوقف معناه على ثقافة العصر السائدة, وعلى علاقاته الفعلية. وإذا ما فصلنا مفهوم التسامح عن سياقه التاريخي وعزونا إليه وجوداً مستقلاً عن التاريخ فإن من شأن ذلك أن يفقده كل قيمة إنسانية وعملية. ويمكن ترجمة ذلك عبر الأسئلة الإشكالية التالية: كيف يمكن أن نتسامح مع التكفيري ونقرّ له بذات الحقوق الإنسانية في حين أنه ينفي هذه الحقوق عن أولئك الذين لايدينون بدينه أو بمعتقده إلى الحدّ الذي يصل فيه إلى إرهابهم؟

هل التسامح يعني بالضرورة أن نتسامح مع غير المتسامحين أو مع المتعصبين الذين يرفضون التسامح مبدءاً ؟ هل الالتزام بحرّية الآخرين وحقهم في التعبير يبرر السماح لكل جاهل أن يدعو, باسم الدين, إلى اغتصاب القاصرات والاعتداء الجنسي على الأطفال واحتقار المرأة وإهانتها والتحريض ضد حقوق الإنسان الطبيعية؟ هل العمل الديني, العمل في المجال الروحي يبرر الحديث باسم الله (ج) والوصاية على الضمير الديني للمؤمنين؟ هل يسوغ مبدأ حرّية الرّأي منح كل مستهتر يعتقد في نفسه الكمال الأخلاقي والروحي حق الوصاية على سلوك الآخرين وقيمهم الأخلاقية والحكم عليهم بالهرطقة والعهر والتعرّ؟ هل الدعوة إلى العنف الأسري والتحريض ضد قيم المساواة بين الجنسين من الديمقراطية وحرّية الرّأي في شيء؟ هل إثارة الغوغاء ضد الحداثة والقيم الوطنية والسلم الأهلي يعدّ شأناً خاصاً من شؤون الفرد الخاصة وحقاً من حقوقه في إبداء الرّأي, ويبرر استخدامه المنابر العامة, الروحية والمدنية في الترويج لثقافة الكراهية ضد المختلف وأصحاب المذاهب والمعتقدات الأخرى؟ هل من حرّية الرّأي في شيء أن تكره الآخرين على نمطٍ محددٍ من التدين, ومن التمذهب, ومن الاعتقاد, ومن العبادة والطقوس, وأخيراً ترغمهم على نمطٍ بعينه من السلوك الأخلاقي حتى يصبحوا أسوياء وعلى صراط مستقيم كما تعتقد؟ لمَ تفترض أصلاً أن الإيمان الذي لديك, والدين الذي أنت عليه, والمذهب الذي تؤمن به, ومن ثم الطريقة التي تعتمدها, والمدرسة أو الشيخ الذي تتبعه, هي الأصوب والأحق والأقرب إلى مقاصد السماء؟ كيف لك أن تبرهن على ذلك؟ من منح لمثل هذا الطراز من رجال الدين الأميين الحق في التدخل في الإيمان الخاص للبشر وضميرهم كي يجبرهم على التكيف مع

هفال الامەدی کتێبخانە

معتقداتهم وآرائهم التي هي نتاج رؤوسهم المعممة ليست إلا, ووفقاً لنموذج إيمانهم المحدد وفهمهم المحدود للدين؟

هذه الأسئلة وغيرها قد تدفعنا إلى مراجعة بداهات مفاهيم حقوق الإنسان والتسامح, التي تنصّ على أن لكل إنسان الحقوق ذاتها بصرف النظر عن الدين والجنس والعرق, آخذين بعين الاعتبار ليس فقط الممارسات السياسية والعملية لحركات الإسلام السياسي وإنما طبيعة الخطاب الإقصائي والتكفيري الذي تعلنه.

الخلاصة

الإسلام السياسي عموماً, يزعم امتلاك الحقيقة المطلقة في معتقده, على مستوى المعرفة والإيمان والأخلاق معاً, وهي حقيقة غير قابلة للنقاش أو الشك أو النقد. وكلّ منافسة محتملة أو إمكان حقيقة مختلفة أو قناعة بديلة, تواجه لديه بالإقصاء والإلغاء المعنوي والمادي معاً. وهذا هو الخيار الوحيد لديه في مواجهة الأفكار المنافسة. ولهذا السبب يعدّ هذا النمط من التفكير السياسي المتطرف, بكلّ تلاوينه, والمستند إلى قداسة متوارثة ومتعالية نمطاً مضاداً للانفتاح والتسامح الإنساني والتقدم.

من هنا لايمكن لأيّ فردٍّ مستنير مؤمن بالتعددية والمساواة إلا أن يعتبر نفسه خصماً عنيداً للإسلام السياسي, ولا نعني في هذا السياق الإسلام كدين وإيمان شخصي, إذ أن حياد المستنير إزاء الإسلام هو ذاته إزاء المسيحية والزارادشيتية واليهودية وجميع الأديان البشرية. المستنير خصم للإسلام السياسي لأنه إسلام بشريّ مؤدلج لأهداف بشرية أنانية, وليست إلهية كما يدعي أصحابه. وهذا لا يعني بالضرورة أنه خصم للإسلام كما يعتقد هؤلاء, لأنهم ببساطة يماثلون في هذه الحالة بين أنفسهم وبين الإسلام وينصبون أنفسهم ناطقين باسم الله ونبيه, لأنهم ببساطة يعتبرون إسلامهم هو الوحيد الصحيح ويكفّرون بقية البشر ومذاهبهم.

نعم المستنير خصم عنيد للإسلام السياسي, إسلام هؤلاء, لأنه -لأنهم- أيديولوجيا بشرية مضادة للتاريخ وللتعددية والديمقراطية والمساواة. الإسلام, كدين ورسالة وحي, براء من دنس كل من يتطلع إلى سلطة سياسية بعباءة الإسلام. نعم المستنير هو خصم للإسلام السياسي, إسلام هؤلاء, لأنهم ينصبون أنفسهم باسم الله أوصياء على إيمان البشر ومصائرهم ومصالحهم, ونبي الإسلام نفسه لم يمنح نفسه هذا الحق, إسلام هؤلاء هو إسلام الغرور والعنجهية والاستبداد والأنانية البشرية المفرطة, لا إسلام الحبّ والمساواة بين عبيد الله. إسلام هؤلاء إسلام الغرائز البشرية والبطش والقهر, لا إسلام الطهارة والتنسك والحرية الداخلية كما دعا الرسول الكريم. ذلك أن رجل الدين حين يتحدث في السياسة, وحين يمارس رجل الدين السياسة بصفته تلك, يغدو الدين مروقاً و نفاقاً وتمسى السياسة طغياناً. على هؤلاء أن يعلموا جيداً أنه ليس مهمة السياسة إرسال الناس بالقوة إلى الجنة أو حتى منعهم من الدخول إلى نار جهنم عنوة. مهمة السياسة هي إدارة شؤون البشر الدنيوية عبر البشر وبوساطة البشر وأخطائهم, لأن البشر أعلم منهم بشؤون دنياهم.

شبح الثورة المضادة و داعش

بشار العيسى

خلافة سنية تعادل ولاية الفقيه

أم ردّ كيد الحرية الى نحر الشعوب؟

موصل، وسهل نينوى، شنكال، عرسال، وأسوار"أربيل" عاصمة العراق الجديدة، تحت التهديد!

ماالذي يجري في العراق وصولا الى لبنان ؟

وما الذي جرى في الشهرين 2014/6/10 و 4 /2014/8؟ لدرجة أُنسى العالم ما يحدث في غزّة وسوريا وليبيا حتى تستلم ايران خفية، الدفعة الاخيرة من أصولها المجمدة والبالغة 4.2 مليار دولار، وتعود المياه الى مجاريها الطبيعية بين بغداد واربيل فيما يشبه ابتلاع السكين برزانيا؟ أهو البلل وصل سروال بابا روما بعد شهر من تهجير المسيحيين؟ اما المخاوف الباطنية والانتخابية لإدارة اوباما لتحريك طائراته لتدمير اسلحته التي توجه لحلفائه وقد تصيب اركان قنصليته واستخباراته في هولير؟ وأوربا العجوز التي لا تستطيع فعل شئ غير مداواة الأذن اليسرى والجرح في الأذن اليمنى.

هل أن الزلزال الداعشي النشط هو صراع كتائب مسلحة عابر، أم ختام سيرورة ردّة في صورة تفاهمات دولية واقليمية على حرية الشعوب عمرها ثلاث سنوات، لحصر الصراعات الاجتماعية في مربعات يسهل لجمها وقت الحاجة؟

هل المطلوب اقامة دولة خلافة اسلامية على مساحة تعادل مساحة إيران ولي الفقيه لخلق ستاتيكو فوضى سعارية مذهبية أكثر مما هو الحال؟ أم أنهاعملية اجتثاث مبكرة للصحوة الشعبية والروح المتوثبة للشباب العولمي الفقير في الحلم بالحرية والاستقرار الذي مثلته الثورة السورية ، والنمو الاقتصادي النشط الذي يمثله اقليم كردستان العراق المستقر، بمركزه الجغرافي وخزائنه النفطية فضلا عن عمق شعبي كردستاني متعدد القوميات، قد يتجاوز الحدود القائمة في حال تمّ نجاح التجربة (الحكم الذاتي والنمو خارج الفوضى) خشية أن تتكر في أكثر من بلد اقليمي مرشح قد يهزّ تفاهمات مصالح كيانات غير مستقرّة (تركيا ايران السعودية واسرائيل)، فضلا عن ان الجغرافيا الكردستانية بشعوبها متعددة الثقافات التاريخية هي استثناء وحيد شرق اوسطي، لا تتآكله الصراعات المهيّجة دينيا أو اثنيا؟

فما الذي جرى ويجري؟

قبل أشهر لم تكن "داعش" أكثر من فصيل أشدّ همجية من باقي حملة تلك الرايات السوداء* التي سُرّبَت الى الثورة السورية بتوافق دولي واقليمي أُريد الايحاء به وكأنه صراع فكاهي بين أمير مختف وأمير ظاهر، من بقايا سقط متاع القاعدة (كأفراخ فتح الاسلام) المعاد توليفه في سجون سوريا الاسد وعراق المالكي، مع فارق بسيط ان الصناعة العراقية صارت لها إجازة توريد وتصدير أمريكية.

و في غمرة الصراع على السلطة في العراق بإدارة رجل ايران المفوض قائد فيلق القدس قاسم سليماني**، بلغ فحش المالكي التسلطي حدا تجاوز قدرة مكونات الدولة العراقية على

التحمل حتى داخل المرجعيات الشيعية، العربية منها خاصة.

ومع اتساع حجم التمرّد (الذي اتخذ من اقليم كردستان ملاذا لقياداته) على أوامر قاسم سليماني ولي أمر المالكي حدثت عملية دراماتيكية في لحظة الذروة (الحرب على غزة والاستعصاء في الحوار الامريكي الايراني وتوسع انتفاضة العشائر السنية) حين اطلقت أيد خفية شياطين سوداء فجأة من قمقم الحالة المصطنعة (انهيار الجيش العراقي) والذي بدا للحظة وكأنه نتاج لانتفاضة وطنية عشائرية عربية سنية.

لكن لم يطل الامر حتى تبدَّد الوهم وبرزت للميدان قوة بعشرات الآلاف من مقاتلين من 80 جنسية*** يقودهم امير تكنى بخليفة وطلب البيعة من المسلمين عامة. بداية لم يأخذ أحد الامر على محمل الجد لسخافة الفكرة واقعيا ولطبيعة العراق ذي المكونات الاوسع اثنيا ودينيا ومذهبيا لكن المتبصر العاقل لم يكن يجهل مخاطر هذه القوة بانها تشكل التهديد الجدي للاستقرار في المنطقة وبالتالي لطموحات مسعود البرزاني، ليس في الانفصال عن العراق وانما في الاستمرار في استقرار اقليمه وتنميته.

في 2014/6/10 تمّت عملية استلام و تسليم، متقنة الاخراج ليس لموصل وحدها وانما لسائر المحافظة وصولا لحدود ديالى وكركوك، بدأ الامر وكأن خصوم المالكي من عشائر السنة المنتفضين مع بقايا جيش بعث صدام حسين مع جيش النقشبنديين، حقّقوا انتصارا عسكريا بالسيطرة على ثاني أكبر مدينة ومحافظة عراقية تتمتع بغالبية سنية وحضور كبير لمكونات ذات حساسية خاصة اثنية ودينية ومذهبية وبلغ الامر سرياليته العبثية لدرجة ان محافظ الموصل "أثيل النجيفي" ابن عم رئيس مجلس النواب وخصم الكرد التاريخي سمير النجيفي، هو من أعطى الأوامر ليس بتسليم المدينة وحسب، بل أمر بحلّ كتائب الجيش وقوى الامن العراقية واخلاء الدوائر الحكومية وبنوكها وترك القواعد العسكرية والامنية، وتسليم تجهيزاتها بغير تخريب او اتلاف (آلياته واسلحته ومطاراته) للمجاميع المسلحة محذرا من الصِّدام معها. وغادر الى أربيل "هولير" ضيفا على حكومتها. ولم تتأخر الغمامة المنتصرة التي عَمَّمت فرحة النصر على المالكي لدى كثير من المعارضة السورية والعراقية، حتى تبدت عن ريح سوداء عاتية كمَّمت افواه الأصدقاء قبل الخصوم وافتت بتهجير من لا يقبل الجزية او الاسلام بتهجيره او قتله من مسيحيي الموصل والكرد اليزيديين وشيعة تركمان وعلى غرارهم تم تهجير كل من رفض مبايعتهم في الموصل وتكريت وباقي بلدات سهل نينوى وبدأت انفال شنكال وزمار.

جرت وتجريعمليات تهجير استكملت ما بدأه المالكي قبلا، تتعمد إغراق اقليم كردستان العراق بالمهجرين.

فاتت حكومة الاقليم، التي انتشت باستيلائها بدورها، على مواقع (خلافية) حول كركوك اخلاها جيش المالكي، مما أدى الى تشتيت قواه على جبهات عديدة لم يكن مهيأ لها لا في عديده ولا في تسليحه ظهر وكأن قادة الاقليم غير مدركين حجم الاسلحة التي صاربايدي جيش داعش، عاد مسعود برزاني لاحقا، ووصفه بجيش دولة

بلغت حرب داعش الجهادية على الكرد وليس على المالكي الذروة في احتلال "شنكال" وسائر البلدات الايزيدية الكردستانية والمسيحية الكلدانية والآشورية والفيلية الشيعية الكردية فضلا عن التركمانية، وترافقت عمليات التهجير والترويع بالقتل الوحشي و"السبي" المشين وفتح اسواق النخاسة للنساء مما خلق صدمة نفسية ومعنوية كبيرة للكرد عامة، والاقليات خاصة، بل ولقيادة اقليم كردستان التي اضطرت لخفض جناح الذّلّ من الزنقة للمالكي واستصراخ الغرب وامريكا في مدّه بالأسلحة المتطورة، وهم يديرون له الاذن الطرشاء، حين رأى حجم ما تحصلت عليه

داعش من جيش المالكي هدايا الجيش الامريكي.

حين صعد البغدادي المنبر 2014/7/5 ليعلن خلافته ويطلب البيعة، شعر العراقيون وكأن ابي العباس السفاح والمنصور عادا الى الحاضر. أو ان قرامطة عصريون مدعّمين بخوارج جَهَلة قاموا من ذاكرة التاريخ يتقدمون جيوش هولاكو.

لقد بلغ حجم العتاد الامريكي الذي صار بين ايدي "داعش" من تجهيزات أربع فيالق عسكرية(دبابات ومدفعية استراتيجية للميدان وسيارات "همر" و"الهامفي" وذخائرها الصاروخية) وعديد من الضباط السنة الذين لم يجدوا مفرا من أخذ مواقعم في جيش الخليفة ، لم ينس من سلّم الموصل ان يترك للخلافة ميزانية هائلة من المال تجاوز 450 مليون دولارا، لدرجة غدت معها داعش أغنى منظمة ارهابية في العالم بجيش تجاوز تعداده بعمليات الشراء والبيع عشرات الآلاف وعتاد عسكري ومنهوبات بترولية وآثار واستيلاء على ممتلكات جعلت منه قوة تعادل قوة اية دولة شرق اوسطية تتحرك في جغرافيا ارض عمليات من حدود ايران الى حدود لبنان.

كيف تم الامر؟ لقد تبدّت الحقيقة مع اعتلاء الخليفة منبر طلب البيعة، أن لا بعثا صدامياً ولا نقشبنديين ولا عشائر منتفضة لقد تبخر الجميع بالسيطرة والشراء والبيعة وإلا فالسيف.

فجأة تحولت "داعش" من قوة مسلحة تُهزَم هنا وهناك في سوريا الى قوة اقليمية عابرة للحدود لقد غدت " جيشا " أشبه ما يكون بقوات المارينز الأمريكان وهم يتجولون بسياراته المصفحة ودبابته واسلحته، التي وفرت لهم سيطرة قتالية سريعة الحركة.

كيف تم الامر؟ومن سهّل ؟ من أوحى؟ ومن أخرج هذا السيناريو الشيطاني ؟ أسئلة ستبقى في ذمة التاريخ ليوم تفكّ الجريمة مغاليقها.

هل أن هيئة أركان السفارة الامريكية الأخطبوط، بخبرائها ومدربيها وعملاءها في العراق، (وصحوات السفير روبرت فورد) كانت نائمة؟.

كيف تواقتت الصدف وتلاقت مصالح اطراف وقوى لا تعتبر اصدقاء بل من المفروض أنهم اعداء شرسين، فئة شيعية ثأرية، واخرى سنية جهادية تكفيرية ؟.

الغريب أن داعش للحظته، لم تقدم على مهاجمة قرية شيعية تتبع المالكي ما عدا قرى التركمان الشيعة والكرد الفيليين، لا بل سهّلت للمالكي بإجراء تصفية مذهبية في سامراء، لم يحدث يوما ان خاضت داعش معركة مع قوات الاسد ومناطق حاضنته الشعبية في سوريا. ولم تقدم على صراع مع حزب الله في سوريا او نفذت الى جهة شيعية في لبنان.لكن صار واضحا حيث تحضر "داعش" السنية، تحترق بيوت ومخيمات ومنازل ومساجد وتراث السنّة وتهدم مساجدهم وتفجر مراقدهم ويذبح نشطاء الثورة وقادة الجيش الحر على ندرتهم، لا بل حصل ويحصل دائما أن داعش في صراعها مع الكرد حظت و تحظى بدعم بقايا البعثيين والحاضنات العربية الموالية لسلطة الاسد وغيرها من المنظمات الجهادية، ضد قوات الحماية الشعبية الكردستانية في سوريا.

لن نخوض في الاجوبة بشكل مفصل الآن، بل نكتفي بطرح الاسئلة لحين ينطق بالأمر الرئيس مسعود البرزاني وحلفاءه من الامريكان والترك. فالسيد اردوغان وقد غدا رئيسا منشغلا بغزة ونسي تركمان عفرين واصدقاءه من قادة اقليم كردستان الذين طالما قدموا له الدعم وسهلوا دخول طائراته ودباباته لقتل الكرد في " قنديل".

بدا الرئيس مسعود البرزاني وهو يستقبل "المرجعيات الايزيدية" بعد سقوط "شنكال" في حالة عصبية وألم ظاهرين، وهو يعترف قائلا: بان المتسبّب ممن تهاون من قوات البيشمركة، الذي سلّموا او سهَّلو او تخلَّوا عن

الدفاع عن سنجار "شنكال" سيحاسبون الحساب الذي يستحقون.

إذاً، ليس جيش المالكي وحده من تهاون و سلّم الشعب لداعش بل أن ضباطا من بيشمركة حكومة الاقليم في شنكال أيضا ربما، سلموا ليس الشعب اليزيدي في شنكال وحسب، بل فتحوا ثغرة في خاصرة أمن اقليم كردستان كنوع من العقاب لسياسات مسعود برزاني في الانفصال والاستقلال بدولته او النأي بادارته عن المستنقع العراقي لدرجة غدا الاقليم حاضنة لخصوم ايران والمالكي من السنة العرب، اقول ربما مع فارق ان تكون قائد كتيبة وتهرب من مواجهة جيش جرّار وأن تسلّم اربع فيالق بغير قتال.

من هو المايسترو في هذه الاحجية الكارثية؟ أهو الجنرال الايراني قاسم سليماني قائد فيلق القدس والوزير المفوض الحاكم في سوريا والعراق**؟

السيرة الدراماتيكية لحضور وصعود داعش:

لم تأت "داعش" من فراغ ولم تسقط مثل طيور ابابيل من السماء السابعة، بل هي نتاج مختبرات وسجون وعمليات عسكرية بصيغة جهادية افرزتها حروب القاعدة**** واستطالاتها بين دول منشأ، ودول ممر، ومعابر، ومناطق استقرار في حضانتها العراقية التي تمخضت عن الاحتلال الامريكي للعراق وبقدر ما هي على خصومة مع الغرب فهي تتعايش معه بحكم تداخل المصالح الاستخباراتية ملثما يحدث لها مع ايران وباكستان ونظام الاسد وغيره وغيره...

حين استلمت داعش الموصل كانت تنتقل الى مرحلة جديدة في أشكال تحولات مواقع الصراع في الشرق الاوسط تواقت وبدء الحرب على غزة والاحراج الصامت الذي ران على حزب الله، وعجز المالكي عن فتح ثغرة في جبهة خصومه وتهيؤ "اردوغان" لخوض اكبر معاركه، الترشح لرئاسة الجمهورية التركية الجديدة والآمال التي بدأ يحسّها بشار الاسد في انتصار ملون يضفي الشرعية على ولايته الجديدة في ريف دمشق بهدنات طاعة تعزز مكانته عسكريا وسمعته دوليا.

وقد نتج عن التمدّد الداعشي الصاعق:

ـ لجم طموحات البرزاني الاستقلالية اليائسة وخلخلة دائرة خصوم سياسات المالكي والأجهزة الايرانية في العراق وسوريا وصولا الى انهاء ظاهرة "عرسال" اللبنانية.

ـ اعادت الحسابات وموازين القوى لصالح شرعية حكومة المالكي وما يمثله في العراق، عودة خصومه الشيعة (الحكيم والصدر) كما حكومة اقليم كردستان الى بيت الطاعة المركزي.

ـ سهّلت مرور فؤاد معصوم الطالباني الى رئاسة الجمهورية العراقية في وجه برهم صالح ذي الميول البرزانية تعويضا للسيد طالباني (حليف ايران) وحزبه عن الخسارة الانتخابية المهينة.

ـ وضع مستقبل الاستقرار والتنمية والافكار الاستقلالية لقادة اقليم كردستان على كفّ عفريت الاختناق بالمهاجرين وحمل مسؤوليات استيعاب مئات الآلاف من المهجرين فوق ما يحمل، وقد يكون ضمنهم خلايا نائمة تتبع داعش او من يموّلها فضلا عن عشرات الجبهات الحربية بقوات عسكرية أكبر تسليحا من قدرات بيشمركة الاقليم. في وقت كانت حكومة الاقليم تتهيأ للاستقلال والنأي بنفسها عن العراق الملتهب بنتائج سياسات مالكي الايرانية .

ـ أظهر ان الحليف الطبيعي لإقليم كردستان هو جبل قنديل وقوات الحماية الشعبية وليس اردوغان. وان الأمن الكردستاني ليس اغنية "يك مومك" وليست اعراسا احتفالية في آمد.

ـ وفي الوقت عينه، كانت حروب داعش المتنقلة بين "شنكال" وقراقوش ومخمور وزمار وعرسال، تحرّف الانظار عن جرائم اسرائيل في غزة وتريح سلطة بشار الاسد

اكثر مما هي مرتاحة، والذي على غرار المالكي لم يتوان في تقديم هدايا مجانية لدعم داعش في محيط الرقة وريفها (تسليم الفرقة 17 لداعش بتاريخ 2014/7/26 واللواء 93 بتاريخ 2014/8/7) ومطار الطبقة على القائمة، ذخائر واسلحة متطورة وعشرات الدبابات والمصفحات وقطع المدفعية والصواريخ والراجمات.

أن المحيِّر في الامر،على العكس من رَمي "جبهة النصرة" بالإرهاب والتطرف لم يحصل ان وجَّهت امريكا لعناتها الى داعش على غرار ما فعل السفير فورد في مقالته في الحياة .

كما لم يحدث أن قام خطاب داعش على اسقاط نظام الاسد بقدر ما حمل الصدقية لخطاب الاسد عن الجيش الحر وخصومه:

لقد انسحبت من الساحل بعد عدة اغتيالات مشبوهة لقيادات في الكتائب الاخرى قبل معارك الساحل بأيام لفتح جبهة اشكالية في الرقة مجددا بعدما كانت قد هدّأتها، ورمت بجل ثقلها على دير الزور التي كانت تحقق انتصارات ميدانية على السلطة، واجتاحت المناطق الكردية من كوباني الى تل كوجر، بعمليات مشينة: حصار ومذابح وتهجير ترافق وقطع الرؤوس للمدنيين الابرياء.والاستيلاء على حقول النفط في دير الزور والجزيرة وتشتيت قوى الجماعات المسلحة المناوئة للسلطة وتشويه صورة الاسلام السني باسمه بفتاوى المنع والجلد والرجم والتمثيل مما كان يضيف مصداقية على اعلام السلطة عن الثورة السورية. كما لم يحدث ان تعرضت سلطة الاسد لمراكز ومواقع داعش حتى وهي تدخل عرسال قادمة من القلمون باستعراض عسكري.

محطات تاريخية مفصلية:

في 16 / 11/ 2012 وفي زخم اعتراض نشطاء الثورة السورية على أسماء الجمع وعلى اسماء الكتائب المسلحة للجيش الحرّ ذات الصبغة الدينية الجهادية الماضوية، قامت الاجهزة التركية، في تل ابيض ومحيط حلب أدخلت الى رأس العين "سريكانية" الكردية مجاميع مسلّحة باسم الجيش الحر قادمة من "جيلان بينار" سري كانييه التركية ، مرفقة بدبابات وعتاد متطور وقامت بنهب صوامع الحبوب والاقطان واحراق ما لم تستطع نقله، والهجوم وحصار المدينة الكردية السورية ، فتصدت لها قوات الحماية الشعبية" و"الاسايش" التي استطاعت ان تظهر كحامية للمناطق الكردية بمن فيها من السكان العرب الاصليين والمسيحيين فتوسعت حاضنتها الشعبية مما اثار حفيظة الترك وحكومة اقليم كردستان واحزابه المهاجرة وكذلك ذعر "المجلس الوطني السوري" والنخوة العروبية لمكوناته ومثقفيه.

2012/12/23 وكانون اول 2013 عقدت اجتماعات سرية في "أورفة" بغطاء من المجلس الوطني السوري ورعاية جهاز "الميت" التركي، لتشكيل جبهات عربية تدعم الجهاديين (غرباء الشام وجبهة النصرة.....) في مواجهة اتساع شعبية ونفوذ قوات وحدات الحماية الشعبية

وفي 2013/2/5 يدخل وفد قادم من تركيا بغطاء من الائتلاف السوري لإجراء المصالحة بين الكرد والجهاديين العرب في رأس العين وكانت المهمة الخفية، نقل رسالة الى الجهاديين "جبهة النصرة" تحديدا، من تاجر البترول الدولي "ايمن الاصفري" بإمكانية شرائه نفط الجزيرة ودير الزور، عبر الاتحاد الاوربي، إن تمكنوا من الاستيلاء على آباره، مما ادى لاحقا الى هجمة جهادية فوضوية على حقول النفط والغاز ترافق وتصريحات ل"كاترين اشتون" بأن الاتحاد الاوربي مستعد لشراء البترول من الجيش الحر.

تواقتت هذه الاحداث في الداخل السوري بسقوط مدينة الرقة فجأة بأيدي ممن يسمون بالجيش الحر على اساس أنه تمَّ تحريرها،

وهلّل للتحرير المعارضون والمثقفون والنشطاء فضلا عن المعارضة المسترخية في استانبول والدوحة، فاذا بالأمر أشبه ما يكون بسقوط الموصل الذي تمّ بعد سنة من التاريخ ذاته، لقد أخلت السلطة المدينة بصورة هزيمة متفّق عليها بينها وبين المهاجمين (احرار الطبقة، لواء احفاد الرسول واحرار الشام، وانصار الله) وكلهم يحملون رايات سوداء، فاذا بان من سمّي بالجيش الحرّ ليس اكثر من فصائل احتياطية لتنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام "داعش" يقودهم قادة أرسلوا من العراق (حجب بكل من الخليفاوي وابو أيمن العراقي) وهم ضباط استخبارات وعمليات سابقون في جيش صدام وصاروا كوادر للزرقاوي وخليفته البغدادي.

تواقت الحدث وتشكيل الائتلاف السوري تهميشا للمجلس الوطني، وتوِّج بمقال للسفير الامريكي المولج بالملف السوري "روبرت فورد" في صحيفة الحياة باتهام "جبهة النصرة" بالإرهاب وضرورة محاربتها، شرطا لدعم الائتلاف بُعَيد تأسيسه نوفمبر 2012 وقبيل مؤتمر اصدقاء سوريا لدعم الائتلاف الذي عقد في المغرب بتاريخ 2012/12/13.والغريب في الامر أنه لتاريخ ما قبل اعلان دولة الخلافة لم يحدث ان صدرت وثيقة امريكية تدين داعش بالإرهاب.

تصدّى لفورد ومقالته هذا بغباء او تلبية لطلبات : الشيخ "معاذ الخطيب" الرئيس الدّمية للائتلاف اللعبة، والخطيب السابق للجامع الاموي.و"جورج صبرة" الممثل الشيوعي المسيحي في الائتلاف الذي سمَّى سلاح النصرة بالوطني المقاوم والنظيف.

مع بداية تموز 2013 بدأت داعش بتنفيذ مخططها الارهابي باختطاف واغتيال نشطاء الرقة وفي 2013/8/13 فجّرت داعش بعملية انتحارية، مقر لواء احفاد الرسول واخرجته من المدينة واستبيع ولاء عناصر قيادية لجبهة النصرة في المدينة لتداخل الحدود الشرعية الشكلية بين كل هذه التنظيمات حسب القدرات المالية التي تشتري قدرات عسكرية بفتاوى جهادية وغدت سجونها مثالا للهمجية بيّضت صفحة سجون اجهزة أمن الاسد تجاه معارضيهما فقد تبين ان معارضي الاسد هم في الوقت نفسه أعداء داعش.

ما بين اول آذار 2013 وحزيران 2014 أنجزت داعش وأميرها البغدادي (الذي تقاطر عليه حصرا، المقاتلون والمتطوعون الجهاديون من امريكا ومن أوروبا وآسيا الوسطى وأستراليا والقوقاز والمغرب والخليج إلى الشام من أجل القتال تحت رايته ،عبر الحدود التي تسيطر عليها امريكا الاطلسية وايران الشيعية)، اقول أنجزت ما كان مطلوبا منها تنفيذه: تهميش المعارضة السورية والجيش الحر، وشيطنة الثورة الشعبية الى حدّ النّدم. وتفتيت البلاد السورية الى بحيرات منفصلة يتصارع عليها أمراء حرب متأسلمون جَهَلة بل فاحشي الجهل بالدين .لكل منها أمير بصورة قاطع طريق او قاطع رؤوس او منتهك اعراض حالهم حال كتاب الشبيحة وحزب الله وابو الفضل عباس العراقية، جرت خلالها معارك عبثية جعلت من جرائم بشار الاسد و بقاءه ربما، مطلبا شعبيا صامتا تلهج به العقول وتخجل منه الاسماع.إذ لولا حجم فجور وطائفية قوى الاسد وحلفائه حزب الله والفصائل العراقية الاشد توحشا، لكان نظر اليه كمنقذ ربما من هذه الفوضى الجهنمية

خلال هذه الفترة (ظهور وصعود داعش) تدمّرت حلب فضلا عن اجتثاث حمص وفكّكت جبهات ريف حلب لصالح السلطة و سقطت "القصير" وجرت معارك القلمون ومسرحية اختطاف راهبات "معلولا" غير المبررة مثل معركة الساحل وكسب، بغير هَدف اللهم الا اعادة شدّ الطائفة العلوية والاقليات المذهبية والدينية بقوة حول الاسد وتبرير انصراف الدعم الدولي للشعب السوري وانتقال الادارة والقيادة للمعارضة من عملاء قطر الى اتباع السعودية وتفكيك منظومات الجيش الحر القيادية أكثر من مرة بانشقاقات صبيانية لهيئة الاركان والمجالس

العسكرية لم يكن للشعب السوري وثورته اي حول ولا قوة فيه.

شهادة :

("في مطلع 2013، مد رئيس الوزراء العراقي، نوري المالكي، اليد إلى بشار الأسد بعد خصومة، وأعلن تأييده. فهو كان يواجه انتفاضة سنّية في الأنبار ساهم في اندلاعها قسوة قمع السنّة وتهميشهم. واقتنص البغدادي الفرصة لمدّ «دولته» من العراق إلى سورية. ومواردها نمت باضطراد، ومصادرها تنوعت: النفط السوري وابتزاز الموظفين العراقيين وتجارة الآثار المسروقة من المناطق السورية المحررة وخطف الرهائن الغربيين وعمال الإغاثة وطلب فدية مقابل الإفراج عنهم. وأدركت «داعش» مترتبات جواره الجيو - سياسي، وهاجمت القوات الكردية التي سيطرت على كردستان سورية، فاستمال الحكومة التركية التي غضت النظر عن مرور السلاح والمجاهدين عبر حدودها. لكن أنقرة عدلت عن سياستها هذه مطلع 2014. ومن ميدان الحرب «الساخنة»، انتقلت «داعش» إلى منابر الإنترنت، واتهمت «القاعدة» بمهادنة الديموقراطيين.") صحافي ومراسل، عن «لوموند» الفرنسية، 2014/5/30، اعداد منال نحاس).

شكّل سقوط الموصل 2014/6/10 وتهجير المسيحيين بفتوى شيطانية الجزية او الاسلام او التهجير ومن ثم احتلال وترويع شنكال بداية آب 2014 ضربة قاصمة لسمعة مسعود البرزاني وحكومة اقليم كردستان وسمعة البيشمركة وأعيد فكرة استقلال حكومة كردستان الى مربع التفاهم وحكومة بغداد المركزية ، ولم يتوقف الامر هنا بل ان داعش بدأت بمعركة اشكالية جديدة حين أدخلت في 2014/8/2 قوات فائضة عن الحاجة الى القلمون السورية مجدّدا لصرف الانظار عن معاركه(القاضمة) في محيط اقليم كردستان اذ ظهرت طلائعه فجأة في "عرسال" اللبنانية رمز التعايش اللبناني الشعبي المتضامن مع ثورة الشعب السوري والحاضنة الشريفة لعشرات آلاف اللاجئين السوريين مما نتج عنه بغير مبرر منطقي او استراتيجي:

ـ من جهة ظهرت داعش بحركتها الاحتلالية بين الحدود الايرانية وصولا الى لبنان قوة اقليمية جعلت من جرائم اسرائيل في"غزة" حدثا ثانويا وكأنها اتت كعملية انقاذ لإخفاء جرائم اسرائيل ضد الانسانية.

ـ مرّ احتفال الاسد باليمين بغير منغصات تذكر بخدمات مجانية لسلطته ضد المزاج الشعبي وافكار الحرية والثورة.

ـ سهَّلت وبرّرت لعملية اخضاع شرعية لقوى 14 آذار لسياسات حزب الله عبر مغسلة الجيش اللبناني الشرعي ظاهرا ورفع العتب عن تقاعس حزب الله نجدة المقاومة في غزة مما كوفئ عليه بمليار دولار سعودي مشبوه.

ـ لقد اظهر سقوط " شنكال " المأساوي والدعم الكبير الذي تطوّعت به قوات الحماية الشعبية الكردية ي ب غ وقوات الكيريلا من "جبال قنديل" ان لا بديل للكرد في العراق عن اخوتهم الكردستانيين، وهذه هي لحظة تاريخية هل يرتقي الطرفان الكرديان الى حجم ومستوى الامن القومي الكردستاني؟

ما زالت المعارك قائمة بين قوات البيشمركة الكردية تساندها قوات الحماية الشعبية الكردية وقوات الكيريلا، بموازين قوى عسكرية وعتاد حربي غير متكافيء لصالح " داعش و" ومن يدعمها في حين يقاتل الكرد باللحم الحيّ والدفاع الذاتي من أجل البقاء، وفي الوقت الذي تشرّد داعش بحروبها مئات الآلاف ترمي بهم الى حدود الاقليم. تساهم الاعلانات الغربية الفرنسية بخاصة، باستعدادها لاستقبال المهجرين المسيحيين وكأنها تكمل مخطط داعش الترويعي: افراغ المنطقة من ثقافاتها وسكانها الاصليين بإضعاف المعنويات بتضامن نفاقي يقول ليس لكم الا الهجرة. في حين ان المطلوب بدل ذرف دموع التماسيح، هو الاعلان عن عملية اسناد ودعم وتسليح

لقوات الاقليم واعادة تأهيل وتنظيم المسيحيين والايزيديين في مناطقهم لحمايتهم في أرضهم مثلما فعلوا في "مالي"ومثلما فعل "فرانسواميتران" في "البوسنة وهرسك" وكوسوفو، وكذلك في اقليم كردستان العراق ايام صدام.

المواقف العربية المخزية !

في لحظة غياب كامل للعرب تجاه النقلة النوعية لجرائم وتهديدات داعش، تغدو الاستعدادات الغربية لاستقبال الضحايا المسيحيين والايزيديين، هو ما تريده داعش ومن يقف خلفها: افراغ الشرق الاوسط من مكوناته وثقافاته.يصبح القول الحق الذي يجب ان تتبناه الكنائس الشرقية ورجال الدين الشرفاء والمرجعيات الايزيدية والنخب الكردية هو: مطالبة الغرب والعرب، بدعم هذه الضحايا في أرضهم ومواطنهم التاريخية، واعادة تأهيلهم وتسليحهم ولو في صيغة انتداب دولي ونعلم انهم غير فاعلين، يبقى اهمية ضمّ جهودهم الى جهود حكومة اقليم كردستان العراق بتسليحها بأسلحة متطورة لأنها الوحيدة ذات المصلحة لأن تصبح عنصر حماية ورافعة انسانية لإعادة الثقافات الدينية والاثنية والمذهبية الى روحها الساميه بحمايتها واستقرارها في تربتها التاريخية أرض بلاد الرافدين.

كيف لنا ان نفهم للحظته؟ لمَ لَم تتحرك منظمة "اليونسكو" ولا رجالات الثقافة والاعلام الغربيين وحملة نوبل، دفاعا عن التراث الحضاري والثقافي لشعوب بلاد ما بين النهرين كلدانا وآشوريين وتركمان وكردا، مسيحيين ويزيدا وشبكا وصابئة ؟.

إن إرثا إنسانيا فريدا يتدمّر وينهب ويتاجر به على أيدي قوى محميّة من شياطين الدول الاقليمية واسلحة امريكية وغدا ستجد طريقها الى المتاحف الغربية.

كيف لنا ان نستوعب أن دولة مثل السعودية تتبرع فوراً خلال ساعات بمليار دولار للجيش اللبناني وهو يقصف سنّة لبنان والمهجرين السوريين؟ في حين لم تصل للحظته خيمة واحدة من دولة عربية واحدة لتستوعب كرامة مئات الآلاف من نسائهم وأعراض اخوتهم من المسلمين و العرب؟

هل العرب مساهمون في دعم "داعش" ؟ لا أظن أن ذلك من مصلحتهم، لكن من يأمرهم بغض النظر والخضوع؟

وإلام يرومون بهذه السياسات البلهاء، وعلى النقيض من مصالح دولهم الهشَّة وشعوبهم المهترئة في مواجهة حيوية قوة جهنمية مثل داعش ودولتها الخلافية تمرغ دينهم في مستنقع الجريمة بحق الانسانية؟

هل هناك من أوحى لهم بان هذه الفوضى الداعشية ستقبر والى الأبد فكرة الحرية والثورة لدى شعوب المنطقة والعرب خصوصا وتؤبدهم على كراسي الحكم؟

كلمة أخيرة: للحظته لم نسمع من مثقفين عرب طالما رَموا الكرد بالانفصالية والتغرّب أمريكيا واسائيليا ادانة ما؟

ليس المطلوب كلمات تضامن مع الكرد فلم نعد نحتاجها لطالما خيبتم شعوبكم واصبحتم تعيشون على فتات موائد حكامكم، بل لم نسمع موقف إدانة لداعش بشأن مجاز شنكال ونينوى بل استنكارا للعودة الى عبودية السبي وبيع النساء. نعم سمعنا كلاما معسولا عن تغنّيكم بمسيحيي العراق يُهجَّرون ونعلم جيدا ان هذا التغني لاستجداء الغرب المسيحي وهو ليس في وارد الاستماع اليكم فالغرب المسيحي الكاثوليكي لا يهمه المسيحي الشرقي وكنائسه الوطنية الاقدم والاثرى.

لكن ألا ترون أن الحاضنة الكردستانية سواء في العراق ام في سوريا هي اليوم، الحامية الوحيدة في الشرق الاوسط للثقافة التعدية الاثنية والثقافات الدينية والمذهبية التي قامت عليها؟ الا ترون أنه لن تقوم قائمة لدولة وطنية في العراق او في سوريا بغير المدماك الوطني الكردي؟

لماذا تكرهون الكرد لهذه الدرجة أيها الاصدقاءالنخبويون العرب؟

هوامش:

** الجهات الاسلامية في سوريا:*

أعلن عن تشكيل الجبهة الإسلامية في 22 تشرين الثاني 2013م من اتحاد فصائل إسلامية كبرى: تشكّلت الجبهة الإسلامية كقوة كبرى من 70 ألف مقاتل، (حركة أحرار الشام الإسلامية ـ جيش الإسلام ـ لواء التوحيد ـ ألوية صقور الشام ـ لواء الحق، كتائب أنصار الشام، الجبهة الإسلامية الكردية)، لتكون أساساً لاندماج شامل وحاضناً للحالة الإسلامية السورية المقاتلة.

جبهة النصرة التي أعلن عنها في 24 كانون ثان/يناير 2012 أول كيان واضح الايديولوجية ومنتشر على مستوى سوريا

تلاها قيام مجموعات إسلامية محلّية مثل لواء الإسلام وحركة أحرار الشام (جذور اللواء والحركة سابقة على الجبهة، ولكن إعلانهما كلواء وكحركة كانا بعد الجبهة)

وفي صيف 2012م بدأت تظهر تحالفات على مستوى وطني ايديولوجي معاً، فظهرت جبهة تحرير سوريا في أيلول 2012م (والتي أضيفت كلمة الإسلامية إلى اسمها لاحقاً)، والجبهة الإسلامية السورية في كانون الأول 2012م،

في 24 أيلول 2013م ظهر البيان رقم 1، أو بيان الـ13 ليعلن سحب الشرعية من الائتلاف ودعوة جميع القوى للتوحد تحت مظلة إسلامية، البيان الذي كانت القوى المشكلة للجبهة الإسلامية عماده الرئيس، وكانت جبهة النصرة ضمن الموقعين.

الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام

تأسس الاتحاد الإسلامي لأجناد الشام في 6 كانون الأول/ديسمبر 2013م، وهو مكوّن من: ألوية الحبيب المصطفى، كتائب شباب الهدى، تجمع أمجاد الإسلام، لواء درع العاصمة، ألوية وكتائب الصحابة، وبقيادة: أبو محمد الفاتح. يمثّل الاتحاد مع جيش الإسلام أكثر فصيلين عسكريين في دمشق وريفها، مع وضوح سيطرة جيش الإسلام أكثر في الغوطة الشرقية، ونشاط الاتحاد المكثف في المناطق الغربية من ريف دمشق مثل داريا والمعضمية، إضافة للمناطق الجنوبية من المدينة. ويحضر في الاتحاد تأثيرات من تيار التدين الدمشقي (جماعة زيد خاصة)، إضافة للمدرسة الإخوانية (دون الارتباط بالجماعة بالضرورة) والنَفَس الجهادي، مع غلبة فئة الشباب في القيادات، وترفع كثير من كتائبه علم الثورة السورية في راياتها.

ائتلافية الهوى والمال السعودي.- جبهة ثوار سوريا

أعلن تأسيس جبهة ثوار سوريا في 9 كانون الأول/ديسمبر 2013م، وكان "تجمع كتائب وألوية شهداء سوريا" بقيادة جمال معروف (الاسم الذي يثار حوله الكثير من الجدل بين المهاجمين له والمدافعين عنه)،

جيش المجاهدين أعلن عن جيش المجاهدين في 2 كانون الثاني 2014م في الليلة السابقة على إعلانه الحرب مع تنظيم دولة العراق والشام، وهو مكوّن من: تجمع فاستقم كما أمرت، كتائب نور الدين زنكي، الفرقة 19 . يمثّل الجيش تحالفاً ميدانيّاً بين قوى صاعدة وأثبتت تأثيرها في حلب وريفها تتبع قطر:رفضت الحركة قرار إقالة سليم إدريس.

حركة "حزم"

أعلن عن تشكيل الحركة في 26 كانون الثاني 2014م، بقيادة الملازم أول عبدالله عودة، وتقوم بشكل رئيسي على كتائب فاروق الشمال وفاروق حماة ولواء الإيمان مع كتائب محلية ضمن ريف حماة بشكل رئيسي، كان رئيس هيئة الأركان السابق سليم إدريس في فيديو إعلان الحركة.

***الجنرال الإيراني قاسم سليماني هو الحاكم السري للعراق*

تحت عنوان مثير يقول: "سلطته مطلقة ولا أحد يستطيع تحديه"، قدّمت صحيفة "الجارديان" البريطانية الجمعة تقريرا عن قاسم سليماني، الجنرال الإيراني الغامض صاحب النفوذ في العراق الذي وصل إلى حد أن البغداديين يعتقدون أنه هو الذي يحكم العراق سرًّا ويتحكم في السياسة الإيرانية المتعلقة بالعراق ولبنان وغزة وأفغانستان، حسب قوله

ويقول مراسل "الجارديان" من بغداد مارتن تشولوف: إن سليماني شكّل مصدر قلق وإزعاج

للقائد السابق للقوات الأمريكية في العراق الجنرال ديفيد بتريوس.

في مطلع عام 2008 وخلال سلسلة من المعارك بين القوات والأمريكية والعراقية من جانب ومليشيا الصدر من جانب آخر، تسلّم بتريوس رسالة نصية من هاتف محمول من الجنرال الإيراني، قائد "فيلق القدس"، الذي تحوّل فيما بعد إلى خصمه اللدود

الرسالة، التي سلّمها قائد عراقي بارز، تقول، حسب الصحيفة: "أنا، قاسم سليماني، أتحكم في السياسة الإيرانية المتعلقة بالعراق ولبنان وغزة وأفغانستان، والسفير الإيراني لدى بغداد عنصر من عناصر فيلق القدس، والسفير الذي سيحل محله عنصر أيضاً".

وتقول الصحيفة: إن بتريوس فهم مضمون الرسالة، فالكثير من العمل العسكري الأمريكي في العراق مع المسلمين الشيعة كان يتعرض للإعاقة من المليشيات الموالية لفيلق القدس الذي يقوده سليماني، وإن هذا التعويق اتسع ليشمل الجهود الدبلوماسية للحكومة الأمريكية في مواقع أخرى من الشرق الأوسط، وعلى الأخص لبنان.

وتشير الصحيفة إلى أنه في الوقت الذي يستعد فيه بتريوس لتسلّم مهامّ رئاسة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، لا بد له من الاستعداد أيضاً لمباراة في الملاكمة بين ظلين، فسمعة سليماني بوصفه الشخصية الأكثر قوة في المنطقة لم تتأثر أو تضعف، بل هي زادت في الحقيقة، إذ باتت سورية الآن ضمن نطاق نفوذ هذا الجنرال الإيراني الغامض والمتعاظم القوة

***بين «النصرة» و «داعش»

ويبدو أن «داعش» هو أفدح خطر يهدد «القاعدة» منذ أنشأها بن لادن في المناطق القبلية الباكستانية عام 1988، وهو عدوه اللدود الذي ينهشه من الداخل. وتعود العداوة بين «النصرة» و «داعش» إلى نهاية آذار (مارس) 2013، حين أعلن تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام» الاندماج مع تنظيم «جبهة النصرة» السوري، وعلى رأسه أبو محمد الجولاني. ولم يطل الأمر قبل مناوأة «النصرة» «الدولة الاسلامية» ورفضه الذوبان الكامل في جسم واحد وتمسكه بالحدود بين البلدين: كل يجاهد في بلده. وفي ملاذه الباكستاني، أدرك أيمن الظواهري الخطر الداهم، فانحاز إلى «النصرة». لكن «أبو بكر البغدادي» الذي لم يعلن البيعة للظواهري إثر مقتل بن لادن، لم يتراجع. وثمة خلاف قديم بين الرجلين، العقائدي المصري والزعيم العراقي الشاب الذي تتلمذ على «أبو مصعب الزرقاوي» المتحدر من الأردن. وهذا كان زعيماً ثانوياً في «القاعدة» في كردستان العراق عام 2002، ولكن سرعان ما تصدر القتال ضد الأميركيين في العراق في 2003، وقطع يد المقاول الأميركي، نيكولا بيرغ، في أيار (مايو) 2004. وشن الزرقاوي حملة مجازر (عمليات انتحارية) ضد الشيعة، لكن الظواهري عارض استراتيجيته التي تهدد بتحول الجهاد العالمي إلى فتنة إسلامية، فطلب منه العدول عن استهداف الشيعة. فلم يمتثل الزرقاوي، وقُتِل في غارة أميركية على ديالى في حزيران (يونيو) 2006. وأرسل الظواهري من يحل محله على رأس «القاعدة في بلاد ما بين النهرين»: أبو حمزة المهاجر (يوسف الدرديري) المصري. فاندمجت المنظمة بمجموعات صغيرة، وأبصر النور تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق»، في وقت بدا أن حظوظ المشروع الجهادي ذوت في العراق في نهاية 2006، مع استمالة الجيش الأميركي قبائل عراقية سنّية. وفي 2010، قُتل أبو حمزة المهاجر وأمير «القاعدة» العراقي. فأمسك البغدادي بمقاليد منظمة أصابها الوهن ولكن شوكتها القتالية لم تضعف. وثمة هوة أجيال بين الظواهري والبغدادي: فالأول عاصر الجهاد الأفغاني والثاني اشتد عوده في الجهاد العراقي. والمصري (الظواهري) منظر عقائدي لا يكل عن الكلام على نتائج الثورات العربية وتاريخ «الإخوان المسلمين» في مصر، بينما العراقي (أبو بكر) مقاتل شرس لا يرحم. وعنف البغدادي المنفلت من أي عقال يجذب المقاتلين. وهالة الظواهري المستمدة من هجمات الحادي عشر من أيلول لم تخبُ، لكن دالته معنوية وغير راسخة في ميدان معركة ويعيش خارج العالم العربي، وهو فقيه شؤون الجهاد البعيد (ضد العدو الغربي). وعلى خلافه، البغدادي عاصر إمارة الفلوجة حين سيطر المقاتلون على المدينة في 2004، ويتصدر أولوياته جهاد القريب، أي ضد العدو المباشر، أي المسلمين المعارضين لمشروعه.

وشاغل البغدادي الهوسي هو التجربة العراقية وبروز قوات الصحوة المناهضة لـ «القاعدة».

لذا، بادر إلى تصفية كل المعارضين والمنافسين في المناطق التي وقعت في قبضته. واستهدف «داعش» المعارضين العلمانيين والمجموعات الإسلامية على حد سواء. ونأت قوات الأسد بنفسها عن استهداف «داعش». ومقربون من نظام الأسد يشترون النفط من الجهاديين. ولكن هل «داعش» أداة من أدوات الأسد، على نحو ما يقول المعارضون العلمانيون؟ يرى خبير في الحركات الجهادية هو الباحث الفرنسي، دومينيك توما، أن هذا القول يغالي في الانزلاق إلى نظرية المؤامرة، وينبه إلى أن الجهاديين المطلق سراحهم لم يلتحقوا بالدولة الإسلامية. وإطار الحرب ضبابي ومتغير، كما يقول. ولكن مما لا شك فيه أن «داعش» جنّد كثيراً من البعثيين العراقيين السابقين، وهؤلاء صلاتهم وثيقة بدمشق..

وإثر تقارب مجموعات مثل «أنصار بيت المقدس» المصرية و «أنصار الشريعة» في تونس وليبيا في نهاية 2013 مع «داعش»، أيد الظواهري حرباً مفتوحة ضد منافسه البغدادي، وساند حملة «الجيش الحر» ومجموعات إسلامية كبيرة عليه نهاية كانون الأول (ديسمبر) المنصرم. وهذا ما لم يستسغه «النصرة». فأعلن هدنة ما لبثت أن سقطت إثر اغتيال «داعش» مبعوث الظواهري. وانتقلت نيران الحرب إلى داخل «القاعدة»، وانسحب «داعش» من حلب لكن مواقعه لم تضعف نتيجة تحالفه مع قبائل الرقة ودير الزور. وأخفقت حملة حكومة المالكي في الفلوجة، فوصل «داعش» إلى مشارف بغداد في نيسان (أبريل) الماضي. ولن يطول الأمر قبل أن يستأنف عملياته في سورية، ثم في الغرب. فـ «القاعدة» ماتت، وعاش تنظيم «قاعدة» آخر، هو «قاعدة البغدادي». و «القاعدة» اليوم هي الدولة الإسلامية في العراق والشام.

"صحافي ومراسل، عن «لوموند» الفرنسية، 2014/5/30، اعداد منال نحاس".

جبهة النصرة. جهاديون. داعش. فتح الإسلام

اعترف قائد "جبهة ثوار سوريا"، جمال معروف، بأن تنظيم "القاعدة" لا يمثل مشكلة له، كاشفاً أن قواته تحارب جنباً إلى جنب مع التنظيم ضد قوات الحكومة السورية.

وقال معروف لصحيفة (اندبندنت) الخميس، "إن القتال ضد القاعدة ليست مشكلتنا بل مشكلة خارج الحدود السورية، ويخوض مقاتلوه عمليات مشتركة مع جبهة النصرة، فرع التنظيم الرسمي في سوريا، وليست لديه أية مشكلة مع أي شخص يحارب النظام داخل سوريا".

واشار إلى أن جبهة ثوار سوريا التي يقودها "تقاسمت الأسلحة مع جبهة النصرة في معركة بيرود، رغم ندرة الإمدادات العسكرية".

واضاف معروف "إذا كان الناس الذين يدعموننا يطلبون منا ارسال الأسلحة إلى جماعة أخرى فسنقوم بارسالها لهم، وطلبوا منا قبل شهر ارسال الأسلحة إلى بيرود فقمنا بارسال الكثير منها إلى هناك".

ونفى أن تكون "جبهة ثوار سوريا" تتلقى دعماً قوياً من الولايات المتحدة، باستثناء دفعة مقدارها 250 ألف دولار "لتسديد الرواتب وتكاليف غرفة العمليات المشتركة في الأردن للجبهة الجنوبية في سوريا".

وقال معروف "حصلنا على الكثير من الوعود من الولايات المتحدة، ولا شيء أكثر من ذلك حتى الآن".

واشارت الصحيفة إلى أن قائد جبهة ثوار سوريا، عامل البناء السابق البالغ من العمر 36 عاماً، كان بين عدد قليل من القادة العسكريين الذين شاركوا في مفاوضات الجولة الثانية لمؤتمر (جنيف 2)، في كانون الثاني/ يناير الماضي.

وكان معروف قال في مقابلة مع صحيفة "ديلي تليغراف" الشهر الماضي، إنه حصل على أموال من السعودية والولايات المتحدة، لكنه نفى مزاعم تورطه بسرقات وجمع ثروة وامتلاك مجموعة كبيرة من السيارات الفاخرة لاستخدامه الشخصي من وراء الحرب الدائرة في سوريا منذ أكثر من ثلاث سنوات.

واضاف أنه "حصل على تمويل مقداره أربعة ملايين دولار في السنوات الثلاث الماضية من السعودية وأموال أخرى من الولايات المتحدة، وجرى توزيعها من خلال المجلس العسكري للمتمردين".

حروب دولة الخلافة

اعداد: عبدالله سعدون

ظهور داعش في المشهد الإعلامي ليس في ربيع 2013 وإنما هو اسم جديد لظاهرة قديمة بدأت من تنظيم ومن ثم إلى دولة ومن ثم إلى خلافه، وتأسست في بداية الحرب على العراق وكانت "داعش" في بداياتها تعمل تحت اسم "جماعة التوحيد والجهاد" بقيادة "أبو مصعب الزرقاوي" في العراق وبعد مبايعة الزرقاوي لأسامة بن لادن في 2004 أصبح أسمه تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين "العراق" والذي هو امتداد لتنظيم القاعدة في أفغانستان بن لادن، وبعد مقتل الزرقاوي "انتخب" أبو حمزة المهاجر زعيما للتنظيم. وبعد أشهر أعلن عن تشكيل "دولة العراق الإسلامية" بزعامته.

لكن القوات الأميركية نجحت في نيسان (ابريل) 2010 في قتل أبي حمزة المهاجر، ومن ثم انضمت الجماعة إلى تشكيل يضم ثماني جماعات عراقية مسلحة وسميت "مجلس شورى المجاهدين في العراق" وتم اختيار " أبو عمر البغدادي" أميرا للمجلس الجديد.

تعتبر داعش حالة متقدمة منبثقة ومنشقة عن القاعدة الأم لأسامة بن لادن وأيمن الظواهري وهي ليست وليدة اليوم بل بديل عن القاعدة وخاصة بعد فشلها في أفغانستان ومقتل بن لادن استطاعت ان تحصل على التمويل الضخم من جميع الدول التي تدعي مكافحتها للإرهاب ولان المصلحة الإقليمية تتطلب تمدد وبقاء داعش في المنطقة، وهي التي ساعدت على انتشار داعش خلال فترة قصيرة "بعد عام على ظهورها" تحت مسمى الدولة الإسلامية في العراق والشام .

فإيران مثلا تريد إظهار أن المجموعات الجهادية التكفيرية أخطر بكثير من الهلال الشيعي ، وليست لدى داعش الإمكانية على البقاء والمحافظة على وجودها وتوطيد حكمها لوحدها ، وبمجرد انكفاء المصلحة الإقليمية من مهمة داعش وتنظيم الادي حتى يتم بغدطرده من مناطق نفوذه كجسم غريب وغير شرعي في المنطقة كما حصل في تل كوجر على يد وحدات المنطقة بالتعاون مع العشائر العربية وكما حصل في مدينتي أدلب وحلب على يد الكتائب المعارضة للنظام السوري.

والحرب التي تقوم بها داعش عبارة عن حرب بالوكالة عن دول إقليمية في المنطقة أبرزها إيران ومن ثم سوريا والعراق وتركيا والسعودية وقطر في إطار الحرب السرية والخفية بين الغرب وهذه الدول فداعش باختصار وبحسب باحث ومحلل سياسي في شؤون الجماعات الإسلامية الذي شخص صورة الوضع في المنطقة بقوله: "نحن أمام لعبة أمم و"تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وآخرين هم أدوات لها" . وذلك بهدف نشر الفوضى ونشوب حرب الأقليات والاثنيات الرئيسة في المنطقة وضرب بعضها ببعض وحتى ظهر مصطلح "الحرب الأهلية الجهادية" أي بين الجماعات المتطرفة نفسها وذلك لتشكل كل منها منطقة خاصة بها تدير شؤونها كما تراها مناسبا لمشروعها وعقيدتها ونظامها وفق حدود ومناطق محددة لا يجوز وغير مسموح لها التوسع خارج الإطار المرسوم لها من قبل الدول المشتركة في هذه اللعبة الأممية.

وسقوط مدينة الموصل مؤخرا لها دلالات عدة, فالسنة بين خيارين إما الانضمام لداعش أو البقاء تحت الحكم الشيعي والسماح بالتمدد لمشروع الهلال الشيعي في المنطقة أو الخيار بين التمدد الداعشي "الدموي" في المنطقة أو تمدد مشروع الهلال الشيعي " المسالم" في المنطقة. وفي أحد التغريدات على صفحة التويتر يقول أحد المشرعين الإسلاميين ويدعو أبناء السنة في دمشق إلى الالتفاف حول الدولة الإسلامية " داعش" مبررا بأنها الوحيدة التي قامت بحمايتهم وبقية الفصائل قد خذلتهم.

"يا سنة دمشق ومجاهديها تذكروا أن الفصيل الوحيد الذي تبنى حماية السنة وأعراضهم وأموالهم هو الدولة الإسلامية في العراقوالشام والبقية قد خذلونا"

دلالات تسمية داعش لنفسها بالدولة الإسلامية.

بمقارنة اللفظ بين جمهوريّة إيران الإسلاميّة والدولة الإسلامية في العراق والشام والتشابه الكبير في المسمى له دلالات بأن داعش مشروع إيراني، وترك بصمات حتى في التسمية وهذا المشروع الشيعي من قبل كل من كل من سوريا والعراق ولبنان " حزب الله". هو لبناء النقيض ومحاربته فيما بعد أي بناء السبب ونقيضه حسب فلسفة برنارد هنري ليفي المفكر الفرنسي ، حيث قام ليفي بنشر كتابه في 2008/9/16 "يسار في أزمنة مظلمة: موقف ضد البربرية الجديدة" الذي يزعم فيه أن اليسار بعد سقوط الشيوعية قد فقد قيمه واستبدلها بكراهية مرضية تجاه الولايات المتحدة و"إسرائيل" واليهود وأضاف بأن النزعة الإسلامية لم تنتج من سلوكيات الغرب ضد المسلمين، بل من مشكلة متأصلة، وأن النزعة الإسلامية تهدد الغرب تماماً كما هددتها الفاشية يوماً ما... وأكد أن التدخل في العالم الثالث بدواع إنسانية ليس " مؤامرة إمبريالية" بل أمر مشروع تماماً ".

وما تشهده منطقة الشرق الأوسط وشمالي أفريقيا حاليا من خلال ما تقوم به داعش والدول الإسلامية هي ترسيخ لصورة الإسلام والمسلمين الجديدة في أذهان العالم وحتى في مجتمعات الشرق الأوسط ذاتها.

يبدو واضحا أنه إما يوجد تنسيق واضح بين شرطي الخليج " الفارسي" إيران وشرطي البحر المتوسط إسرائيل وإيران استفادت من خبرة هؤلاء الفلاسفة الغربيين اليهود وصنعت لنفسها إسرائيل " داعش" الخاصة بها لتمرير مشاريعها في المنطقة ودوام استمرارية نظام الحكم الخاص بها وللدول التابعة لها أيضا كـ سوريا والعراق ولبنان.

والعلاقة غير المعلنة بين داعش وإيران تخفي في طياتها "مشروع الهلال الداعشي والهلال الشيعي"والذي هو بطبيعته مشروع تمدد الشيعة على حساب سحق السنة في المنطقة.

وما ذكره الكاتب حازم أمين في مقال له لـ صحيفة الحياة عن طبيعة العلاقة بين داعش وإيران يقول: "فإيران التي اخترعت «داعش»، وقالت للسنة هذا هو حزبكم، أفرحتها السهولة التي قبل بها خصومها حزباً اختارته لهم. هناك الآن قوتان وحيدتان في المنطقة. هناك إيران و«داعش»، ولا شيء غيرهما أو بينهما. في سورية تصح هذه المعادلة إلى حد بعيد، وفي العراق هي حقيقة لم تعد قابلة للدحض".

وتريد إيران أيضا إظهار مدى خطورة المشروع السني المتمثل بـ داعش لشعبها الذي ثار ضد نظام الحكم فيها بعد انتخابات الرئاسة لعام 2009 حيث خرجت المظاهرات الطلابية لرفض نتائجها وسميت بالثورة الخضراء (حيث جرت مواجهات عنيفة ودامية بين الإصلاحيين والحكومة ،وعاشت إيران طيلة عام 2009 على صفيح ساخن تدخل على إثرها المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي في الأزمة ودعا الإيرانيين للتوحد وراء أحمدي نجاد الذي وصف انتصاره بأنه «تقييم إلهي»، لم يسفر عن أي نتيجة سوى المزيد من القمع ضد المعارضين، واستمرت تداعيات الأزمة في التضخم إلى وقتنا الراهن حتى صارت

ككرة الثلج، بل وصل الأمر إلى قيام متظاهرين بكسر أحد المحرمات السياسية الإيرانية فأحرقوا صور الإمام الخميني مؤسس الجمهورية الإسلامية والمرشد الحالي علي خامنئي في ذكرى يوم الطالب أوائل ديسمبر (كانون الأول)، و وصف المتظاهرون آن ذاك الرئيس أحمدي نجاد بـ«الدكتاتور» وهتفوا: «الموت للطاغية.. سواء كان الشاه أو الزعيم».

والأزمة التي شهدتها إيران كانت الأولى من نوعها بعد مرور عقود على قيام الثورة الإسلامية، وكانت الأخطر والأعنف منذ قيام الجمهورية الإسلامية قبل ثلاثين عاما، والتي كشفت بحسب عدة مراقبين عن عدة حقائق خطيرة في النظام الإيراني، لعل أبرزها أن كلمة المرشد الأعلى صاحب السلطة شبه المطلقة في البلاد لم تعد ملزمة عند نسبة كبيرة من الإيرانيين، خاصة بعد فشله في وقف الاحتجاجات، وأن تمتعه بسلطات واسعة لا بد أن يعاد النظر فيها. كما أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن النظام الإيراني ضعيف داخليا، رغم الهيبة الظاهرية التي يتباهى بها، وأكدت أن هناك صراعا بين المؤسسات المنتخبة والمعينة داخل النظام الحاكم، الذي أصبحت شرعيته منقوصة لدى كثير من الفئات في المجتمع، كما أسفرت عن تقارب ملحوظ بين الإصلاحيين ومن أطلق عليهم « المحافظون المعتدلون أو البرغماتيون»، وهو ما أدى إلى تفكك النخبة العليا الحاكمة.

ورغم تقليل العديد من المراقبين من تأثير تداعيات هذه الأحداث على طبيعة نظام الحكم الإسلامي في إيران على المدى القريب، فقد أظهرت أن هذه التفاعلات سوف تنتج تداعيات مؤثرة على مؤسسات النظام، لذلك تريد الآن القضاء عليها عقائديا من خلال إبراز دور داعش في المنطقة "السنية" على أنهم سيبيدون الشيعة ووجوب توحدهم تحت راية المرشد ونظام حكم الملالي الحامي الوحيد للشيعة في الشرق الأوسط ، ولاستعادة ثقة الشعب الإيراني بالنظام الإسلامي الشيعي المعمول به في إيران .

بشكل عام ان السياسة التي تتبعها إيران تسعى يكل قواها على دفع السنة نحو " التطرف" وقبول الشيعة على أنهم معتدلون ويتبين مدى استعمالها لداعش للتخويف وابتلاع فصائل جديدة معتدلة فالاعتدال بين الفصائل مرفوض يجب أن يكون الجميع إما داعش أو خارج اللعبة.

تماما كما استفاد النظام السوري أيضا من هذه اللعبة وكان شريكا فعالا في الإستراتيجية الإيرانية في استعادة الثقة بنظامه من قبل أفراد طائفته العلوية والسنية المقربة منها حيث تعرض النظام السوري إبان "الثورة السورية" إلى انحلال في المنظومة الأمنية والتآكل في بنية الطبقة العسكرية العليا والذين معظمهم من العلويين وقبل اشتعال المظاهرات في سوريا وبعد الغزو الأمريكي للعراق في 2003 كانت لسوريا الدور الأبرز في صناعة وتمويل الدولة الإسلامية في العراق قبل أن تصبح داعش، فسوريا كانت تغذي دولة الإسلام تحت قيادة الزرقاوي بالجنود اللازمين له لمحاربة أمريكا وضرب الشيعة في البداية لتأكيدهم أنهم سنة فالجهاديين في سوريا هم كانوا الأخ الشقيق واللبنة الأساسية في ظهور داعش ونقل الفكرة الجهادية من النظرية إلى الواقع لأول مرة في تاريخ الحركات الجهادية المتطرفة لتسمح لها بالسيطرة على مدن ومواقع غنية بالنفط ولتعلن بعد ذلك دولة الخلافة.

و قام النظام العراقي أيضا بنفس الخطوة خلال عدم تمكنه من قمع الاحتجاجات التي كانت ورائها العشائر السنية عام 2013 والتي كانت تلقى المزيد من التعاطف من السنة الذين كانوا إما من عشائر المنطقة أو من الضباط والشخصيات البعثية من النظام السابق الذين ظلوا خارج مظلة نظام الحكم الجديد في العراق بعد صدام نظام صدام من البعثيين السابقين، ولضرب هذه التظاهرات والتي أدت إلى ظهور انشقاقات داخل الشيعة في حكومة

المالكي فكان لابد له أن يضفي طابعا شرعيا لعملياته العسكرية في وجه هؤلاء المتظاهرين من خلال وصفهم بالإرهابيين والداعشيين و إن ذلك يمكن أن يبرر استهدافهم بعد إلباسهم عباءة داعش وفتح المجال أمام تمدد داعش لتسيطر على تلك المناطق ومن ثم إعادتها فيما بعد وإن لم يقم باستعادتها فبذلك تخلص من عدد كبير من المعارضين السنة، وهذه الإستراتيجية "تمدد داعش وحروبها للسيطرة على السنة والمناطق السنية" المتبعة بين كل من إيران وسوريا والعراق وحسب ما يتم الترويج له أنه تتم وفق إستراتيجية يقوم بوضعها مستشارون عسكريون إيرانيون بارعون في إدارة هكذا نوع من تكتيكات الصراع الحاصل في الدول الخاضعة لسيطرة الهلال الشيعي الإيراني وإلا لماذا يختفي جيش المالكي من مناطق في شمال العراق "جنوب كردستان " والحدود مع سوريا في ليلة وضحاها بينما يصمد في سامراء وحول بغداد؟! وتقوم داعش بربط مدن سوريا بالعراق ومسح جزئي لحدود سايكس – بيكو بعد قرابة المائة عام على تشكله هل هذا داعش أم شرق أوسط جديد ؟

وهذه السياسة التي تتبعها كل من سوريا والعراق في فسح المجال لداعش أو أي فصيل آخر شبيه به لتمدده وسيطرته على مدن يشبه إلى حدّ بعيد السياسة التي إتبعتها إسرائيل للتخلص من حركة حماس وانسحابها من مدينة غزة وإبقاء الوضع هناك بمعزل عن الضفة بسلطتين متنازعتين لكل منهما حكومة وموظفين في الضفة وقطاع غزة وكلا السلطتين فاشلتين غير قابلتين للحياة

وفي نفس السياق فان أمريكا تستفيد من داعش وحروبها فالرئيس الأمريكي باراك أوباما وفي تصريح له قال" المعارضة السورية المعتدلة ستلفظ المتطرفين" ويقصد بذلك داعش والنصرة ولكن عكس المتوقع تدهور الوضع في سوريا وأصبح أكثر سوءا والمتطرفين ابتلعوا المعارضة السورية والفصائل المسلحة التي كانت تنشط عسكريا في الأراضي السورية بدليل الحملة العسكرية التي قامت بها وحدات الحماية في تل حميس وتل براك وخلال حمايتها لأراضي غربي كردستان بدءا من سري كانية إلى تل علو وكرهوك فجميع الكتائب التي كانت تقاتل إما انضمت إلى داعش أو أفسحت المجال لتمددها في أراضي كانت تحت سيطرة هذه الكتائب كما في محافظة الرقة وتل حميس وتل براك ففي ليلة وضحاها اختفت معظم الأعلام ورموز الكتائب التي كانت تحارب الـ ي ب ك لصالح داعش، وتسليم القائد العسكري لجبهة النصرة مدينة أبو كمال الحدودية بين سوريا والعراق إلى داعش بدون قتال.

السياسة التي تمارسها واشنطن تجاه سوريا هي نفسها تجاه العراق وهي السماح لداعش بابتلاع جميع الفصائل المعارضة في هذه الدول مما يسمح لها بالبقاء لفترة أطول في المنطقة، فالفوضى وعدم الاستقرار في الشرق الأوسط هما الشرطان الأساسيان لبقاء واشنطن في المنطقة حتى نهاية القرن الحالي، فعندما تتحسن الأوضاع في أي بلد من هذه البلدان ويصل إلى حالة من الديمقراطية والاستقرار ستقوم هذه البلدان التي تستضيف قواعد وجنود أمريكيين على أراضيها بطرد الشركات الأمنية والنفطية التي تستولي على جميع مقدرات شعوبها تحت ذريعة حماية أمنها واستقرارها من الخطر المحدق بها ،ولذلك يجب أن تبقى هذه البلدان في حالة فوضى وعدم استقرار مستمرين و بحاجة إلى مساعدة من الدول عظمى.

وكما لجميع الأطراف السابقة دور في تمدد داعش لتركيا ونظام حزب العدالة والتنمية أيضا دور كبير في ذلك فالنظام التركي لا يحبذ التعامل مع داعش ولا يتفق مع نهجه ولكنه في نفس الوقت يقدم الدعم اللازم له كي يقوم داعش بتكثيف هجماته على الكرد وكانتوناته الثلاث في روج آفا وظهور الكثير من الضباط والجنود الأتراك في صفوف داعش خير دليل على الدعم الهائل التي تقدمه الحكومة التركية لداعش ففي العملية الأخيرة

التي جرت في مدينة سري كانية في قرية الراوية نشرت على الإنترنت صورة على الحساب الرسمي لولاية الرقة وعلى التويتر يظهر فيها أحد ضباط المخابرات التركية يقوم بتدريب عناصر من داعش وهم جنود أتراك لأن خريطة العمليات مكتوبة باللغة التركية وإلا كيف لهذا العدد من الجنود فهم ضابط يشرح لهم العملية بالتركية، والهدف من هذا الدعم التركي هو إسقاط المشروع الكردي المتمثل بنظام الادارة السياسية والقوة العسكرية الـ ي ب ك وبحسب خبر أوردته صحيفة آيدنليك التركية: " جهاز المخابرات التركية (الميت) يزود داعش بضباط متقاعدين من القوات الخاصة التركية مقابل مبالغ مالية".

وبعد سقوط الموصل بعدة أيام في قبضة داعش أثار حفيظة الأتراك ويبدو أنهم بدؤوا بالخوف من هذا التمدد وخاصة بعد أسر عدد كبير من أفراد السفارة التركية والجنود الأتراك وحتى السفير التركي على يد داعش ويبدو أن الأتراك يحاولون إبراز فصيل آخر أقرب إليهم من داعش وهو جبهة النصرة الذي هو فرع تنظيم القاعدة في سوريا وتركيا مسرورة بالتعامل معه كونها كانت الطفل المدلل على مدى سنتين إبان توجيه تركيا جبهة النصرة حلال حربها على وحدات الحماية في مدينة سري كانية.

فبعد عدة أيام من سيطرة داعش على الموصل قام الأردن أيضا بإطلاق سراح الشيخ أبو قتادة الذي هو أحد أبرز منظري الجماعات السلفية الجهادية للقاعدة وأخواتها حيث حكمت محكمة أمن الدولة الأردنية ببراءة ابوقتادة و أنقرة أيضا قامت بشطب " النصرة" من قائمة "الإرهاب"

وذلك بحسب ما ذكرته صحيفة "جمهورييت" التركية، في خبر أوردته، يوم الأربعاء في يوم 19 يونيو من العام 2014، أن أنقرة أزالت اسم "جبهة النصرة" والتنظيمات المرتبطة بها من قائمة "المنظمات الإرهابية" التي تعتمدها السلطات التركية.

وأوضحت الصحيفة أن قرار شطب جبهة النصرة من قائمة التنظيمات الإرهابية، اتخذ خلال جلسة لمجلس الوزراء في 16 يونيو من العام نفسه، مبينة أنها استقت معلوماتها من "الجريدة الرسمية" التي تصدرها الحكومة، والتي خلت قائمة الإرهاب فيها من اسم "جبهة النصرة".

والأمر اللافت أن قرار الشطب يأتي بعد أقل من 15 يوما على قيام حكومة أنقرة بتصنيف "جبهة النصرة" ضمن قائمتها للمنظمات "الإرهابية".

دلالات هذا الخبر أنه هناك بوادر لحلف يتم التحضير له لكبح جماح داعش من خلال اتفاق حصل بين الدول الغربية من جهة ودول إقليمية كسوريا والعراق لضرب هذا التنظيم وإيقاف تمدده بعد أن خرج عن السيطرة ونفذ المطلوب منه خلال تقسيم المنطقة وبث الفوضى والخراب المرجو منها.

تريد تركيا أعادة تفعيل جبهة النصرة في وجه داعش بعد الخسائر الكبيرة التي منيت بها النصرة في دير الزور وهذه السياسة تشبه إلى حد بعيد السياسة الأمريكية في أفغانستان والتي كانت تقوم بدعم القاعدة ضد الاتحاد السوفيتي آن ذاك، ولكن المفارقة باعتقادنا أن تركيا تخطأ خطأ جسيما جراء هذه السياسة الخاطئة لأن الولايات المتحدة عندما قامت بدعم القاعدة في وجه الاتحاد السوفيتي لم يربطها بأفغانستان أي حدود جغرافية وكانت بعيدة آلاف الكيلومترات عن مسرح العمليات هناك ولكن تركيا تقوم بدعم الجماعات الجهادية وتفتح حدودها ذهابا وإيابا في وجه المتشددين.

وهذا الأمر ينذر بكارثة ستعود على الدولة التركية وما ستؤول إليه الأوضاع في هذا البلد بعد تعرض المنظومة الأمنية والعسكرية والسياسة لأي خلل في المستقبل في حال وصول الفوضى والنزاعات إليها واستفاقة

الخلايا الجهادية النائمة على أراضيها فالشعب التركي يختلف عن نظيره الغربي من حيث المعتقد فتركيا دولة إسلامية بينما الغرب والولايات المتحدة على عكسها ديانتها مسيحية والجماعات المتشددة ستستغل هذه المقومات وستشكل لها حاضنة شعبية وأرضية تستند إليها للانتشار والتمدد داخل الأراضي التركية.

فتحت شعار دولة الإسلام باقية وتتمدد تلتهم داعش الأخضر واليابس في الشرق الأوسط وتقوم بترهيب السكان من خلال نحر رؤوسهم ومن خلال شهادة راعي غنم قدم إلى كانتون الجزيرة الذي قال بأن داعش "تقطع أصابعنا لمجرد تدخين سيجارة"

قام النظام السوري وبعد السيطرة على الموصل بعدة أيام بقصف مواقع لداعش في محافظة الرقة وقيل فيما بعد أنه قام بقصف أهداف داخل الحدود العراقية وهذه التحولات المفاجئة لها عدة دلالات منها عدم السماح لهذا التنظيم بالخروج عن السيطرة وخاصة أن الجنود في الطبقة السفلى يؤمنون إيمانا راسخا بأنهم يقاتلون في سبيل الله والجنة وقيام مشروع دولة الخلافة في المنطقة وإلا لماذا هذا الكم الهائل من الأشخاص الذين يريدون نسف أجسادهم في مناطق " الكفار" والأمراللافت للانتباه أن الكثير من هؤلاء يريدون "الاستشهاد" في سبيل الحواري وخير دليل الفيديو الذي نش على الانترنت لشخص يدعى أبو ياسين الفرنسي الذي يروى قصة رؤيته للرسول والحور العين وأوصافها حيث يتحدث باللهجة المغاربية العربية ويصف ما شاهده:

"بأنا كنت مصابا رأيت الجنة في البداية رأيت الجنة وفيها الكثير من الأخوان " المجاهدين "الذين كانوا هنا في الشام يلعبون في الجنة ويضحكون ويلعبون وفي مية تحت الأرض وإخوان كثير سبحان الله ومن ثم أبو ياسين يقوم بالتركيز والتأكيد على رؤيته للحواري مبتسما ابتسامة عريضة والخجل على وجهه قائلا: رأيت حواري جميلة يا إخوان والله جميله والشعور بالسعادة لا تفارق وجهه ويكمل كان عندها عين كبار وكحل ويكمل حديثة "شفت صدرها البزون ويردد كبير كبير جدا جدا... جميلة والله يإخوان جميلة وشفت كل شيء من جسدها وهي تلبس حجاب زرق على الشعر وهي جميلة كثير جميلة ومسستها خصرها ويرد مذهولا جميل كل شي جميل والله كل شي جمل ويضيف مسكتها وقمت بالجماع معها خمسة مرات ويقول أنه أثناء العملية الجراحية والإخوان شاهدين أنه كان في حالة جنابة حقيقة"

وتقوم داعش بالتغرير بالكثير من الأشخاص نتيجة الدعاية التحريضية وفتاوى التكفير فداعش تتمدد بنعت أعدائها بالتكفير تارة والتخويف تارة أخرى.

الإستراتيجية العسكرية التي تتبعها داعش بعد سيطرتها على مناطق جديدة وازدياد نفوذها على الأرض طبقا للشعار الذي تعلنه على صفحات المروجين لها والذين يؤكدون دائما بأن دولة الإسلام باقية وتتمدد مرات بالترغيب والإغراء ومرات بالتخويف والتهديد والترهيب، ويقومون بتطبيق شعار باقية وتتمدد حرفيا فإن تنظيم داعش من خلال حكمه للمناطق التي تحت سيطرته منذ حوالي العام قام بإنشاء المحاكم الإسلامية والشرطة الإسلامية ومراكز الخدمات الإسلامية "لإدارة شؤون العباد" بحسب زعمها وللمزيد من التوضيح مثال ذلك حين أراد السيطرة على الموصل قام بتحويل الرقة والجبهات على أطراف مدن وكانتونات روج آفا إلى مراكز الدفاع عن مناطقها وإيقاف العمليات الهجومية وهذه الإستراتيجية تبينت من خلال متابعة تطورات الأحداث في المنطقة والتي بينت أن داعش لا تستطيع إدارة حربيين في آن واحد وخاصة أنها تقول أنها كانت تحارب جبهة النصرة في دير الزور وعلى عكس وحدات الحماية التي هي القوة الوحيدة التي استطاعت هزيمة داعش في شريط حدودي يمتد لأكثر من 800 كيلومتر واستطاعت أيضا إدارة حرب في ثلاث جبهات عفرين كوباني

الجزيرة وصدت هجمات داعش في كوباني لوحدها في أكثر من ثلاث محاور قرابة العام.

واللافت في أمر داعش أنها قام بإزالة الحدود بين كل من العراق وسوريا خلال غزوتها الأخيرة في الموصل وباعتقادنا أن داعش أوقعت نفسها بين فكي كماشة النظامين السوري من الغرب والنظام العراقي من الشرق وبحدود داعشية محاصرة متى ما أفضى الجانبان العراقي والسوري بمشاورة إيرانية طبعا إلى اتفاق حول الانتهاء من دور داعش فسيتم سحقه خلال أيام بعد الانتهاء من خدماته طبعا.

وتبقى مدينة بغداد الحلم الأكبر للداعشيين وأميرهم البغدادي "كما يحبذ أن يلقب بـ أمير المؤمنين" لما تحمل هذه المدينة من قيمة معنوية تتمثل بكونها كانت عاصمة للخلافة الإسلامية لمئات السنين وإذا ما استطاع البغدادي السيطرة عليها سيعلن بذلك دولته "دولة الخلافة" التي مركزها بغداد تمهيدا لمبايعته أميرا للمؤمنين والتمدد باتجاه كافة الدول التي كانت في السابق تشكل الإمبراطورية الإسلامية والتي كانت نواتها ومركزها بغداد.

سقوط حدود سايكس - بيكو

ويبدو أن سقوط حدود سايكس – بيكو سيخلق حالة مشابهة كما جرت الحالة في فلسطين عندما غض الغرب والدول العظمى آنذاك الطرف عن التوسع الإسرائيلي وقضم المزيد من الأراضي العائدة للفلسطينيين وما تم السيطرة عليها آنذاك شكل حدود دولة إسرائيل الحالية، ويبدو أنه في مرحلة إعادة رسم المنطقة من يملك القوة للسيطرة على هذه الأراضي ستشكل حدود لدولته المستقبلية وهذا إن نجح في نيل رضا وشرعية إقليمية ودولية.

وفي تصريحات لرئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون للإذاعة الإسرائيلية في نوفمبر/تشرين الثاني 1998.

قال"يجب علينا التحرك بسرعة لانتزاع أكبر قدر ممكن من قمم التلال(الفلسطينية) من أجل توسيع المستعمرات (اليهودية) فكل ما سنأخذه اليوم سيبقى لنا وكل ما لن ننجح في انتزاعه سيذهب لهم."

حروب دولة الخلافة ضد كانتونات روج آفا

أن الاختراق الهائل من قبل كل من الدول الفاعلة على الأرض في الحرب السورية الدائرة منذ 3 سنوات التي تقوم بإرسال أفراد من جنودها " القدامى" للانضمام إلى داعش وتقوم بواسطة هؤلاء الجنود بتوجيه الكتائب الداعشية نحو مناطق تحددها كما حصل في قرية الراوية فالذي كان يقوم بتدريب لعملية الكمين في القرية "ضباط أتراك" ،ومقتل عمر فاروق التركي على يد وحدات الحماية في قرية الجزعة و باعتراف صفحات داعش كان من مدينة إسطنبول وكان سابقا في قوات الكوماندوز التركية وقاتل في صفوف جبهة النصرة 3 سنوات ومن ثم انضم إلى داعش ونفس الحال ينطبق بالنسبة لإيران والعراق والسعودية وقطر والكويت والإمارات فلكل دولة جناح ورجال في صفوف هذا التنظيم، فالنظام السوري بتشكيله غرباء الشام في سري كانية ومن خلال هذه الكتيبة قام بتوجيه بقية الكتائب للدخول في حرب طاحنة مع الكرد متمثلة بقوات الحماية الكردية من خلال التحريض والشحن الطائفي والعرقي والمذهبي.

بين قانون اجتثاث البعث"السنة" سياسيا واجتثاث السنة عسكريا وعمليات التحريض والشحن الطائفي تمارسها إيران والسعودية ليلا ونهارا في مواجهة بعضهما الآخر ورئيس الوزراء العراقي نوري المالكي يقوم بالحشد الطائفي من خلال "تنظيف" الجيش العراقي من السنة بعدما قام "بتنظيف" السنة سياسيا وإقصاءهم بعد سقوط نظام صدام من خلال قانون اجتثاث البعث المعروف، وبهذا لم يتم دمج السنة فعليا وانخراطهم بالعمل السياسي بل ظلوا مجرد جنود وضباط مهمشين انضموا

إلى الجيش العراقي الجديد فقط للعيش ولقاء بعض من المال ولأنهم أيضا يملكون خبرة عقود من حكم صدام وبذلك كان التخلص آن ذاك صعبا ومعقدا وبعد مرور 11 عام على سقوط صدام لم تكتف الطبقة الشيعية الحاكمة باجتثاث البعث والذي من تحت ستار هذا الاجتثاث كان يتم اجتثاث "السنة" بل وبعد أول فرصة سانحة أي بعض سيطرة داعش على الموصل وهروب أكثر من 28000 من الجنود والضباط قام المالكي بتشكيل جيش عقائدي طائفي خالص من الشيعة وبهذا تم إتمام العملية الثانية من اجتثاث السنة من الجيش أيضا.

أن مجمل التطورات السياسية في السابق والتي تحولت إلى تطورات ميدانية "عسكرية" بحتة قد تفضي إلى حصول إعادة صياغة للخريطة الجغرافية والسياسية في الشرق الأوسط وإعادة تقسيم المنطقة في أماكن وإعادة تركيبها في أماكن أخرى فبهذه الحالة هل يمكن لشعب عاش في ذهنية سلطة في دولة عربية مثل سوريا ويتحد مرة أخرى في دولة أخرى كالعراق فهل هذه الشعوب مستعدة لإعادة التجربة الوحدوية. وبالنسبة للكرد سيكونون الرابح الأكبر من مجمل هذه التطورات السريعة إذا ما استطاعوا إدارة المرحلة الحساسة من تاريخ المنطقة بشكل متوازن وعدم تشكيلهم خطر على شعوب المنطقة وبالنسبة للأطراف السياسية الرئيسية الفاعلة على الساحة الكردية

والولايات المتحدة والغرب بشكل عام ليس لديها أية مشكلة في التعامل مع الجماعات المتشددة كالنصرة وداعش فهي مادامت تحافظ على تدفق النفط وخطوط النقل وهي لا تحتاج إلى إبرام عقود معها لشراء النفط بل هذه المجاميع على استعداد لبيع النفط بأي أسعار وبأي شكل كان مادامت تجني من ورائها بعض من المال ولهذا فإن حروب النفط والجهاديين شرطان أساسيان في دوام واستمرارية الفوضى في الشرق الأوسط.

والرابط المشترك بين كل من سوريا والعراق هو نظام البعث والاثنان مستفيدان من داعش الأول مازال ممسكا إلى حد كبير بزمام الأمور والسلطة ومازال قائما ويريد أن يبين "لشعبه"مدى الفرق بين نظامه ونظام داعش والثاني سقط بعد الغزو الأمريكي ويريد الرجوع إلى السلطة على صهوة حصان داعش.

فالحرب التي تدار الآن رحاها في الشرق الأوسط اجتازت مراحل الحروب الكلاسيكية التي كانت للسيطرة على الأراضي أو حكم الشعوب ومناطق بعينها فالحرب التي تدار الآن هي على المنابع النفطية ومكامن الغاز و يبدو أنها تتطور شيئا فشيئا لتصبح حربا على المياه وبوادرها بدأت بالظهور، فمن المعارضة السورية المسلحة إلى النصرة ثم داعش التي سيطرت على أغلب آبار النفط في مدينة دير الزور وسيطرت على خطوط الأنابيب الممتدة بين كركوك وتركيا أي نستطيع القول بأن الحرب الأهلية بين الفصائل الجهادية لن تنتهي مادام في هذا القرن تستطيع وبكل سهولة السيطرة على الذهب الأسود ومن غير المستبعد أن يتشكل هناك في القريب العاجل داعش سوريا وداعش العراق ويتقاتلان فيما بينهما على الموارد وقد تتطور الأمور إلى أن يتم تصفية الكثير من القيادات من الصف الأول لداعش وذلك سيتم باتفاق مع الدول الداعمة لداعش ومديريها الفعليين وقتل البغدادي ليس بالأمر الصعب وقتله قد يغير الكثير من الموازين على الأرض نظرا لما لدية من السيطرة على جميع مفاصل التنظيم وحول التنظيم إلى سلطة مركزية أكثر من اللازم يكاد يكون فيها بمثابة العقل والأعضاء والجسم وكل شيء وإذا ما تم القضاء عليه تم الانتهاء من التنظيم نهائيا إلا أن يتم صنع شخص آخر تحت مسمى آخر وما سيفعل بهذه المنطقة.

لحروب التوسع لدى داعش حدود فجميع الدول التي تدعي مكافحتها للإرهاب لا تفعل ما يلزم للجم هذا التوسع ولكن ما إن يقترب هذا

التنظيم من الخروج عن السيطرة أي الحدود المسموح له يتم ضربه فورا تحت ذريعة مكافحة الإرهاب.

المظالم التي تعرض لها السنة في ظل حكم المالكي دفعهم للانضمام إلى داعش وداعش تستفيد ممن هذه المظالم خلال تجنيده للسنة بحجة محاربة الشيعة وإيران والمحور الشيعي يقوم بضرب هؤلاء بحجة محاربتها للإرهاب. اذ تقوم كل من طهران وبغداد ودمشق بقمع كل المناوئين والمعارضين لهم في الداخل والخارج تحت شعار مكافحة الإرهاب وذلك لتبرير عملياتها العسكرية ضدهم ونجح هذا المحور في عسكرة الانتفاضات الشعبية التي خرجت للإطاحة بهم.

الحالة الكردية والمتمثلة بالأحزاب الرئيسية الكبيرة الفاعلة على الساحة الكردية لا تستطيع الاستفادة واجتياز هذه المرحلة الصعبة والفرصة التاريخية في آن واحد بمعزل عن بعضهم البعض فلوا تحركوا هذه المرحلة

وفق تنسيق مشترك وتوزيع الأدوار فيما بينهم بشكل فعال فسيصبون كافة التحولات الجذرية في مصلحتهم وسيضيفون مكاسب حقيقة أكثر من الذي تحققت إلى حد الآن.

المشكلة في داعش أنه لا يمكن بأي شكل من الأشكال انخراطهم في العمل السياسي في المستقبل حتى ولو تم القضاء عليهم فقد قاموا على مدار عدة سنوات من تشكيل أرضية لنظامهم الخاص بهم ونشر فكرهم بدون قيود أو عوائق ولذلك فالمنطقة برمتها يبدو أنها تتوجه نحو الأفغنة أو شبيهة بالنموذج الباكستاني وحتى الصومالي واليمني كل يوم يمر عليها يزهق مئات وحتى الآلاف من الضحايا المدنيين.

ان فشل مشروع الشرق الأوسط الكبير أمريكيا استطاعت داعش إكماله جهاديا حيث تقوم بإزالة الحدود من جهة وربطها من جهة أخرى وإذا ما لاحظنا أن داعش لا يصف نفسه بتسميات عربية بل يعتبر نفسه مشروعا أمميا إسلاميا، وإذا ما أردنا معرفة الآلية التي يتحرك بها هذا التنظيم لابد لنا معرفة الهيكلية التنظيمية للقاعدة الأم والتي هي عبارة عن ثلاثة طبقات وليست لها قوة تنظيمية ومركزية واحدة في الواقع ولكن في العلن تظهر أن زمام أمورها ومفاصل إدارتها بيد أميرها بن لادن إلى الظواهري إلى " الخليفة أمير المؤمنين إبراهيم أبو بكر البغدادي".

فالسياسة الأمريكية مبنية حاليا على التناقضات في المنطقة، ورواد هذا الفكر أمثال هنتنغتون في كتابه " صراع الحضارات، وبرزنسكي مستشار الادارة الأمريكية والباحث الاستراتيجي في التسعينات والذي قسم العالم كرقعة شطرنج من أقصى جنوب آسيا إلى الشرق الأوسط ووضع برنامجا لأصحاب القرار في أمريكا يتمحور في صناعة السبب وبناء التناقضات والرد عليها، ودعم القاعدة التي هي نتاج أنكلو – سكسوني، والتي تتألف من ثلاثة طبقات:

- طبقة المخابرات ومثيلاتها (باكستانية وأمريكية)

- طبقة القواد وهم ظاهرون ومعروفون "أسامة بن لادن – الظواهري – البغدادي"

- طبقة الجنود وهم المقاتلون ولا يعرفون سوى قياداتهم والطريق إلى الجنة، ومثال ذلك في أفغانستان فالمخابرات الأمريكية كانت تعطي الأوامر إلى المخابرات الباكستانية وهي بدورها تعطي أوامرها لقيادات القاعدة التي تعطي الفتاوى لتنفيذها من قبل هؤلاء الجنود، والدولة التركية قامت بتوجيه أبو عمر الشيشاني وسيف الله الشيشاني لإنشاء فرع من القاعدة الخاص بها والذي سمي بجيش المهاجرين والأنصار الذي أنضم إلى داعش فيما بعد، وإبان الحرب على العراق في 2003 قامت إيران بتوجيه فرع القاعدة الخاص بها المتمثل بداعش وتمويلها، وسوريا قامت بتدريب وتوجيه جبهة النصرة وأرسلتها إلى العراق ثم عادت بها إلى سوريا وكل هذه الدول قامت بدعم وتمويل جماعات القاعدة

وأخواتها لكي تحمي نفسها من السقوط والتدخل الخارجي العسكري الغربي.

ان سيطرة داعش على دير الزور بعد تسليم مدينة البو كمال في ريف ديرالزور بدون معركة من قبل قائد جبهة النصرة هناك، جعلت الكثير من الكتائب بمبايعة داعش دون قتال وهذا يشكل مصدر ضعف لداعش بنظرنا وليس قوة، لأنه كلما قامت داعش بالتهام الفصائل والجنود الذين لا يؤمنون بعقيدتها ومنهجها، يؤدي ذلك إلى المزيد من فقدان السيطرة على هؤلاء الجنود، وينفتح المجال أمام الانشقاقات في صفوف داعش بين مؤيد ومعارض لفكرة التوبة والانضمام فيما بعد إلى صفوف داعش مما يشكل خطراً على الجسم العسكري لداعش الذي سيؤدي إلى انهياره في حال إصابة أميرها "أبو بكر البغدادي" أو قتله في المستقبل وهذا السقوط إن حصل سيكون نتيجة مركزية السلطة والقرار الشديدين المرتبطة بشخص البغدادي حيث تقوم الدائرة المقربة من البغدادي "المجلس الشرعي الأعلى لداعش" بإدارة شؤون التنظيم عمليا وتقوم بإبراز عظمة وقوة البغدادي على أنه الرأس الأكبر لصناعة القرار في التنظيم وليست هؤلاء.

- نعتقد بأن قطار الفوضى الذي يعصف بمنطقة الشرق الأوسط سيمتد إلى العام 2020، ويبدو أنها ستتوج بحرب بين القاعدة وأخواتها وإسرائيل بعد أن تحكم هذه الفصائل سيطرتها على المناطق الحدودية بين إسرائيل والعرب من بينها الأردن ومصر, وليس بالضرورة أن تكون " داعش"، فقد يتشكل تنظيم آخر فبحسب القيادي والمنظر البارز للجماعات السلفية والقاعدة المعروف بـ أبو مصعب السوري والذي هو بالأصل من ريف حلب، فإن القاعدة لها مشروع حتمي على ستة مراحل: المرحلة الأولى بدأت خطواتها الأولى من التشكل والسيطرة على مناطق في أفغانستان ومن ثم التمدد في آسيا والوصول إلى الشرق الأوسط في 2003، قد اجتازت بذلك 4 مراحل إلى العام 2006 والمرحلة الخامسة بدأت خلال السيطرة على الرقة والموصل, أي أرض الشام والعراق وستنتهي بالوصول إلى أرض إسرائيل لتبدأ بالمرحلة السادسة والأخيرة، وهي التمدد إلى أوروبا وأمريكا للسيطرة على العالم أجمع. وبوابة تمدد داعش نحو الغرب أوربا وأمريكا تمر عبر تركيا، ولأن روج آفا وكردستان هي التي تقع بين هذه الحدود فهذه الجماعات ترى بأن الكرد يقفون سداً منيعاً وعائقاً أمام مشروعهم الجهادي العالمي للوصول إلى الدول الغربيةكما تعتقد هي.

المصادر

- *صفحات الانترنت، يوتيوب*
- *موقع التواصل الاجتماعي التويتر*
- *جريدة الشرق الأوسط 2009 نهاية عقد : إيران: عام «الثورة الخضراء».. وكسر المحرمات*
- *ويكبيديا الموسعة الحرة عن الفيلسوف الفرنسي برنارد هنري ليفي*
- *قناة العربية الحدث برنامج سؤال وجواب*
- *موقع العربية نت خبر بعنوان صحف : أنقرة قامت بشطب "النصرة" من قائمة "الإرهاب"*
- *مقال للكاتب حازم الأمين نشرت في جريدة الحياة بعنوان « داعش»... أو طالبان بر الشام على أبواب بغداد*
- *كتاب لعبة الأمم لـ مايلز كوبلاند الفقرة تم ورودها في ص 19*
- *الطبقات التي تقوم بإدارة داعش نشرت في مجلة دراسات كردية الصادرة عن مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية العدد – 1 - بعنوان 2014 بعيون مركز روج آفا NRLS ص 98 العمود الثاني.*
- *قائمة الفصائل والكتائب والمجاميع الجهادية المكونة للدولة الإسلامية كما نشرها أحد الحسابات الداعمة لداعش على الانترنت يدعى ابو بلال الحمصي وهو ناشط إعلامي لداعش.*
- *النص الأصلي لصحيفة آيدنليك موجود على الرابط التالي ترجمها إلى العربية سلطان تمو*

http://www.aydinlikgazete.com/mansetler/45308-mitten-iside-parali-asker.html

العنف في الثّورة السوريّة

د. سليمان أوزاعي

باحث لبناني

ان تداخل العنف القائم على هوامش الثورة السورية يضخّمها ويصعّب على المراقب تمييز الفرق. فمثلاً كان العنف السياسيّ الجهاديّ قائمًا قبل الثّورة ولم يكن فاعلًا في أشهرها الأولى. ويجب تمييزه عن العنف المسلّح كمسارٍ دُفعت إليه الثّورة بأوساطها المدنيّة الرّئيسةً.

استحوذت مظاهر العنف في الثورة السوريّة، والتي تزايدت بشكلٍ مطّرد منذ بداية عام 2012، على اهتمامٍ سياسيّ وإعلاميّ واسع، كونها أضحت أحدَ المؤشّرات الدالّة على ديناميّات اجتماعيّة قديمة تعبّر عن نفسها بعد انكشاف غطاء الدولة، أو على أخرى جديدة تحصل خلال الثّورة السوريّة أو ترافقها، ولم يعد بالإمكان تجاهلها أو غضّ الطّرف عنها. وقد اختلطت المواقف وطريقة التّوظيف السياسيّ للمظاهر العنفيّة الجارية ما بين النّظام السياسيّ القائم والمعارضة، إذ دأبت آلة الضخّ الإعلاميّ الرسميّة والخاصّة ضمن أساليب الدّعاية السياسيّة على الرّبط ما بين الثّورة الشعبيّة (بشقّيها الاحتجاجيّ المدنيّ والكفاحيّ والمسلّح) وبين تلك المظاهر العنفيّة بخلفيّاتها المتنوّعة الجنائيّة، والجهاديّة، والطائفيّة أيضًا. في حين كان خطاب المعارضة السياسيّ والإعلاميّ يتّهم السّلطة بتدبير هذا العنف ضمن نسقٍ ديماغوجيّ واستيراد نظريّة المؤامرة إلى صفوف المعارضة بشكلٍ يسمح لها بالتهرّب من مواجهة هذه المظاهر باعتبارها تحدّيًا مجتمعيًّا آنيًّا ومستقبليًّا تتطلّب معالجته قيادة سياسيّة تعي المخاطر الرّاهنة وترسم إستراتيجيّة ديمقراطيّة واضحة لتجاوزها. وقد عزّز عنف الدولة الوحشيّ وغير المسبوق من قدرة القوى الثوريّة على اتّهام الدولة بتدبير بعض الأحداث العنيفة حتّى تلك التي لا تتحمّل المسؤوليّة عنها.

يتعرّض الشّعب السوريّ منذ بداية الثّورة إلى سياسة قمعٍ أمنيّ شامل تجلّت في إطلاق النّار على المتظاهرين بشكلٍ منهجيّ ومثابر، وبالتّعذيب، ثمّ بقصف المدن والأحياء المأهولة والتّدمير والتّهجير. ولا يجوز لأيّ تحليلٍ لمظاهر العنف في الثّورة أن يغفل الحقيقة الأساس، وهي عنف النّظام ضدّ المجتمع والإنسان، وهو عنف شامل وغير محدود بقوانين أو قيم أو روادع. لقد تحوّل الصّراع في سورية إلى صراعٍ مسلّح نتيجة لإصرار النّظام على خيار القمع المسلّح طوال أكثر من عامٍ ونصف، وإنّ انتشار الظّواهر العنفيّة على هامش الصّراعات المسلّحة ليس بالأمر الشاذّ، لا سيّما حين يتسلّح الشّعب ذاته، بما في ذلك قطاعاته الاجتماعيّة المهمّشة أيضًا. الأمر الذي يفرض تفحّص السّياقات التي أنتجتها وحفّزت تسارعها، خاصّةً وأنّ تعميمات علميّة تمّ إطلاقها لتفسير صيرورة هذه المظاهر العنفيّة واندفاعها. ومن أبرز تلك التّعميمات تصنيف الثورة السوريّة ضمن إطار الثورات الريفيّة الراديكاليّة، إذ يستند البعض في مقاربتهم إلى توصيف إريك هوبزباوم في كتابه " عصر الثورة" عن ثورات الفلّاحين، والتي برأيه تكون واسعة وعديمة الشّكل، تحصل فجأةً ولكنّها لا تقاوم. إذ تتحوّل "فورة" أو " هبّة" الفلّاحين النّاجمة عن تململهم على خلفيّة سببٍ مثير إلى تشنّجٍ لا سبيلَ إلى ردّه ينتقل بعدها إلى انتفاضة في البلدات، والمدن،

والأقاليم تنأى عنها الطّبقة الوسطى كونها تحمل موجةً من الذّعر الاجتماعيّ التي تنتشر بصورةٍ غامضة وسريعة في أرجاء البلاد كافّة[1].

لقد عرفت الأقطار العربيّة ثوراتٍ من هذا النّوع بدأت كثورات ريفيّة، أو انحسرت في الرّيف في نهايتها وينطبق عليها هذا التّوصيف. ومنها ثورة الرّيف لعبد الكريم الخطابيّ، وثورة الشّمال السوريّ (1919-1923)، والثورة الفلسطينيّة (1936-1939) ولاسيّما في نهايتها.

بيد أنّ التوصيف السّابق يشوبه الكثير من القصور في فهم الثّورات الشعبيّة العربيّة الحالية. فربّما يشكّل الفقر محرّكًا للاحتجاج، وقد يعلن عن نفسه كقوّة غاضبة تنفجر، ولكن ليس بالضّرورة أن ينتج ثورات ترفع شعارات سياسيّة. فغالبًا ما يكون الاحتجاج النّاجم عنه غير منظّم وغير مسيّسٍ بالضّرورة وينتج انتفاضات مطلبيّة على غرار "انتفاضة الخبز" في مصر عام 1977، وانتفاضة الخبز في تونس عام 1984، أو انتفاضة المحلّة الكبرى في مصر عام 2008، وأحداث الحوض المنجميّ في تونس عام 2008، والتي يستطيع النّظام السياسيّ قمعها وتُذكر من دون أن تترك أثرًا سوى في توصيات لجان التّحقيق. ويصحّ في حالاتٍ أخرى أن تكتسب انتفاضات الفقراء صفة الاستمراريّة التراكميّة وتشكّل مدخلات ضاغطة على النّظام السياسيّ فقط في حالة وجود فئات واعية سياسيًّا بين الطبقات الفقيرة تستطيع توظيف طاقة الاحتجاج الاجتماعيّ لتعبئة الفقراء على مستوى الهويّة أو على مستوى الوعي الطبقيّ بهدف تنظيم عملٍ سياسيّ مثابر[2]. ما عدا ذلك فإنّ الفقر وغياب التّنمية قد يقومان بدور سلبيّ كونهما يهمّشان فئات سكانيّة واسعة عن الشّأن العامّ وعن التّأثير السياسيّ، ويدفعانها إلى الخمول والفراغ الثقافيّ وسهولة التبعيّة للنّظام القائم نتيجة الانشغال بتلبية الحاجات القائمة[3].

تأسيسًا على ذلك، فإنّ توصيف الثورة السوريّة ضمن الثّورات الريفيّة، أو انتفاضة الفلّاحين وأحزمة الفقر في مجتمعاتهم المحلّية غير دقيق إذ لم يكن الفقر والتّهميش دافعيها الأساسيّين، ولا كان الرّيف منطلقها، بل ساهم التّهميش الاقتصاديّ الاجتماعيّ في دفع الجماهير للمشاركة في ثورة سياسيّة منذ بدايتها. فالثورة السوريّة توطّنت في أطرافٍ مهمّشة ومفقرة مقابل مركزٍ قويّ اقتصاديًّا وسياسيًّا (العاصمة). لكن من فجّرها وأطّرها وأكسبها طابعًا سياسيًّا عواصم المحافظات (مراكز الأطراف) حيث يوجد طبقة وسطى، وفئات مثقّفة ذات وعي سياسيّ راغبة في إنتاج التّغيير تشبّعت بإشعاع ثورتيْ تونس ومصر، فتولّت قيادة الحركة الاحتجاجيّة وتنظيمها قبل أن يلتحق بها الرّيف السوريّ والهوامش الطرفيّة للمراكز المدينيّة التي تشكّل أحزمة الفقر. ولقد كان جمهورها الأساسيّ من الفئات المتضرّرة اقتصاديًّا من سياسات النّظام الاقتصاديّة النيوليبراليّة في مرحلة حكم بشّار الأسد، ولكنّها لم تكن ثورة ريفيّة ولا اقتصرت على الرّيف. ولم تعق الفوارق الطبقيّة والاجتماعيّة تحوّلها إلى ثورة وطنيّة عارمة باعتبار أنّ القضايا المتعلّقة بالاستبداد هي ذاتها. وبذلك يكون مسار الثورة السوريّة في بدايتها يشابه الثورة التونسيّة، وتكون تجربة مدينة درعا التي فجّرت الثورة السوريّة والتي تعدّ المركز الإداريّ والاقتصاديّ لسهل حوران تشابه تجربة سيدي بوزيد في تونس مع اختلافٍ بسيط يتعلّق بهامش العمل النقابيّ والحزبيّ، ووجود نشطاء حزبيّين وسياسيّين كان لهم تجارب سابقًا في اتّحادات ونقابات وأحزاب سرّية ونصف علنيّة بشكل أكبر من مدينة درعا[4].

وعليه، بالإمكان القول إنّ الثورة السوريّة هي ثورة شعبيّة وطنيّة قادتها عواصم المحافظات، درعا، وحمص، وحماة، وإدلب، ودير الزّور، واللاذقيّة، وأحياء رئيسة في مدينة دمشق، ومدن ريف دمشق التي يضلّل اسمها، فهي ليست ريفًا بل هي مدن مهمّشة مثل عواصم

المحافظات. من ثمّ انتقلت المبادرة إلى الرّيف حين تحوّلت الثّورة إلى حمل السّلاح بفعل إصرار النّظام ومثابرته على الحلّ الأمنيّ وعلى إطلاق النّار على التّظاهرات السلميّة، لكن المدن بقيت حتّى بعد الانتقال إلى الكفاح المسلّح مشاركة بقوّة، وقد قادته في حالات عينيّة هي حمص ودير الزّور ودوما.

وانطلاقًا من "مدنيّة الثّورة" ووجود شريحة شابّة عصريّة تفاعلت مع الثورات العربيّة، ولاسيّما الثورة المصريّة والتونسيّة بإمكاننا تفسير الظاهرة السلميّة في الثوة السوريّة التي تميّزها عن الثورات الريفيّة تلك التي لا تعدّ ثورات احتجاج في شكل تظاهرات وتجمّعات مدنيّة، بل غالبًا ما تكون ثورات راديكاليّة، ليس لأنّها تحمل طابعًا عنيفًا يعكس واقع البنى الاجتماعيّة التقليديّة الذي تنشأ ضمنه بل لكونها تفتقد إمكانيّة التأثير في المجال السياسيّ العامّ من دون تنبيه العاصمة أو مدن الأقاليم لوجوده بقطع المواصلات أو بالإغارة واقتحام المدن بالسّلاح أو غيره. وإضافةً إلى ذلك، فلا شكّ في أنّ الثورة السوريّة قد انتشرت في الأرياف بقوّة بعد عواصم المحافظات والمدن والبلدات الصّغيرة.

في الأشهر الأولى من الثورة، استهدفت الحملات الأمنيّة الشّرائح الشبابيّة المثقّفة بالاعتقال والقتل، لإبعادها عن الحركة الاحتجاجيّة السلميّة، ولقطع رأسها السياسيّ، وتسهيل قمعها واحتوائها. وبعد تواصل القمع الأمنيّ والعنف السلطويّ ضدّ التّظاهر السلميّ والاحتجاج السياسيّ بدأت التّفاعلات الاجتماعيّة تنتج مظاهر عنفيّة، بعضها دفاعيّ لشبابٍ في مواجهة نهج الإذلال والإهانة في سلوك القوى الأمنيّة قاد إلى حمل السّلاح وتشكيل كتائبَ مسلّحة ضمّت المتطوّعين الأهليّين والعسكريّين المنشقّين، وأناطت بنفسها مهمّة حماية التّظاهرات السلميّة وردّ الاقتحامات العسكريّة. وساهم في ذلك أيضًا انشقاق عناصر وضبّاط في الجيش السوريّ وانضمامهم إلى صفوف الثّورة.

ومع توسّع الصّدام مع النّظام الذي ركّز على قمع الثّورة كوظيفة رئيسة للدّولة في هذه المرحلة غابت سلطة الدّولة عن مساحاتٍ جغرافيّة كبيرة من البلاد، وأدّى ذلك إلى بروز مظاهر عنفيّة اجتماعيّة أسهم ضعف المجتمع المدنيّ المواطنيّ، وانحدار آليّات الضّبط الاجتماعيّ في إذكائها على شكل جرائمَ وأفعال جنائيّة، وبعض الأعمال الطائفيّة. وقد وجدت مظاهر عنفيّة لجماعات جهاديّة يمتدّ تاريخها إلى ما قبل الثّورة، وانضمّت لمناصرتها من منطلق عدائها المتأصّل للنّظام والسّابق للثّورة، وليس التزامًا بمطالب الثّورة وشعاراتها وأهدافها.

لا يهدف التّركيز على هذه المظاهر وفحصها، وتفهّم سياقاتها المجتمعيّة إلى تبريرها، وإنّما إلى فصلها عن مسار الثورة الاحتجاجيّ والمسلّح الدفاعيّ، وانتقادها والتنبّه إلى تداعياتها السلبيّة مجتمعيًّا ومخاطرها على الإطار الوطنيّ الجامع للثورة السوريّة. فالخطورة الحقيقيّة هي أن تجد هذه المظاهر الأرضيّة الثقافيّة التي يرتكز عليها مسارها العنفيّ، وتغذّيه وتمدّه بكلّ المبرّرات التي يحتاج إليها لاستمرار وجوده. وينطبق ذلك أيضًا على الجرائم الطائفيّة الكبرى، إذ لا بدّ من الوقوف عليها وتمحيص أسبابها ودوافعها كونها تكرّرت، مستفيدةً من الحاضنة الشعبيّة المغذّية ثقافيًّا للاتّجاهات التقسيميّة، والتي تعزّز مفهوم الهويّات الفرعيّة على حساب الهويّة الوطنيّة الجامعة.

داعش ومسار الحرب السورية

د. عبدالعزيز بن سعدى

كيف غيرت القاعدة 'معالم الحرب في سورية' مقال كتبته سارة بيرك، المراسلة الصحافية لمجلة الإيكونوميست والعاملة في مشروع الشرق الأوسط للبحث والمعلومات قالت فيه 'تحدث إلى أي سوري على الحدود السورية- التركية هذه الأيام وفي أقل من دقائق يتحول الحديث إلى ' داعش' وهو الإسم المختصر بالعربية للمنظمة المعروفة باسم ' الدولة الإسلامية في العراق والشام'، والمرتبطة بالقاعدة، والجماعة المثيرة للخوف التي اجتاحت شمال سوريا- وقامت بفرض قوانين الشريعة، واعتقلت بل وقطعت رؤوس سوريين رفضوا تطبيق نسختها الطهرانية عن الإسلام، وقامت بشن حرب على منافسيها في الفصائل الأخرى. وفي بداية كانون الأول / ديسمبر قامت الجماعة بقتل صحافي أجنبي، ومصور عراقي هو فيصل الجبوري الذي كان يعمل من شمال سوريا. ويعتبر أفراد التنظيم استخدام كلمة ' داعش' إهانة لهم ويعاقب من يتفوه بها بثماني جلدات كما قال لي أحد المقاتلين الجرحى وعمره 23 عاما من جماعة منافسة والذي تحدث إلي من سريره في مستشفى ميداني سوري في تركيا'.

إعادة التفكير

وتضيف الكاتبة في مقالها الذي نشره موقع 'نيويورك ريفيو أوف بوكس' ' غيرت داعش منذ ظهورها في نيسان / أبريل الماضي مسار الحرب في سوريا، وأجبرت الفصائل السورية الرئيسية المقاتلة للقتال على جبهتين، وقامت بتعويق المساعدات الإغاثية ومنعت دخولها إلى سوريا، ومنعت نقل الأخبار للخارج. وبصعودها للسلطة فقد أجبرت الولايات المتحدة وحلفاءها الأوروبيين على إعادة التفكير باستراتيجية الدعم المتقطع التي تقدمه للمقاتلين المعتدلين في سوريا، وكذا إعادة التفكير في خطابها الداعي للإطاحة بالرئيس الأسد. وبعد أشهر من تجنب الجماعات الإسلامية في سوريا، تقول الإدارة الآن إنها تريد التحدث مع الجبهة الإسلامية، التحالف الجديد من جماعات المقاتلين المتشددين، لأن الجبهة قد تثبت قدرة على العمل كحاجز ضد داعش'. وأشارت الكاتبة إلى تصريحات رايان كروكر التي نقلتها عنه صحيفة ' نيويورك تايمز' والتي دعا فيها لإعادة النظر في الموقف من النظام السوري لبشار الأسد. وأدى صعود داعش بالحكومة الأمريكية والبريطانية لتعليق المساعدات ' غير الفتاكة' للجيش الحر في شمال سوريا. ونقلت عن دبلوماسي غربي قوله ' ينظر لسوريا الآن باعتبارها مشكلة أمنية، وليست حول التخلص من الأسد ومساعدة السوريين على تحقيق ما يريدون تحقيقه'.

الرقة

وتقول الكاتبة إن تأثير الدولة الإسلامية في العراق والشام مثير للدهشة، إذا أخذنا بعين الإعتبار وصولها المتأخر ومشاركتها في الصراع، ' خذ مثلا المدينة الواقعة في شرق سوريا، والتي سيطر عليها في البداية مقاتلون ينتمون إلى جماعات مختلفة في بداية آذار / مارس 2013. وعندما زرتها في ذلك الشهر كان يحكم المدينة تحالف من الفصائل وكان من السهل التحرك حيث التقيت امرأة علوية

بدون حجاب على رأسها، والتقيت ممرضة علوية تعمل مع زميلات سنيات لها، وتحدثت إلى عبدالله الخليل، وهو محام كان معروفا في المدينة قبل الحرب، واستمر كرئيس للمجلس المحلي بدفع رواتب عمال النظافة، وكان يحاول تأمين تمويل لاستمرار عملهم'.

كل هذا تغير في غضون شهرين 'فقد أصبحت داعش تحكم بشكل مطلق، وقامت الجماعة بإعدام ثلاثة من العلويين في الساحة العامة للمدينة، وأعلنت عن إنشاء محاكم للشريعة وقوات شرطة، وتم اختطاف عبدالله الخليل، رئيس المجلس المحلي من داعش أو من بعض حلفائها. وأمرت النساء بتغطية الرأس، وحظرت التدخين، وأعلنت عن الفصل بين الطلاب والطالبات في المدارس، وتمت ملاحقة أبناء الأقليات وإجبارهم على الخروج من المدينة، ولم يعد الصحافيون وعمال الإغاثة مرحبا بهم، وهناك عشرات منهم في قبضة داعش'.

أكبر القوى المقاتلة

وترى الكاتبة أن الشهور التي تبعت سيطرة داعش على مدينة الرقة، أصبحت فيها 'الدولة' من أقوى الجماعات العاملة على الأرض في سوريا على الرغم من عدد مقاتليها المتواضع والذي لا يزيد عن 7 آلاف مقاتل. وبدأ التنظيم يتوسع شمالا على طول الحدود التركية، وفي آب / أغسطس قاد مقاتلو التنظيم الفصائل الأخرى وداهمو قاعدة منغ القريبة من مدينة حلب. وبعد ذلك هاجمت الدولة فصائل أخرى وسيطرت على بلدات استراتيجية في الباب، أعزاز وجرابلس وأطمة وهي مدن حدودية تعتبر معبرا للخروج إلى تركيا والتي 'أصبحت إمارات صغيرة'.

وتقول الكاتبة ' بحسب المقاتلين السوريين وعمال الإغاثة والمدنيين الذين تحدثت إليهم، فهم (داعش) يستخدمون هذه المدن الإستراتيجية للسيطرة على من يخرج أو يتحرك لخارج سوريا. وعندما زرت الجانب التركي من الحدود كانت الشاحنات مصطفة في طوابير تمتد لأميال، وكان السائقون ينتظرون نقل المواد للسيارات السورية على الجانب الآخر، فلم يكن السائقون راغبين بدخول البلد. ومن جانبهم، تحدث المدنيون السوريون والمقاتلون الذين عبروا الحدود من سوريا لتركيا برعب عن نقاط التفتيش التي أقامتها داعش 'لا أحد يستطيع منا الذهاب لأي مكان' قال عامل إغاثة لقيته في أنطاكية'.

نذير شؤم

وتقول الكاتبة إن توسع سيطرة الدولة الإسلامية كان نذير شؤم للجيش السوري الحر 'الذي اعتمد منذ فترة على المعابر من تركيا لشمال سوريا، فقبل عام كانت الجماعات المقاتلة التي تقاتل تحت لوائه غير منظمة وتتصرف بطريقة سيئة، لكن معظمهم كانوا معروفين، على الأقل في هدفهم الرئيسي وهو الإطاحة بالرئيس الأسد وبناء دولة وطنية لكل السوريين مع حركة التظاهرات التي بدأت عام 2011. وفي الوقت الذي كانت فيه الجماعات السلفية تلعب دورا مهما في النزاع عام 2012 كان معظم مقاتليها من السوريين ويعتبرون جزءا من المجتمعات التي ظهرت فيها فصائلهم'

بالمقارنة ' فداعش جماعة ذات بعد دولي وموقف متشدد حول الحكم الإسلامي وأظهرت استعدادا لمواجهة السوريين الذين لم تعجب بهم، سواء كانوا من مؤيدي المعارضة أم النظام، ففي أيلول / سبتمبر قامت داعش بالإطاحة بالجماعة المعتدلة، أحفاد الرسول في الرقة، واعتمدت في هذا على التفجيرات الإنتحارية. وقامت بإخراج مقاتلي ' عاصفة الشمال' من بلدة أعزاز الحدودية، وخاضت معارك مع الجناح العسكري لحزب الإتحاد الديمقراطي في شمال شرق البلاد، مما لم يعط أي مجال للشك حول قوتها والضرر الذي تركته على حركة التمرد'.

وتشير الكاتبة إلى الوضع الصعب الذي وجدت الفصائل المعتدلة نفسها فيه واضطرت في 19 كانون الأول / ديسمبر إلى اصدار

بيان اتهمت فيه داعش 'باختطاف الناس بسبب عدم انصياعهم لأوامرها' وأشار البيان إلى ان التحالف لا يعتبر داعش جزءا من المعارضة لان ما تقوم به من أفعال لا يخدم إلا مصالح النظام.

ولاحظت الكاتبة أن 'تبرؤ' التحالف من داعش يتناقض مع ترددها مع جماعات أخرى تحمل مواقف متشددة مما يظلل الطبيعة القائمة في العلاقات والتحالفات على الأرض، فالتحالف تنصل من جبهة النصرة التي اعتبرتها الإدارة الأمريكية جماعة إرهابية واليوم يقيم التحالف علاقة غير واضحة.

الجذور العراقية

وتتحدث الكاتبة أيضا عن جذور داعش العراقية، حيث تعتبر امتدادا للدولة الإسلامية في العراق والتي يتزعمها أبو بكر البغدادي، 'المتشدد العراقي الطامح والذي أشرف على سلسلة من الهجمات في العراق والتي أدت لمقتل الكثير من المدنيين، واسمه على قائمة الإرهاب الدولي الصادرة عن الخارجية الأمريكية عام 2011 بجائزة على رأسه قيمتها 10 ملايين دولار، ومع تقدم الحرب في سوريا وجد البغدادي فرصة للقاعدة فيها، وفي كانون الثاني / يناير 2012 أرسل بعضا من جنود المشاة لإنشاء جبهة النصرة وبهدف إنشاء دولة عابرة للقوميات تتحقق عبر العنف وتحكم بالشريعة'.

ومع تقدم جبهة النصرة وبناء قواعد لها في سوريا قرر البغدادي في نيسان (أبريل) أن الوقت قد حان لدمج التنظيم السوري بالقاعدة في العراق، وتوسيع المجال الجغرافي للتنظيم الذي لا يعترف بالحدود وهدفه توحيد الأمة. وفي إعلان الدمج 'قرر ضم الفرعين تحت اسم 'الدولة الإسلامية في العراق والشام، أي سوريا الكبرى، وتحظى الشام في فكر الجهاديين بموقع خاص لأنها قلب المنطقة وقريبة من القدس، لكن قائد جبهة النصرة أبو محمد الجولاني، نفسه سوري، ورفض الدمج، ربما لأنه لم يتم بموافقة من زعيم القاعدة أيمن الظواهري والذي أكد على بقاء التنظيمين منفصلين مما قاد البعض لاعتبار داعش جماعة خارج القاعدة'.

خلاف في الرؤية

وفي الوقت الذي يشترك فيه الفصيلان بالكثير من الملامح من ناحية التمويل والتدريب إلا أن هناك خلافا جوهريا بينهما، من ناحية تأكيد النصرة على العدو وهو الأسد، فيما تقوم داعش بإنشاء إدارات وحكم في المناطق التي تم غزوها وتحريرها. وفي الوقت الذي تعتمد النصرة على مدخل تدريجي لتحشيد الدعم لدولتها الإسلامية كانت داعش شرسة في هذا، واستخدمت القتل الطائفي وفرض الشريعة. وفي النهاية تظل النصرة تنظيما سوريا مقارنة مع داعش التي تقاتل فيها كتيبة قوية من الأجانب.

ومع ذلك ترى داعش لنفسها، وعبر إعلام التواصل الإجتماعي لنفسها كحركة إجتماعية 'فهم هناك لتحقيق أهداف سياسية، لوضع أسس الخلافة' كما يقول تشارلس ليستر الذي يتابع تطورات الفصائل السورية. وتقول بيرك 'زادت في الأسابيع القليلة الماضية هجمات داعش في العراق مما يجعل هذا العام الأكثر دموية منذ عام 2008، وقد ركزت معظم هجماتها على المحافظات الغربية القريبة من سورية، حيث تتمتع الجماعة بقوة فيها'.

شعبية

وتقول الكاتبة إن رؤية داعش تحظى بشعبية تدعو للدهشة بين الجهاديين المتشددين أكثر من رؤية جبهة النصرة، وهذا يفسر تدفق المقاتلين الأجانب لصفوفها، وحملات جمع التبرعات لها عبر التويتر، مشيرة إلى أن بعض المتبرعين الكويتيين ألمحوا لوصول بعض أموال التبرعات إلى داعش. و 'في كل رحلة قمت بها للبلدات التركية القريبة من الحدود السورية في العامين الماضيين صادفت العديد من المقاتلين الذين كانوا في طريقهم

للقتال، والكثير منهم جاؤوا في الأشهر الأخيرة كي ينضموا لداعش'.

وتقول إن 'بعض المحللين ناقشوا تعلم داعش دروسا من العراق، حيث قامت القبائل السنية والمقاتلون بتشكيل جماعات الصحوة لمواجهة القاعدة.... وفي المناطق السورية حيث حققت داعش سيطرة بدأت بمحاولات للوصول للسكان المحليين، وأعلنت عن إنشاء صحيفة قبل فترة، وتظهر أشرطة الفيديو التي وضعتها الجماعة على الإنترنت احتفالات في ساحات القرى وبعد صلاة الجمعة حيث يحتشد فيها الشباب. وفي مدينة الرقة سلم المقاتلون سائقي الحافلات ملصقات تعلم النساء ما هو اللباس المحتشم. وهناك اهتمام خاص بالأطفال الذي يوزع على البنات حقائب زهرية، ولوحظ هذا في مناطق حول دمشق حيث بدأت الجماعة تبني تأثيرا لها بشكل تدريجي، وتأكدت من وصول المواد الغذائية للمدن الواقعة تحت سيطرتها وعادة ما تمنع أي جهة أخرى حتى يظل السكان معتمدين عليها'.

الخوف

لكن سلطة داعش لا تكمن في الهدايا والدعم الإنساني والتواصل مع السكان بل من الخوف الذي تزرعه في قلوب الناس. فلم تتسامح الدولة مع أي معارضة سياسية لها 'فالكثير من السوريين الذين قابلتهم عل الحدود ذكروا برعب إعدامات داعش لصبيين في حلب بسبب ما أسمته اتهامهما بالتجديف او الهرطقة، كما منعت الإختطافات للناشطين المحليين والصحافيين التعبير عن أي معارضة سياسية.. كما قامت الجماعة بتفجير مزارات شيعية، ولم يظهروا أي تأنيب للضمير لقتل سنيين أثناء هذه التفجيرات. ويعتبر قطع الرؤوس أمرا عاديا. فلا يزال الأب باولو دالوجيو، الإيطالي من طائفة الجزويت والذي عاش في سوريا لثلاثين عاما، ومن قاد حملات للتفاهم الديني مختف منذ اختطفه مقاتلون من داعش عندما زار الرقة في تموز / يوليو الماضي، وهناك العشرات لا يزالون معتقلين، ولم تطلب داعش أي فدية ولم تقم بتنفيذ إعدامات، ويبدو أنها تحتفظ بهم كحماية لها من الهجمات'.

الكراهية

وقد أدى هذا الوضع بالسوريين لكراهية داعش فقد شهدت الرقة سلسلة من التظاهرات المعادية لداعش، ' وهي تظاهرات تحتاج لشجاعة إن أخذنا بعين الإعتبار شراسة داعش. وفي الفترة الأخيرة انتقدها الناشط الإسلامي السوري هادي عبدالله، من حمص والذي وصف داعش بـ 'دولة البغدادي' في مقاربة مع 'سورية الأسد'. وعلى الرغم من كل هذا لا تزال داعش تجند مقاتلين سوريين. والبعض يقول إن التجنيد مرتبط بالمال الذي تدفعه والتدريب المتوفر لديها'.

واشارت إلى الكاتبة مع صدام الجمال، وهو قيادي سابق في أحفاد الرسول حيث تحدث عن سبب انضمامه لداعش 'لأن المقاتلين المعتدلين يتعرضون للتدخلات الخارجية ويضغط عليهم لقتال النظام والإسلاميين'.

وتبرز تعليقاته 'الموقف العدائي لدى الكثير من السوريين للتدخلات الخارجية، والتي حسب عدد من داعمي المعارضة سببت ضررا أكثر من كونها دعما للمعارضة كي تواصل القتال بدون أن تتمكن من تحقيق النصر'.

وتقول 'عندما نناقش داعش مع السوريين على الحدود، عادة ما ينقسم النقاش بين من يراها أحسن من الجماعات الأقل تدينا لأنها أقل فسادا (على الرغم من وجود أدلة عن هذا) في الوقت الذي يقوم فيه المجرمون المحليون بسرقة الأسلحة والسيارات ويحتلون البيوت، ولكنني لم أجد أي شخص يدعم رؤية داعش المتطرفة'.

وهذا يعني أن الكثير من المقاتلين السوريين يحضرون 'لحرب ثانية ضد داعش، مع أنهم يختلفون إن كان عليها الأن، مع افتراض أنها ستحدث 'عندما يرحل الأسد'.

ويرى الكثير من السوريين في صعود داعش مدعاة للشك ’والرأي العام الشائع الذي سمعته هو أن داعش صناعة النظام في دمشق أو حليف لإيران تهدف لتمزيق المعارضة وتدمير الثورة. وكما يقول كمال الشيخ من اللاذقية والمقيم في انطاكية ’ ببساطة، نتعامل معها كامتداد للنظام‘.

صحوات سورية

وفي الوقت الذي لا يوجد ما يدعم هذه الرؤية لكن الأسد عمل كل ما بوسعه لتصوير المعارضة على أنها جماعات ’ إرهابية‘ مدعومة من الخارج. وأسهم في نشر هذه الرؤية حيث يقول محامون سوريون يوثقون للثورة إن النظام أطلق سراح مئات المعتقلين الإسلاميين من سجن صيديانا من أجل تعزيز الراديكالية الإسلامية. ومع أن داعش تخوض معارك مع النظام في دير الزور وحلب والقلمون لكن هزيمة النظام تظل ثانوية لهدف إقامة الدولة الإسلامية.

وفي نهاية مقالها تشير لتركيا العدو اللدود للنظام في سوريا والتي فتحت حدودها للمقاتلين الأجانب، وفي المدن الحدودية خاصة إلى مناطق لاستقبال المقاتلين، ويعتبر فندق أليس في نفس المدينة مكانا يلتقي فيه الجهاديون. وفي بعض الأحيان شارك المقاتلون الأجانب بحراسة معبر باب الهوى الحدودي ’وفي زياراتي الأخيرة لاحظت عددا قليلا من الشرطة التركية، وعلى بعد خمسة دقائق من بلدة كلس كانت كافية للتعرف على المقاتلين الأجانب الذين كانوا يلوحون للسيارات قرب الحدود مع سورية‘، مع أن تركيا أعلنت الشهر الماضي عن ترحيلها 1100 مقاتل أجنبي.

وتختم الكاتبة مقالها فيما يتعلق بداعش بالحديث عن التحول المهم في أحاديث المسؤولين الغربيين عن الوضع السوري. مشيرة إلى قرار إدارة أوباما وقف العمل العسكري ضد سوريا بعد فشل البيت الأبيض بالحصول على موافقة الكونغرس، والتصريحات الأخيرة للتحادث مع الجبهة الإسلامية. وفي الوقت نفسه تقول الكاتبة إن المؤسسات الأمنية بمن فيها الألمانية فتحت صلاتها مع الحكومة السورية ’وهناك إمكانية لتخيل عمليات أخرى لإعادة تأهيل نظام الأسد مع استمرار تهديد القاعدة. واقترح بعض المحللين على الغرب تبني سياسة صحوات سنية في سوريا مثل ما حدث في العراق، مع أنه لا توجد إشارة لحدوث هذا حتى الآن‘.

وما لا جدال فيه هو ’ ان التمرد الجهادي-السلفي وبروز واحدة من فروع القاعدة المثيرة للرعب داخله، أدت لتغيير طبيعة الحرب في سوريا وبشكل أساسي. وفي صراع يسقط فيه كل شهر حوالي 6 ألاف شخص، وأجبر ثلث السكان على ترك بيوتهم، فقد تغلبت الحاجيات الأمنية البسيطة على طموحات وآمال حركة سلمية كانت تحاول مواجهة النظام‘.

كەوتنامەی کتێب

جمعية (خويبون)

دلاور زنكي

بعد انهيار ثورة الشيخ سعيد بيران عام /1925/ شرعت الحكومة التركية بممارسة سياسة الضغط والإكراه (التتريك)، وبدأ منجل حقدها يحصد الأخضر واليابس بلا تمييز، ثم بدأ عنفها الدموي يطال قتل الصغير قبل الكبير، وهمجيتها تدمر القرى والمدن الكردية بكل قسوة ووحشية، وتهافتت مذعورة على تجريد العشائر الكردية من كل أنواع الأسلحة، وتعتقل أفراد كل أسرة تجد في دارها قطعة سلاح، لترعب كل ساكن ومتحرك على مناطق كوردستان. لتشلّ كل مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، ومارست سياسة التهجير القسري ضد الكرد، فأبعدت مئات الآلاف من الكرد عن ديارهم ومناطقهم، وحولوا كُردستان إلى جحيم. وابتكرت أسلوب تسليح الموالين لها في القرى الموالية، واتخذت كافة إجراءاتها الأمنية لفرض السيطرة على المناطق الكردية، عبر نقل الموظفين المحليين وتعيين البديل الموالي، وفرضت زيادة على نسبة الضرائب. ونتيجة لتلك الممارسات فرط شمل الأعضاء في الجمعيات السياسية والوطنية، والتجئوا إلى سوريا والعراق وأوروبا، ورغم تمادي الحكومة التركية في أساليبها القمعية، إلا أنها لم تستطع النيل من صمود وعنفوان الكرد، أو إضعاف إرادتهم القومية، أو ردع مظاهر طموحاتهم وأمانيهم المتعلقة بمستقبل كردستان. فكانت تصلهم (وهم في ديار الغربة) أخبار الثورة التي كانت نيرانها تتقد في جبال جابكجور وفارقين وساسون وآكري.

وأمام استمرار همجية الحكومة التركية دون توقف. تداعى الساسة والمثقفون وزعماء العشائر والشخصيات الاجتماعية (الذين لجئوا لخارج تركيا) للالتقاء في لبنان، وعقدوا اجتماعهم الأول في بيروت. فتلاقت آراءهم على البنود التالية:

ـ ضرورة انعقاد مؤتمر عام يجمع المنظمات الكردية من أجل دمجها وتوحيدها، وتشكيل حركة كُردية واحدة، ذات برنامج ومنهاج موحد، للسير وفق سياسة منهجية منظمة ومدروسة.

ـ إحداث مركز (موقع عام) لتأييد ومناصرة ثورة جبل آكري، واتخاذ القرارات والإجراءات المناسبة بشأنها، ومتابعة أحوالها السياسية والاقتصادية والعسكرية والإعلامية .

ـ إنشاء جمعية سياسية تنهض بأعبائها (بكتمان شديد)، تناضل من أجل كُردستان مستقلة.

عقد المؤتمر العام يوم 1927/10/5 في بيروت (بحمدون) وفيه تأسست جمعية خويبون. ولم تكن جمعية خويبون تظهر عن أهدافها أو دستورها في وثائقها وكتاباتها أو منشوراتها. بل كانت تقدم خدماتها للأكراد بصمت، وتعمل تحت شعار: خويبون جمعية قومية كردية.

تشكلت الجمعية وقررت ما يلي:

1 ـ إلغاء جميع المنظمات الكردية الموجودة. وصياغة تنظيم كردي جديد يضم جميع الأعضاء السابقين، مع إبقاء الباب مشرعاً لاستقبال أعضاء جدد .

2 ـ إطالة فترة الحرب الثورية الموجهة ضد الحكومة التركية، والاستمرار حتى لا يبقى

موقع قدم لأي جندي تركي فوق أرض كُردستان .
3 ـ يتوجب (قبل إشعال فتيل الثورة العامة والشاملة) مراعاة ما يلي:
أ ـ تبيان العشائر الكردية وتعيين قائد عام لها.
ب ـ تسليح المحاربين (الجنود والضباط) بأفضل أنواع الأسلحة.
ج ـ إنشاء معقل محصن للقيادات العليا في أحد الجبال العالية في كُردستان، وتسمية قائد عام للثورة .
4 ـ إنشاء علاقات وروابط أخوية وصلاتٍ متينة مع الدولة الإيرانية والشعب الفارسي .
5 ـ إنشاء علاقات حسنة مع الحكومة السورية والحكومة العراقية.

باشرت جمعية خويبون أعمالها القومية، فأقامت العلاقات برؤساء العشائر، والسياسيين والأسر الكردية الكبيرة، في داخل البلاد ليكون الجميع متأهبين لخوض المعركة.

وسعت خويبون رقعة أعمالها النضالية يوماً بعد يوم، وتمت الاتصالات مع الكرد المقيمين خارج البلاد. فازداد عدد أعضاءها في جميع أنحاء كُردستان، وفي أمريكا وأوروبا. كما أنشأت علاقات راسخة مع الكرد في كل أجزاء كُردستان.

دور جمعية خويبون (في المجال العسكري):

في واقع الحال لا يمكن الفصل بين منتسبي جمعية خويبون وثوار آكري (آرارات). فالجانبان عملا معاً (كلٌّ يُكمل الآخر) لهدف واحد، فتأجيج نار الثورة طوال أعوام /1927 ـ 1930/ واستمرارها كان بفضل جهود أعضاء جمعية خويبون المعنوية والمادية والسياسية.

ثورة آكري (آرارات):

عيّن الجنرال إحسان نوري باشا قائداً عاماً للثورة، وأُرسِلَت إليه الراية الكردية، وشعار جمعية خويبون، ليتخذهما رمزاً لضباطه وجنوده، على ميادين المعارك في جبال ووديان وسهول آكري، وكُلِّف إبراهيم باشا هسكي تيلي (برو هسكي) مديراً للشئون والأعمال المدنية خلال الثورة. كثف الثوار انتشارهم على رقعة واسعة خلال المعارك، فاحتلوا جبل آكري الكبير، وآكري الصغير، ثم احتلوا مناطق توروباخ، وكلهي، وتنديروك، وآلداغ، ومليج، وكيرك، وإيرهَبَش، وزيلان، وأياغا، وباركير، وديادين.

الإعداد لثورة (كُردستان الغربية) نحو الشمال (كُردستان الشمالية):

عشية يوم 1930/8/4 وبعد مداولات مستفيضة حول شأن ثورة آكري، ولتفعيل الزخم لإنجاحها بالسرعة الممكنة، اتخذ أعضاء جمعية خويبون قرارهم بفتح جبهة مساندة لها، تنطلق من كُردستان الغربية نحو الشمال لتحرر الأراضي التي أمامها حتى الالتقاء مع الثوار في أكري. وأعدت الخطة لتبدأ من جرابلس على نهر الفرات وتنتهي في عين ديوار على نهر دجلة، تنطلق معاً من /6/ محاور (جبهات) يقودها أعضاء من خويبون كالتالي:

1 ـ محور منطقة كوباني (عين العرب) بقيادة العم أوصمان صبري، وقوات المحور بإمرة الشقيقين بوزان شاهين بك، وأخيه مصطفى بك رئيسي عشائر البرازية، والمهمة توجيه الجميع إلى أورْفه ومرعش، بإشراف العم أوصمان صبري للوصول إلى أراضي عشائر المرديسان .
2 ـ محور منطقة سري كانيه (رأس العين) بقيادة محمد بك بن ابراهيم باشا المِلّي، والمهمة توجهه إلى ويران شهر .
3 ـ محور منطقة دربيسيه بقيادة الشقيقين أكرم بك جميل باشا وأخيه قدري، والمهمة توجهه إلى ناحية ماردين .
4 ـ محور تربه سبيه بقيادة حاجو آغا رئيس عشيرة هفيركا، والمهمة توجهه إلى أراضي منطقة هفيركان .
5 ـ محور ديركي بقيادة جلادت بدرخان، بمساعدة كل من محمد بك بن جميل باشا،

رسول آغا رئيس عشيرة زيلان، وعدد من زعماء مناطق بوتان .
6 ـ محور تل شعير بقيادة جميل سيدا، بمساعدة صلاح الدين وأخيه "أبناء عم الشيخ سعيد بيران"، وينطلق التحرك من منطقة نصيبين.

وللتنويه: لم ينفذ أعضاء خويبون خطة الثورة هذه.

جمعية خويبون (نشاطاتها السياسية والاجتماعية والثقافية):

إضافة لدعم ثورة آكري عسكرياً ولوجستياً، كانت غاية خويبون إثارة انتباه الرأي العام العالمي، وجذب الأنظار إلى وضع الكرد في كُردستان، إضافة لتلك الخدمات الكبيرة التي حمل أعباءها أعضاء جمعية خويبون، وتطبيقاً للفقرة /17/ من دستور الجمعية. فقد أوصت خويبون الكتاب والشعراء والمطربين والمنشدين القيام بأداء دورهم الإعلامي، بتوعية أبناء الشعب الكردي، وتنويرهم عبر إثارة مشاعرهم وعواطفهم تجاه الجرائم التي ارتكبها ويرتكبها الأعداء بحق الكرد، وبث روح الحمية في نفوسهم. وعن ذلك يقول الكاتب روهات آلاكون: {هي المرة الأولى التي تعتمد مؤسسة كُردية على الفولكلور والنشاط الأدبي في نضالها القومي}. إضافة لتلك النشاطات فقد أصدرت خويبون مجموعة كتب بلغات كُردية وعربية وتركية وفرنسية وانكليزية، وأثناء ثورة آكري أصدرت صحيفة كُردية باسم آكري. ونشرت أحدى أعدادها نشيد الثورة العسكري، المؤلف من /9/ مقاطع، وكانت الصحيفة توزع في داخل البلاد وخارجها، وكلمات النشيد:

آكري قد كنت ناراً.

كنت دوماً شامخ الهامة.

كنت مشعلاً فوق كُردستان .

اتقد يا آكري .. اتقد يا آكري.

كانت الجمعية خلال الثورة تنشط بإصدار المنشورات والبيانات، لتأجيج الشعور القومي عند الكرد. وقد كلفت الشيخ عبد الرحيم كارسي بالتوجه إلى ميادين الثورة (في الشمال)، واستشهد خلال تأدية واجبه القومي . وبسبب الأوضاع الاقتصادية السيئة لكرد الجزيرة، عقدت خويبون بتاريخ 1932/9/24 اجتماعاً خاصَّاً لدراسة الحالة، لمؤازرة الفقراء والمساكين لأكراد الجزيرة. كما أقامت علاقات مميزة مع حزب هيوا (كرد العراق). وقررت تأسيس نادي (جوان كُرد) في مدينة عامودا صيف عام /1935/. ولدعم القضية الكردية افتتحت إذاعة كُردية في بيروت يوم 1941/3/5 بإدارة الدكتور كاميران بدرخان الذي كان يشارك في بث القسم الكردي من إذاعة الشرق الأوسط في بيروت، وكان البرنامج يذاع في الأسبوع مرتين /يومي الأربعاء والجمعة/. ومن جهة أخرى فالجمعية جددت ورسخت علاقاتها مع الملا مصطفى البارزاني، وأثناء حركته الثورية خلال الفترة بين أعوام /1943 - 1945/ أرسلت الجمعية العلم الكردي إليه ليرفرف على ذرى جبال كردستان. وفي عام /1945/ توجهت جمعية خويبون وبمشاركة حزب هيوا، بتقرير إلى مؤتمر سان فرانسيسكو يطلبون فيه مناصرة أعضاء المؤتمر ودعمهم للحقوق الكوردية. وأرسلت الجمعية ممثلها قدري جميل باشا في عام /1946/ إلى مهاباد للمباركة لتقديم التهاني بقيام جمهورية كردستان.

الأعضاء المؤسسون لجمعية خويبون:

جلادت بدرخان ـ علي رضا (نجل الشيخ سعيد بيران) ـ الدكتور شكري محمد سكفان ـ حاجو آغا ـ بوزان شاهين بك (رئيس عشيرة برازان) ـ مصطفى شاهين بك ـ امين أحمد (رئيس عشيرة رِمّا) ـ المفكر ممدوح سليم ـ بدرالدين آغا حبسبني ـ توفيق جميل ـ فهمي لجي (كاتب الشيخ سعيد) ـ ملا أحمد شوزي ـ فَقَهْ عبد الإله الجزيري ـ كامل أفندي ـ كريم أفندي. هؤلاء كانوا أعضاء اللجنة المركزية، باستثناء فقه عبد الإله الجزيري وملا أحمد

شوزي. أما الأعضاء الذين ساهموا في تأسيس وترسيخ دعائم جمعية خويبون، في غربي كُردستان (كردستان سوريا)، أي المناطق المسماة تحت الخط الحديدي (Binxet) وهم: جلادت بدرخان ـ كاميران بدرخان ـ خليل بك بدرخان ـ ثريا بدرخان ـ الشيخ عبد الرحمن كارسي ـ الدكتور أحمد نافذ ـ نورالدين ظاظا ـ حاجو آغا ـ قدري جميل ـ أكرم جميل باشا ـ حمزة بك مكسي ـ الدكتور نوري درسيمي ـ شوكت زلفي بك ـ أمين بروسكى ـ الشيخ عبد الرحمن ـ محمد مهدي ـ طاهر (شقيق الشيخ سعيد) ـ عبد الرحمن علي يونس ـ عارف عباس ـ ممدوح سليم ـ توفيق جميل ـ أوصمان صبري ـ جميل سيدا ـ قدري جان ـ رشيد كُرد ـ حسن هشيار ـ جكرخوين ـ أحمد نامي ...الخ. ومن غرب كوردستان: محمد علي شيخموس (شويش) ـ سعيد آغا ـ عبدي تيلو ـ حاجي عبد الكريم ـ ملا صادق ـ ملا علي (توبز) ـ الدكتور خالد قوطرش ـ أوسي حرسان ـ ابراهيم قجو ـ سيدايي تيريز ـ أوصمان آلوسي ـ علي عمر ...الخ.

كان للبدرخانيين دوراً هاماً في مسيرة جمعية خويبون، فبقيادتهم كانت تتحرك، فقد كان جلادت بدرخان وهو أحد أبرز المؤسسين الأوائل للجمعية، قد أدار شئونها بحكمة وروية بالغة في ظروف تأسيسها الصعبة، حين كان رئيساً للجمعية خلال الأعوام /1927ـ1932/، ويؤكد عدد من الباحثين أمثال باسيل نيكيتين، وأ. ك الفانيستون، وأرهارت فرانز، ونظمي سفكن، الذين ذكروا دوره الايجابي في أبحاثهم وكتبهم بصفته رئيساً لجمعية خويبون . فلقد كان جلادت بدرخان يقوم بدور المشرف والمعد لطباعة ونشر منشورات جمعية خويبون. وخليل بك بدرخان إلى جانب عضويته في جمعية خويبون في بيروت، كان يقوم بتأدية كافة الأعمال التي توكل إليه لصالح الجمعية. بينما كان الدكتور كاميران بدرخان موجهاً للأعمال في جمعية خويبون، إلى جانب كونه المسئول عن الأمور المالية، وإضافة لتلك المهام كان قد افتتح محطة إذاعية في بيروت وعمل فيها معداً ومذيعاً للبرامج التي كانت تبث اللغة الكردية. أما ثريا بدرخان فكانت سفيرة الجمعية والمكلفة من قبل الجمعية بالسفر إلى دول أوروبا وأمريكا، لتأسيس فروع للجمعية فيها لجمع شمل الكورد، وجمع التبرعات من المغتربين لتفعيل نشاطات الجمعية وفروعها في الداخل والخارج. فقد زارت إيطاليا ومكثت فيها /15/ يوماً التقت خلالها بموسوليني، ثم غادرتها إلى اليونان، ومنها إلى أمريكا.

بعد انهيار ثورة آكري وإخفاق أعمالها المسلحة، لجأ جلادت بدرخان وبعض رفاقه إلى العمل الثقافي وخدمة اللغة الكردية، فأصدر مع شقيقه الدكتور كاميران بعض الصحف والمجلات في سوريا وبيروت، مثل: هاوار، وروناهي، وروزا نو، وستير، وألفا ونشرا كتبا تعنى باللغة الكردية والثقافة الكردية والأدب الشعبي (الفولكلور) والتاريخ.

ظهرت خلافات وخصومات كثيرة بين الأعضاء المؤسسين لجمعية خويبون، فعندما تقرر مهاجمة الدولة التركية من غربي كُردستان نكث الكثيرون من رؤساء عشائر الكرد وزعماءهم بوعودهم، وكان ذاك التراجع عن العهد سبباً لفقدان ثقة أعضاء الجمعية، بالأطراف التي تعهدت في تنفيذ خطة الثورة من كُردستان سوريا ثم خالفت العهد. فبعد إخفاق الثورة وانهيار الحركة التحررية، اشتدت الخلافات لتتحول إلى نزاعات بين الأعضاء، وقد سارع بعضهم إلى اعتزال العمل في الجمعية وعن أداء التزاماته القومية .

كانت الحكومة التركية تسعى بكل جهدها وقوتها للإطاحة بجمعية خويبون وإزالتها، واستخدمت في سبيل هذا السعي أساليب الإغراء، فأصدرت العفو العام عن المشاركين في ثورة آكري. مستهدفة من وراء قانون العفو، تمزيق وحدة صف أعضاء جمعية خويبون، وقد حدث بعد صدور العفو أن تخلى

بعض الأعضاء عن عضويتهم في الجمعية، مثل علي رضا، وأمين بريخاني في عام /1928/، بينما اعتزل عن الجمعية شكري سكبان فيما بعد. ومما لا شك فيه أن هذه القطيعة التي مارسها الأعضاء أثرت على الروح المعنوية لأعضاء خويبون. فبدأ الإحباط يتسلل داخل نفسية الأعضاء يوماً بعد يوم، ولا سيما بعد استغناء الجمعية عن خدمات الدكتور كاميران بدرخان، فاضطر جلادت بدرخان (شقيق الدكتور كاميران) أن يترك العمل مع الجمعية، لتصل جمعية خويبون إلى حالة من اليأس والقنوط والضعف. إضافة لذلك تفاقم الخلاف بين الأعضاء حول اعتراض بعض الأعضاء على وجود ممثل حزب الطاشناق ألأرمني كعضو في اللجنة المركزية للجمعية، حسب البند /8/ من المعاهدة المؤلفة من /19/ والمبرمة بين الكرد والأرمن، وأسباب الاعتراض هو التخوف من تدخل الطاشناق في العمل الداخلي للشأن الكردي، ومن الأعضاء المعترضين: ممدوح سليم، والشيخ عبد الرحمن كارسي وأوصمان صبري، وأيدهم أبناء جميل باشا. إلى جانب ذلك كانت النزاعات الشخصية مستمرة حول زعامة الجمعية بين العائلتين، البدرخانية وأبناء جميل باشا. فلقد أتت على أعضاء جمعية خويبون أيام وسنوات مليئة بنكث العهود، وغدر الأصدقاء، ومكائد الأعداء. وإلى سلسلة من عمليات السلب والنهب والبطش والدماء والقتل والخراب والدمار، والإبادة الجماعية، والنفي ألقسري في أجواء مجتمعات كُردية يخيم عليها الجهل كل ذلك من جهة. ومن جهة أخرى مرَّوا بمراحل مشرفة، مفعمة بالبطولة، والانتفاضة، والصدق الكفاح، والإخلاص والوفاء لوطنهم كردستان.

والمؤسف أن الكرد (أنفسهم) كانوا سبب هزائمهم المنكرة مراراً وتكراراً، ولم يأخذوا من الماضي العبر والدروس، ولم يتعلموا من الأحداث المؤلمة التي ألمّت بالكرد وكردستان، فلا زالوا سائرين لا يبالون بأخطائهم، ولا يفكرون في تصحيحها. فمن الأخطاء الفادحة مع بداية انتفاضة (ثورة آكري) أن الكرد ارتبطوا بأنظمة تقاسمت أجزاء كُردستان واعتمدوا على دعمها لهم وخاصة إيران. فلولا العلاقة التآمرية الخفية بين الدول المتقاسمة لكردستان وتجاورها، لما استطاع الترك زعزعة نشاط وعمل جمعية خويبون الكردية السياسية. وعليه فكان من الضروري وقبل إشعال فتيل الثورة، التأهب والاستعداد التام واختيار الزمان المناسب، وتعبئة الجماهير وإشراكهم بالثورة، وإيجاد مصادر إمداد دائمة لإنجاح الانتفاضة .

ولعلَّ جُلُّ الذين ساهموا في تأسيس جمعية خويبون، من رؤساء العشائر، والبكوات، والمشايخ ورجال الدين (الملالي)، والبرجوازيين الصغار، ممن كانوا يأملون عبر الجمعية أن ينالوا مآربهم، فلم تتحقق آمالهم عبرها، ولم تعد الثورة مصدر للمنافع لهم، لذلك أداروا لها ظهورهم. وهكذا فإن القيادات الدينية والبرجوازية والعشائرية لم تستطيع إحراز أية مكاسب قومية للكرد. وما يزال الواقع الكردي (حتى يومنا هذا) مرآة لتلك الأيام الماضية .

المراجع:

ـ (آلاكوم)، روهات ـ خويبون وثورة آكري ـ ترجمة ونشر: رابطة كاوا للثقافة الكردية، بيروت ـ ط1 عام 2001.
-مذكرات احسان نوري باشا ترجمة: صلاح برواري. دمشق.
-مذكرات ملا احمد شوزي –مخطوطة- باللغة الكردية. من ارشيف سعيد شوزي.
-مذكرات حسن هشيار-مخطوطة- باللغة الكردية. من ارشيف حسن هشيار.
-مجلة هاوار (1-57). جلادت بدرخان. دمشق. 1932-1943م.
-مجلة آكاهي، حسن هشيار. (1-19)، قامشلي. من ارشيف حسن هشيار.

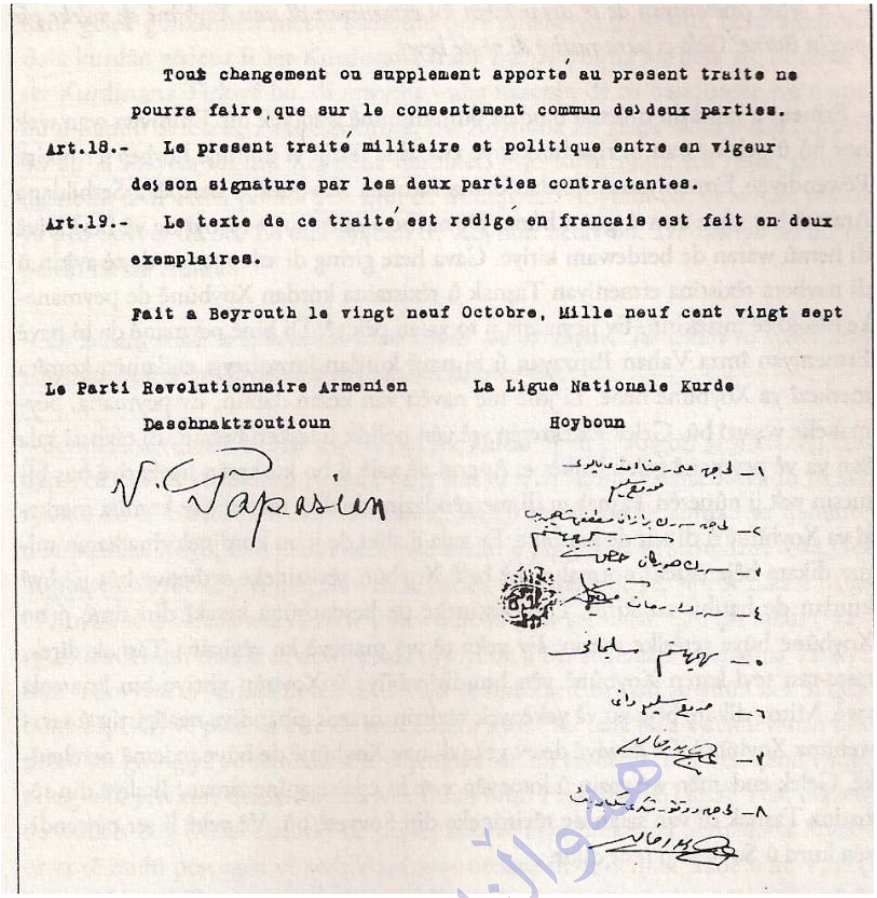

Tout changement ou supplement apporté au present traite ne pourra faire que sur le consentement commun des deux parties.

Art.18.- Le present traité militaire et politique entre en vigeur de son signature par les deux parties contractantes.

Art.19.- Le texte de ce traité est redigé en francais est fait en deux exemplaires.

Fait a Beyrouth le vingt neuf Octobre, Mille neuf cent vingt sept

Le Parti Revolutionnaire Armenien
Daschnaktzoutioun

La Ligue Nationale Kurde
Hoyboun

عقد الاتفاق بين طاشناق وخويبون

kovara Agahi

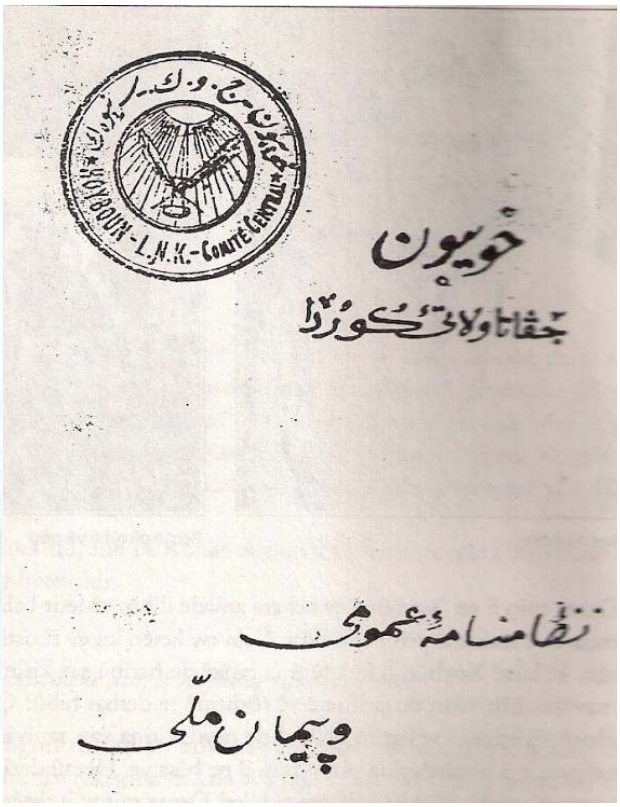

النظام الداخلي لجمعية خويبون

shiar Xoybun

endame xoybun

الهجرة وتأثيراتها

أعداد: خبات عثمان

إن الشعب الكردي يكاد يكون الشعب الوحيد في العالم الذي تعرض لأقسى أنواع التهجير ومنذ ألالاف السنين من على ترابه الذي حرم منه نتيجة الهجمات المتكررة عليه وأحتمائه بجبال ارتبط أسمه بها وحمته من الهجمات كلما تعرض لها لأكثر من ألفين وخمسمئة سنة من تاريخة الطويل ولذلك فظاهرة الهجرة مدعاة للحيرة نظر لافتقارها للمراجع والمصادر الخاصة بالبحث حول أوضاعالشعب الكردي في المهجروالداخل نتيجة الصراعات والحروب التي لم تضع رحاها منذ مئات السنين في الشرق الأوسط ومعرفة طموحاته آماله، تطلعاته، مشاكله وآلامه وواقعه المعاش بالأضافة إلى التحديات التي تواجهه بعيداً عن الوطن بكل ما فيها من ضغوطات معنوية ونفسية وجميعها سوف ندرسها بالتفصيل .

أولاً ما هي الهجرة:

الهجرة : هي أنتقال شخص أو جماعة من مكان إلى أخر بغرض تحسين الحياة المعيشية أو عنوة من مكان لآخر نتيجة ضغط من شخص أو جماعة أو حكومة وكما هومتعارف فإن الهجرة تنقسم إلى قسمين :

- داخلية ضمن حدود الدولة التي تقيم فيها وهي بحد ذاتها تنقسم أيضاً إلى قسمين: 1- الهجرة من الريف إلى المدينة . 2- الهجرة من المدينة أو ولاية إلى العاصمة أو المدن الصناعية الكبيرة بحثاً عن سبل العيش

أما القسرية فهي أيضاً تنقسم إلى قسمين:

1- قسري من قبل الحكومة وأجبار السكان بالهجرة إلى مناطق أخرى حسب مخطط الدولة أو الحكومة .

2- أجبار السكان للهجرة والنزوح خارج حدود الدولة

الهجرة الداخلية :

وهي في تزايد ملحوظ وكبير وسط مجتمعنا الكردي حيث تحولت من حالات فردية إلى حالات جماعية, فقبل هذه السنين كانت مقتصرة على ذوي الدخل المحدود والمعدومين وضحايا الاحصاء الاستثنائي الجائر، وبعض من الذين هاجروا لاستكمال تحصيلهم الدراسي، كان هذا النمط هو السائد والمتعارف عليه، ولكن هجرة الكرد لم تقتصر على هذه الحالة بل اتخذت طابعاً جماعياً في السنوات الأخيرة وأصبحت الحل الوحيد لكثير من الأسر وهي في تزايد مستمر بسبب الوضع الاقتصادي والسياسي والأمني الذي تمر به سوريا بشكل عام والمناطق الكردية بوجه خاص من حيث ممارسة السلطات سياسة اقتصادية شوفينية ممنهجة أدت إلى انتشار الفقر والبطالة إلى درجة الجوع، ناهيك عن انتشار الفساد والنهب المنظم لخيرات البلاد, وتهدف سياسة الدولة المتبعة حيال شعبنا ومنطقتنا إلى نقطتين وهما:

- إفقارالمنطقة وتجريدها من كل مرتكزات الاستقرار والنمو الاقتصادي وبالتالي انتشار البطالة بشكل واسع وتدني مستوى المعيشة حيث باتت الغالبية العظمى من أبناء شعبنا يعيشون تحت خط الفقر.

- إحداث تغيير ديمغرافي متصاعد في المناطق الكردية من خلال مراسيم وقرارات ومشاريع تنفذ بالضد من استقرار الكرد ووجودهم.

ويتبين للمتتبع لأوضاع المنطقة أن هناك هجرة قسرية غير مباشرة تطبق على أرض الواقع، حيث ترى قرى بكاملها قد خلت من السكان.

الهجرة إلى المدن الكبرى (الصناعية):

أن الشعب الكردي الذي عان الأمرين على يد النظام البعثي والذي لم يكل ولا يمل في ظل القوانيين الجائرة بحق محافظته وعلى أرضه مما أضطر للسفر إلى المدن الصناعية أمثال حلب والعاصمة دمشق والذي كثر التوافد أليها بعد عام 2000م في فترة التسعينيات ولكن بعد الألفية الثانية هاجر أبناء الشعب الكردي بأعداد كبيرة فليس هناك أحصاءات رسمية تثبت ذلك ولكن قدر عدد الذين هاجروا إلى كل من دمشق وحلب بمليون شخص ناهيك عن السكان الأصليين من الكرد منذ أيام صلاح الدين والحملات الصليبية في القرن العاشر الميلادي والذين توزعوا في حلب في كل من الشيخ مقصود والأشرفية وبعض القرى الريفية أما في دمشق فهناك حارات قديمة منها (ركن الدين – صالحية – وبعض حارات دمشق القديمة) بالأضافة إلى حي الرز وزورافا الدمشقي ودمر.

الهجرة القسرية الخارجية :

عانى الشعب الكردي من شتى أنواع الهجرة وخصوصاً بعد أنتفاضة قامشلو في 11 أذار 2004م والتي بدأت من قامشلو لتعم معظم مدن غرب كردستان وحتى المدن السورية بما فيها العاصمة دمشق والتي راح ضحيتها عشرات من الشهداء ومئات الجرحى وزج الآلاف في السجون ونتيجة لذلك أضطر الكثير إلى الهجرة القسرية، من ترك للأراضي والممتلكات والهرب إلى الخارج بسبب بطش النظام ودمويته في المناطق، وقد أثر ذلك على بنية المجتمعات الكردية من حيث:

* ديمغرافياً : حيث تسعى السلطة إلى إحداث تغيرات ديمغرافية في المناطق الكردية من خلال جملة من المشاريع والإجراءات التي يضطر الإنسان الكردي من خلالها إلى ترك منطقته والتي باتت تشكل أرقاماً كبيرة في السنوات الأخيرة

* اقتصادياً : نرى انعكاسات هذه النمط من الهجرة على اقتصاد المنطقة، بما أن القرى بكاملها قد خلت من السكان وترك الفلاح أرضه التي صبحت مع مرور الوقت أرضاً بورا وبالتالي إلى تراجع حاد في المردود الزراعي الذي يعتبر الدخل الرئيسي لمعظم سكان المنطقة..

* عدم الاستقرار الاجتماعي: إن عدم الاستقرار الاقتصادي وانتشار البطالة وانسداد آفاق العمل وغياب أية مشاريع نهضوية وتزايد الهجرة بشكل مضطرد كل ذلك يخلق حالة من عدم الاستقرار الاجتماعي والتي قد يكون لها تداعيات سلبية جداً على مجمل الأوضاع

نزيف الأدمغة وهجرة العقول:

ليست هناك دراسات حول هجرة المثقف والجامعي الكردي إلى الخارج نتيجة تهميشه في مجتمعه، فقد بات حلم كل شاب كردي الهروب من واقعة الذي تربى فيه نتيجة الأنظمة و السياسات الشوفينية المطبقة بحق الشعب الكردي في أجزاءه الأربعة والمجتمع المتخلف الذي يعيشه الكردي، فأعلى نسبة هجرة للعقول الشابة نلاحظها في تركيا حيث بلغ نسبة الهجرة بما يخص الكرد إلى ما يقارب 50 بالمئة في الخمسين سنة الفائتة، تليها سورية والكرد فيها بسبب الأضطهاد من قبل النظام حيث وصل نسبته إلى ما يقارب 40 بالمئة مقارنة مع السكان وتليها كردستان العراق وأيران وأكثر الدول أستقطاباً لها هي الدول الأوربية وفي المقدمة (ألمانيا التي

تجاوز عدد الكرد فيها المليون وتليها سويسرا والدنمارك بالأضافة إلى فرنسا وبريطانيا وأمريكا وكندا وبذلك تفرغ كردستان من مثقفيها وخريجي الجامعات بسبب قلة فرص العمل بعد التخرج والقوانين الأستثنائية في المنطقة الكردية.

الهجرةمن روجافا منذ بدء الثورة :

عندما بدأت الثورة في روجافا قام الكرد بدراسة الثورة السورية عن كثب فلم يصبحوا طرفاً في الصراع الدموي الذي أودى بحياة أكثر من 175000 ألف قتيل حسب أحصاءات الأمم المتحدة ونصف مليون جريح بالأضافة إلى تشريد ونزوح أكثر من أربعة ملايين سوري إلى دول الجوار كلبنان والأردن وتركيا والعراق مع هجرة عشرات الآلاف إلى الخارج

هاجر ما يقارب 200000 ألف من سكان روجافا أغلبهم من الفئة الشابة إلى تركيا وأقليم كردستان العراق خوفاً من النظام من جهة والبحث عن سبل معيشية جديدة نتيجة الحصار الخانق على روجافا نتيجة أغلاق المعابر وهجمات الجماعات الأسلامية ومنعها من وصول المواد الأساسية والسبب الآخر لأكمال سنوات الدراسة التي بدأها الشاب الكردي من سنواته المتبقية في الجامعات لكي يتسنى له أكمالها والتخرج مما شكلت عبئاً كبيراً على المناطق الكردية والتي فرغت من شبابها نتيجة سياسات مدروسة مخططة سابقاً من أجل ضرب ثورة كرد روجافا وأخضاعها لهم.

أسباب الهجرة:

الأسباب السياسية

إن غياب الممارسة الحقيقية للديمقراطية في سوريا يعتبر من أهم الأسباب السياسية التي دفعت بالكثير من الكرد إلى الهجرة نحو الخارج بحثاً عن سبل حياة أفضل، فتردي الأوضاع السياسية في سوريا قادت إلى المزيد من هجرة الكفاءات الكردية باتجاه الخارج.

فعدم الاستقرار السياسي الذي تعيشه كردستان يعرقل مسيرة تنميتها الاقتصادية والاجتماعية وذلك للأسباب التالية

أ- استبداد السلطة الحاكمة وتفردها بالحكم.

فالاستبداد ظاهرة اجتماعية سياسية تحكمها مجموعة معقدة ومتشابكة من الأسباب والشروط والظروف يتداخل فيها الذاتي والموضوعي والداخلي والخارجي والاقتصادي والثقافي فهو ثمرة مجموعة مركبة من القوى والبواعث المختلفة في طبيعتها المتفاوتة في درجة تأثيرها المتشكلة بظروف المكان والزمان لذلك لا نجد في سوريا سوى نخبة حاكمة عبارة عن جهاز سلطوي مركزي واحد مكون من مجموعة قوى أمنية عسكرية سياسية مهيمنة على المفاصل الأساسية في الدولة، على شكل استلاب كامل، دون السماح لأية قوى أو فعالية وطنية حقيقية بالحراك، مهما كان نوع هذا الحراك، حيث أصبح الوطن، والدولة،... والحزب.. القائد.. والدستور.. والمؤسسات والقوانين مرادفات ومعاني لشيء واحد "مقدس" اسمه النظام السياسي. وكل من يتجرأ بالحديث في هذه المصطلحات فهو بالتأكيد يعمل لصالح جهات أجنبية معادية للوطن، وتهمة الخيانة الوطنية جاهزة في كل مناسبة. وبناء على هذه المعطيات يمكن القول بأن الحياة السياسية في سوريا لم يكن لها وجود بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة.

ب - خطورة الخدمة الإلزامية في سوريا:

مع بدء الثورة السورية واشتداد الصراع المسلح بعد شهور ازدادت خطورة الخدمة الالزامية وأزداد تعذيب وقتل المجندين الكرد في الجيش السوري خلال الثورة، مما أضطر الآلاف من العسكريين الكرد الانشقاق عن جيش النظام وعدم ذهاب الشباب الجدد إلى الخدمة الالزامية لعدم المشاركة في قتل المدنيين والابرياء من السوريين العزل مما يترتب على ذلك التوجه نحوالهجرة إلى الخارج

الأسباب الاقتصادية:

تتمثل أهم الأسباب الاقتصادية الكامنة وراء هجرة الكرد إلى الخارج في ما يلي

العجز الغذائي

إن مشكلة عدم توفر الغذاء وعدم كفايته وتردي نوعيته من أكثر المشكلات الاقتصادية فتكاً في الجسد الكردي في سوريا، فالإنتاج الغذائي الكردي لا يزال دون مستوى إشباع حاجياته من الغذاء وذلك بسبب انخفاض المساحة المزروعة، وارتفاع نسبة المساحات المطرية من المساحات المزروعة، وندرة المياه المتاحة للاستخدام وعدم كفاءة أساليب استخدامها بالإضافة إلى الزيادة السكانية الكبيرة التي تضغط على الموارد الطبيعية بالإضافة إلى انخفاض عدد الكرد العاملين في القطاع الزراعي، علاوة على ذلك تخلف الأساليب المستخدمة في الإنتاج الزراعي بشقيه النباتي والحيواني والذي انعكس على مستويات الإنتاج ونوعيته..

في الآونة الأخيرة بدت ملامح الأزمة الغذائية تظهر، فالنظام السوري باع معظم مخزون القمح للخارج، واضطر إلى تقليل كميات الطحين للأفران، مما أدى إلى نقص كبير في كمية الخبز، وبالتالي تجمع المواطنون في طوابير طويلة ليلاً نهاراً للحصول على الخبز، وبالتالي فكل هذه الأمور أدت إلى تردي الأوضاع الكردية وجعل من التفكير إلى الخارج الحل والسبيل الوحيد لتحسين الوضع المعيشي ومع اشتداد الصراع المسلح في سورية وعدم أمكانية وصول الكثير من السلع والمواد الغذائية من الداخل السوري إلى المناطق الكردية، واغلاق جميع المعابر على الحدود التركية مع المنطقة الكردية، أدى إلى سريان حالة من الفقر والجوع في المنطقة الكردية مع ارتفاع الاسعار وعدم تمكن المواطنين من تأمين حاجاتهم الاساسية

ب- قلة عدد المنشآت والشركات ذات الحجم المتوسط أو الكبير وضعف هيكل الأجور

إنَّ الاستثمارات في المناطق الكردية هي الطريقة الطبيعية لإيجاد فرص العمل للكرد ومكافحة البطالة لكن نمو هذه الاستثمارات ضعيف، كما أن ضعف الأجور بشكل عام وعدم وجود سياسة للأجور تحقق العدالة القائمة على أساس الكفاءة والاختصاص وعدم تمييز أصحاب الكفاءات من حيث المكافآت والحوافز أدى إلى صعوبة تأمين المستوى المعيشي اللائق للشعب

أسباب اجتماعية

تتمثل أهم الأسباب الاجتماعية الكامنة وراء سبب هجرة الكرد إلى الخارج فيما يلي

أ- النمو السكاني الكبير وعدم تناسبه مع النمو الاقتصادي

حيث أدى ارتفاع نسبة النمو السكاني إلى الضغط على القوى العاملة الكردية من ناحيتين

- تدفق أعداد كبيرة من الكرد إلى سوق العمل بعد فترة (15-20) سنة من الولادة

- امتصاص فوائض اقتصادية كردية كان من الممكن أن تستثمر في مجالات إنتاجية وتفتح مجالات لفرص عمل جديدة بدلا من أن تستهلك لتلبية الحاجات المادية للسكان الجدد

وإن الهجرة الأخيرة والمستمرة إلى إقليم كردستان هي مؤقتة وستنتهي بالعودة مع انتهاء الأزمة السورية، وهناك فئتين:

الفئة الأولى: هي فئة الشباب (18 -28) وهي تبحث عن المستقبل والدراسة والعمل والأمان بالنسبة للمنشقين من الشباب عن جيش النظام والمدعوين إلى الخدمة الإلزامية.

الفئة الثانية: هي فئة الأسرة التي تزيد عمرها عن (29) عاماً وهي تبحث عن لقمة العيش والأمان لأسرتها

ب- أزمة التعليم:

يشكل التعليم مؤشراً أساسياً لمدى علاقة المجتمع الكردي بالتقدم والتطور وإن ما تحقق

من إنجازات على المستوى التعليمي خلال ما مضى بقي متواضعاً إذا ما قورن بالانجازات المتحققة في دول أخرى ويمكن إرجاع أزمة التعليم الكردية إلى الأسباب التالية:

* يكمن التحدي الأهم في مجال التعليم في مشكلة تردي نوعية التعليم المتاح بحيث يفقد التعليم هدفه التنموي والإنساني من أجل تحسين نوعية الحياة وتنمية قدرات الإنسان الخلاقة، فالمناهج الدراسية السورية تكرس الخضوع والتبعية ولا تشجع التفكير النقدي الحر كما يتجنب محتوى المنهاج تحفيز الطلاب على نقد المسلمات الاجتماعية أو السياسية ويقتل فيهم النزعة الاستقلالية والإبداع

* الأسلوب المتبع في الاستعارة من الغرب وكثيرا ما نأخذ الفكرة ونقيضها دون أن يكون لخصوصيتنا دور كبير ودون أن نقف موقفا" نقديا" أو ندرس الشروط والظروف الاجتماعية التي احتضنتها

* عدم قدرة الجامعات السورية على استيعاب الملايين من طلابها لأنها تعاني من أزمة في مبانيها وقاعاتها وتجهيزاتها

* غياب فلسفة اجتماعية تبني عليها فلسفة تربوية واقعية ومتماسكة ذات نظرة وأهداف تربوية،

* إن المؤسسات التعليمية السورية تعاني من نقص في الوسائل التعليمية والمخبرية المساعدة وفقر المكتبات وشح المراجع وانعدام التفاعل مع المؤسسات التعليمية العالمية والتخلف عن مواكبة المستجدات في العلوم التقنية وبشكل خاص تطبيقات تقنيات المعلومات وأدواتها المتعلقة بوسائل التعليم ، وليس هناك اهتمام جدي بتطوير قدرات الطالب الذاتية وتنميتها إضافة إلى أن تطوير مناهج التعليم المعتمدة لا يزال محصورا في قلة محدودة من قبل القائمين على أمور التعليم الذين هم غالبا بعيدون عن الأطر الاقتصادية والاجتماعية حولهم ومتطلبات مؤسسات التعليم ولهذا تبقى هذه المناهج بعيدة عن الارتباط المطلوب بخطط التنمية الوطنية واحتياجات الاقتصاد المحلي .

وبذلك فأن الكثير من العائلات تبحث عن تعليم يليق بأولادها في مناطق أكثر أمناً وخاصة الجامعيين الذين لم يعد بإمكانهم العودة إلى مقاعد الدراسة في جامعاتهم

* عدم الموائمة بين مدخلات التعليم الكردية ومخرجات سوق العمل

فوجود فائض كبير في مخرجات التعليم الكردية جعل سوق العمل في المناطق الكردية غير قادر على امتصاصها وذلك نتيجة عدم توفر التخطيط الجيد والمنسق بين المؤسسات التعليمية السوريا من جهة وسوق العمل من جهة أخرى بحيث تتكامل الثانية مع الأولى وتمتص مخرجاتها

* عوامل الجذب في الدولة التي تم الهجرة إليها

وهي العوامل والظروف والشروط المتوافرة في البلد الذي هاجر إليه الشخص وهذه العوامل تفوقت على الكثير من القيم والثوابت المتواجدة لدى الشخص حيث جعلته لا يفكر بالعودة إلى وطنه. ونذكر من هذه العوامل

* المستوى المعيشي الجيد الذي يحققه الفرد والضمانات الاجتماعية ووسائل الاستهلاك والرفاه المادي وتسهيلاته

* اعتماد الترقية والترفيع بالدرجة الأولى على البحث المنتج والكفاءة الفردية بغض النظر عن أي اعتبارات أخرى

الاهتمام بتطوير البحث العلمي ووجود أنظمة تعليمية حديثة ومتطورة *

الاستقرار السياسي وحرية التفكير والبحث*

فالمهاجرين الكرد إلى تركيا وإقليم كردستان العراق يقبضون بالدولار، فمن كان راتبه في سوريا مثلاً 70 دولار يقبض في كلً من تركيا

وإقليم كردستان العراق ما لا يقل 500 إلى 1000 دولار شهرياً

تداعيات هجرة الكرد إلى الخارج*

لقد ترتب على هجرة الكرد إلى الخارج الكثير من المساوئ والكثير من المحاسن التي انعكست على واقع القضية الكردية يمكن ذكرهما فيما يلي

المساوئ

لقد تم فقدان كل أو جزء من الهوية الكردية *

* ترك أحد الابوين أو أحد أفراد الأسرة العائلة للجوء إلى الخارج أو للهجرة، مما أثر سلباً على وضع بقية أفراد العائلة

فقد الشعب الكردي عمالها وعلماءها وكوادرها التعليمية *

تعرضهم في أماكن اللجوء للمضايقات النفسية وحالات من ضعف الثقة في النفس *

المحاسن

* التعرف على شعوب العالم والاحتكاك بحضاراتهم وتعريفهم بالقضية الكردية

* الحصول على التعليم الجيد في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبدرجات تأهيل عالية

العيش في حالة اقتصادية أفضل من واقع العيش في سوريا*

*الحصول على خدمات صحية وظروف صحية أفضل وأرقى من الخدمات التي تقدم في سورية.

الأمازيغية والعربية: في المغرب

د.عبد الله الكروم

باحث مغاربي

إذا كان ملف الهوية العربية بالفضاء المغاربي قد تمت معالجته خلال النصف الثاني من القرن العشرين وحتى اليوم، ونشرت مئات الدراسات حوله، كما ونوقشت عشرات الرسائل الجامعية بالجامعات المغاربية والأوروبية والأمريكية، وتم موقعة هاته الجدلية البحثية الهامة بتناول ماهيتها ومدى تدخلها وتوافقها أو تقاطعها مع بقية الهويات الأخرى في فضائنا، أذهب إلى الاعتقاد أن الملف الأمازيغي يتطلب منا أن نوليه كبير عنايتنا واهتمامنا البحثي، بعيدا عن المواقف المشطة لهذا الطرف أو ذاك، خصوصا تلك التصريحات ذات الطابع الهجومي على سلبية مواقف القادة السياسيين والنخب الجامعية المغاربية تجاه الملف الأمازيغي والتي تأرجحت صعودا وهبوطا، خصوصا بعد ثورتي تونس وليبيا، وكان وراء حراك أمازيغي ذي إيديولوجية هجومية من عديد الفاعلين الليبيين والتونسيين خلال السنتين الماضيتين. وقد ذهب بعض الباحثين إلى القول إنه استوجب عدم تنسيب ربيع الثورة

إلى العرب فقط بل ايضا إلى الأمازيغيين، داعيا أيضا إلى إطلاق الربيع الأمازيغي، وفي هذا الاتجاه تتنزل تصريحات السيد فتحي بن خليفة من ليبيا الذي نادى بالقطع مع العروبة أصلا. ثم الأستاذ سليمان أقجم من كلية الاقتصاد بجامعة طرابلس اليوم، وهو من الغلاة ويعد منظر انفصال البربر عن العرب في ليبيا[1]!

سيتركز بحثنا حول خصوصيات الهوية الأمازيغية والمسارات الدقيقة والصعبة التي عاشتها وواجهتها مع الأنظمة السياسية القائمة منذ الاستقلال السياسي لفضائنا والتي سعت إلى محاربتها وإجهاض مسيرتها لعدة عوامل. كما سنتوقف حول مدى تواصل هاته الهوية أو تقاطعها مع الهوية العربية، والأبعاد الثقافية التي تحرك كلا من الهويتين.

ومن هذا المنطق نقر بأن الملف الأمازيغي قد حظي باهتمام بالغ من قبل النخبة الأمازيغية المحلية بالمغرب والجزائر وبأوروبا وحديثا بليبيا وتونس، حيث حظي انطلاقا من منتصف القرن التاسع عشر باهتمام نوعي من قبل السلطات العسكرية الفرنسية بالجزائر والتي عدته أحد الأولويات الثقافية في أجندة السياسة الاحتوائية للشعبين الجزائري والمغربي. وقد تقاطعت التحاليل والمواقف المحلية والفرنسية تجاه هذا الملف الذي يصفه البعض بأنه قنبلة موقوتة وقابلة للانفجار في أي وقت وحين[2]. والواقع يفرض على جميع الباحثين المستقلين فكريا العمل على استجلاء الخلفيات التي انبنت عليها مواقف كل طرف، واقتراح خطة طريق استشرافية لهذا الملف الذي يحتل مكانة جديدة في حياتنا السياسية والأدبية والثقافية في هاته الفترة الزمنية الحرجة. وسوف نتقدم في آخر هذا البحث باقتراح عملي لتجنب التجاذبات المتقاطعة حول الواقع الأمازيغي في فضائنا المغاربي.

وبادئ الأمر، وجب التأكيد أن عديد المظالم الاجتماعية والفكرية قد حلت بفضائنا الجيو ـ سياسي، وكان ذلك وراء السياسة الاستعمارية بكل مدوناتها القانونية ـ العسكرية ولكن بصفة أخص تمت مثل هذه المظالم أثناء عهد

الاستقلال، حيث قام رجال دول الاستقلال بتجاهل الملف " الأمازيغي - البربري" جملة وتفصيلاً[3]. وتم ذلك نتيجة عدم إدراكهم ووعيهم بأبعاده الحقيقية في صيرورة المناخ الوفاقي والإقرار بتنوع وثراء المرجعيات الاتنية للسكان عبر مئات السنين، وأنه إذا أردنا فهم التركيبة الاتنية والاجتماعية للشعب المغاربي عموما، فعلينا أن نفهم خصوصيات الملف الأمازيغي.

ودون أن نذهب بعيدا حول مضامين التعريفات المستعملة من قبل الفرنسيين والأمازيغيين على حد سواء، ندرك أن هناك إرثا سلبيا مشتركا بين الأطراف جميعها كان قد حدد مواقفها طيلة المد الاستعماري في الفضاء المغاربي وحتى عهد الاستقلال. وللتذكير فقط، اتبعت فرنسا سياسة الاحتواء وتقسيم المواطنين على أساس عرقي، منتهجة فرضية التمييز الفيزيولوجي بين العرب والبربر خلال القرن 19، موظفة في ذلك المناهج التربوية والبحوث الأكاديمية في التاريخ والانثروبولوجيا والآداب[4]. وتم التركيز حول تعليم الأهالي كل شيء ما عدا الإسلام[5]، كما اتبعت فرنسا سياسة بربرية رهيبة لا لبس فيها تقوم على الاستغلال المنظم للأحقاد بين العرب والبربر لتؤدي في النهاية، على ضوء خطتها، إلى دمج القبائل فيما بينها بهدف تحجيم الجنس العربي، مؤكدة على استراتيجية سياستها البربرية من أن "القبائليين أفضل من العرب ولهم قابلية الاندماج في بوتقة التقدم لحضارتنا"[6]، وهي السياسة التي تبناها العسكريون والمبشرون خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أمثال الجنرال هانوتو (Hanneteau) الذي ألف كتابين مرجعيين عن القبائل والطوارق، كانا قد أثرا وبعمق على توجه وإنتاج الباحثين الفرنسيين والباحثين الأمازيغيين أنفسهم، بإثارته العديد من الجدليات البحثية والتي تؤكد على أن الجزائريين هم بربر ولا يمتون بصلة إلى الجنس العربي وأن العرب هم غزاة اغتصبوا الأرض الجزائرية واحتلوها، والأشنع من ذلك هو هذا الادعاء الذي أثير بأن البربر هم من أصل أوربي لاتيني[7]! وكان الاتجاه العام هو العمل على فصل العربي عن الأمازيغي. ثم ألم تخطط السلط الفرنسية أسلمة الأوراس، بإصدار قانون 1866، والذي يلغي فيه العرف المحلي البربري تماما[8]! وقد تبلورت هذه النظرية منذ سنة 1915 بالجزائر عندما وجه اللغوي الفرنسي Edmond Destaing إلى ليوتي الحاكم الفرنسي العام بالمغرب رسالة دعاه فيها إلى إنشاء مركز الدراسات البربرية في المغرب الأقصى[9]. وقد تبلورت الرؤى بتعزيز هذه الجدلية خلال الخمسة عشر سنة بعد ذلك من المجهودات الفرنسية لتعميق النزعة البربرية، وقد توج ذلك بإعلان الظهير الاستعماري البربري بالمغرب سنة 1930 من طرف المرشال ليوتي[10].

لقد نادى هذا الظهير بالتخلي عن قوانين الشريعة الإسلامية لا بصفتها الدينية بل بصفتها قوانين عربية وبالتالي، كان الهدف منها القضاء عليها أو بالأحرى وجب القول التقليل من تأثيرات التشريعات القرآنية على المواطنين. كما منح هذا الظهير صلاحيات عدلية عبر توظيف التقاليد والعرف البربري المعمول به يومئذ، وإنشاء محاكم عرفية متركبة من الأعيان ومكلفة بالحكم في جميع القضايا المدنية والتجارية والمنقولات والقضايا العقارية. وقد شكل هذا الظهير منعطفا خطيرا في التاريخ المحلي، مساهما بذلك في خلخلة الروابط التي تسود المجتمع الأمازيغي والعربي[11] بل وزرع شتى الفوارق بين عناصره المتنوعة. وقد اهتم العديد من الدارسين الفرنسيين والأمازيغيين بعلاقة البربر بالدين الإسلامي، مؤكدين أن تلك العلاقة ضعيفة جدا وأنهم أقل تمسكا بالإسلام أو أنهم غير متعصبين على عكس العرب الغارقين في اعتدادهم بالعروبة والإسلام "وأن الدين الإسلامي تشوبه مفاهيم ومعتقدات غير إسلامية". وهذا ما استخلصه المرشال ليوتي، المقيم العام الفرنسي من أن أثر الإسلام لدى البربر سطحي جدا، مستندا في تحاليله على

منظومة الأكاديميين والعسكريين الفرنسيين طوال أنشطتهم العلمية والعسكرية، وهم الذين أكدوا على رفض الأهالي للقوانين الشرعية التي ينص عليها القرآن، وأن العرف هو قانونهم الوحيد ولا يقبلون بالشرع مهما كان الثمن لذلك. وقد أعطى هذا الظهير، كما يؤكد الباحث سالم الأبيض، الصبغة القانونية للأسطورة البربرية مخرجين بذلك المجموعات البربرية من دائرة القضاء الشرعي الراجع إلى المخزن وملحقين إياها بالإقامة العامة الفرنسية[12] كما يدعيه أقطاب السياسة الاحتوائية الفرنسية بالمغرب الأقصى. وقد قام روبار منتاني (Robert Montagne)، الذي نشر كتابا سنة 1930 حول التحولات السياسية للبربر وهم المعروفون بمجموعة الشلوح، بإضفاء الصبغة العلمية على هذا الظهير الاستعماري[13].

وقد أكدت الدراسات الأمازيغية اليوم أن هذا الظهير كان وبالا على الكل إسلاميا وأمازيغيا وعروبيا[14].

إن المتتبع لمدونة الدراسات الفرنسية حول هاته المسألة سيكشف أن مئات الكتب والدراسات قد عالجت هذا الملف الدقيق منذ منتصف القرن التاسع عشر ونشرت من طرف عسكريين ومسؤولين سياسيين ومؤرخين وكتاب. وكان طابع هذا التراث البحثي المؤدلج أنه كان حاملا لواء الدفاع عن البربرية، والتي توسعت قنواتها وسبلها عبر مختلف الكتابات الفرنسية التاريخية والأدبية والانثروبولوجية، ليتوج بإنشاء معهد الدراسات الأمازيغية في صلب جامعة الجزائر في أوائل القرن العشرين، قبل أن تنشأ مثل هذه الكراسي بكل من باريس والرباط أو أي فضاء جامعي دولي آخر[15]. وقد أصبح قطبا متحركا وفاعلا في تفعيل مطالب الأمازيغيين الأساسية كالاعتراف بهم كجزء من المجتمع الجزائري أو المغربي وأن لهم حقوقا تاريخية وجب على الجميع الاعتراف بها دستوريا.

وفي هذا السياق برز باحثون أكاديميون أشرفوا على هذا الكرسي البربري بالجامعة الجزائرية، ولعل آخرهم، أثناء العهد الاستعماري المتأخر، جزائري من أصل أمازيغي هو سعيد بوليفة الذي قام بنشر مجموعات من النصوص الأدبية البربرية، وتم إلحاقه بكلية الآداب بجامعة الجزائر. وقد تعدّدت المنشورات من كتب وبحوث ورسائل جامعية، وكان آخرها أول رسالة دكتورا دولة نوقشت قبل سنة واحدة من الاحتفال بمئوية احتلال الجزائر وقام بها أندي باسي[16]. وفي هذا السياق، جاءت مبادرة المملكة المغربية متأخرة جدا، إذ بعد مخاض عسير وشاق ومؤلم، تم تأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في تموز/يوليو 2001[17] وجاء خطاب أجدير في 17 تشرين الأول/أكتوبر 2001. وقبل ذلك قامت الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي منذ تأسيسها في 10 تشرين الثاني/نوفمبر 1967 على تبني أنشطة عديدة وأساسية للحركة الثقافية الأمازيغية منذ سنة 1991 وأدت هذه المساهمات بعد ذلك إلى الاعتراف بشرعية هذه الحركة الأمازيغية[18].

إلا أن سلوكيات ومواقف جميع المسؤولين المغاربيين بعد الاستقلال لم تحترم الثوابت والقناعات والخصوصيات الأمازيغية. وتم تبني سياسة غير ذكية أصلا، عندما قامت السلطات السياسية الجزائرية بعد الاستقلال مباشرة بإلغاء كرسي الدراسات البربرية من جامعة الجزائر سنة 1962، وهو ما كان وراء بروز تجمعات فكرية وثقافية ومهنية عديدة خارج وداخل الجزائر كرد فعل، والتي رفضت طمس هويتها ومميزاتها اللغوية والحضارية أو التقليل منها. وعليه قام الأمازيغيون بانتهاج سياسة قضت بإبراز هويتهم القومية وخصوصياتهم الأدبية واللغوية عبر تنظيم عدد من التظاهرات والأنشطة المختلفة وكان الهدف منها خلق وعي حقيقي بأزمة الهوية البربرية. واتسمت تلك الأنشطة بمعاداتها للسلطة المحلية المركزية[19]. وعليه فإن مجابهة السلط الرسمية لهذا التيار البربري

المتحرك والمتفاعل، كانت له تداعيات دقيقة جدا، إذ تبنت دولة الاستقلال مبدأ عدم تشجيع الباحثين وخصوصا منهم الأجانب على الاهتمام مباشرة بهذه الجدلية البحثية منذ استقلال الجزائر[20].

إن هذا الموقف السلبي من سلطات الاستقلال بالفضاء المغاربي، كان وراء أدق وأخطر المواقف المتشنجة لبعض القوى الأمازيغية في الداخل والخارج. ولعل أبرز تلك المواقف بعد استقلال الجزائر مباشرة سنة 1962، هو قيام الصحافة البربرية الإعلان في باريس عن استقلال ذاتي لمنطقة القبائل. كما نادت بتشكيل حكومة مؤقتة يومئذ حتى لا يتعرض البربر مستقبلا إلى أي ظلم واحتقار وهيمنة من الحكومات الوطنية. كما ناشد أعضاء هذه الحكومة " الافتراضية" المؤقتة من باريس، إنشاء حكم برلماني وطالب الأمم المتحدة بتنظيم استفتاء بشأن تقرير المصير! وهو موقف مدان.

عد ذلك من الأخطاء الفادحة في جدلية البناء الوطني المغاربي، الذي وجب أن يحتضن كل شرائحه الاثنية. ونادت جمعيات بربرية بفرنسا وأمريكا وبريطانيا تأكيد إنشاء الدولة البربرية الواحدة وإنشاء كونغرس بربري أيضا.

إن مثل هذه الأنشطة الأدبية كان الواجب تكثيفها داخل حدود الوطن وليس خارجه. وهذا ما جعل النخب غير الأمازيغية تنظر لهذه الدعوات ومختلف هذه الأنشطة، والتي كان ظاهرها نشاطا أدبيا ولكنها اكتست طابعا سياسيا بامتياز، نظرة الريبة والشك في وطنية المنادين بها ونادت بأخذ موقف محترز منها على اعتبار توجهها غير الوطني.

والتساؤل الحتمي الذي يفرض نفسه هو : ما هي خلفيات هذا التوجه الاستقلالي للبربر؟ وهو ما يجرنا إلى فتح ملف تعامل السلطات المغاربية جميعها بعد الاستقلال السياسي سواء أكان ذلك بالمغرب أو الجزائر ومؤخرا بليبيا وتونس مع هذه المسألة.

لنؤكد بادئ الأمر أن البربر يمثلون قسما مهما من شرائح الشعب لهذا الفضاء المغاربي، وقد بلغ عددهم حوالي 15 في المئة من مجموع السكان اليوم. ولا نثير هنا مصداقية احصائيات عدد سكان الأمازيغيين، فقد تقاطعت الإحصائيات من بلد لآخر، ولكن المهم أن عددهم بحدود العشرين مليون نسمة، وسوف يتجاوز الثلاثين مليون في أواخر العقد الحالي. وهو رقم مهم جدا في عملية التعاطي الذكي مع هذا العدد المرتفع من مواطنينا[21]. وهنا أود أن أثير قضية دقيقة، كان قد طالب بها الأمازيغيون وتقضي بالاعتراف بهم ككينونة اثنية غير عربية. وعلى ضوء ذلك، كان الأصوب تجنب استعمال مصطلح "المغرب العربي" وتعويضها " بالمغرب الكبير". وشخصيا، كنت من أشد المنادين باستعمال تسمية "المغرب العربي" في كتاباتي منذ نصف قرن. ولكن اليوم، تغيرت لدى المعادلة تماما. ويستحسن درئا لكل الانزلاقات والمواقف غير المعتدلة، أن نكسب هذا الجزء الهام من الشعب ونعمق لديه الارتباط العضوي بالمواطنين غير الأمازيغيين وهذا ما يضمن لنا التحاما ووفاقا أصبح منشودا من طرف عقلاء الجانبين. وعكس ذلك سوف تتمادى هذه الجفوة والرفض والذي يمكن أن توظفه عديد الدوائر الغربية والأمريكية لغير صالح شعبنا ويكون وراء تعميق الشرخ بين الهوتين المغاربية والأمازيغية. ذلك أنه لا يحق لأي طرف كان أن يغيّب أو يهمش أبناءه بالطريقة البائسة التي عاشها الأمازيغيون في الاستقلال السياسي[22]. ولا بد أن ننوه بعديد الشخصيات الأمازيغية التي تمكنت من إثراء المكتبة الوطنية بالجزائر والمغرب بإنتاج فكري متميز. كما أذكر هنا بأحد أعلام الأمازيغيين الجزائريين هو المرحوم محمد أوديرايت عمران، وتعيينه رئيسا للمجلس الأعلى للأمازيغية وترأسها خلال 1994 إلى زمن وفاته وحقق نشاطا أدبيا فاعلا في الإفاقة الوطنية عبر أشعاره التي كان ينشدها المناضلون أثناء حرب التحرير للدفاع عن الهوية الوطنية[23]. ثم الأستاذ محمد بودهان

ومولود معمري وغيرهم. وتؤكد الدراسات العلمية غير الانفعالية أن البربر ساهموا مباشرة في نحت منظومة فاعلة في التفاعل الحضاري عبر العصور، ببروز أعلام ومفكرين وقيادات عسكريين وأدباء وشعراء وكانوا بالفعل شركاء في بناء الحضارة وتفاعلوا معها وأعطوا للمسيحية أباء مؤسسين وقدسيين ومفكرين وكتابا من ألمع ما شهدته المسيحية في تاريخها الطويل[24].

لا سبيل إلى ذكر أسماء الأعلام البربريين المشهورين فالقائمة طويلة وطويلة جدا وأحب أن أتوقف على ثلاث أسماء فقط، بادئا بهذا البطل التاريخي البربري طارق بن زياد والذي قاد الجيوش المغاربية الإسلامية لفتح الأندلس، ملقيا عليهم تلك الخطبة الرائعة والتي لن ينساها التاريخ.

أما الشخصية الثانية فهو أبو عبد الله بن اجروم الصنهاجي، أحد المتخصصين في نحو اللغة العربية، وكان بربريا وعد مهندس هذا الاختصاص وواضعه وقد أطلق على كتابه الأجرومية ومازال حتى اليوم المرجع النحوي الأمثل في ذلك. وقد رددت أروقة جامعة الزيتونة والعلماء الزيتونيون طوال عدة قرون هذا الكتاب المفتاح للدفاع عن سلامة اللغة العربية والحفاظ عليها عبر تسهيل وتقريب نحوها للجميع، ويأتي هذا الإنجاز من أحد البربريين المدافعين عن سلامة الحفاظ على اللغة العربية.

أما الشخصية الثالثة، فهو البطل الريفي عبد الكريم الخطابي الذي قاد أشرف معركة تحريرية للمغرب وعهدت إليه بعد ذلك رئاسة مكتب تحرير المغرب العربي بالقاهرة، وهو الأمازيغي القح ولا نعثر في خطاباته على أية إشارة لذلك، وتلك هي دلالة عميقة جدّا لهذا الوفاق المبدئي التاريخي الأمازيغي-المغاربي في ذلك الظرف التاريخي الدقيق. إن هذا التراث الأمازيغي المتنوع هو صفحة بيضاء ومشرفة للنضال السياسي والفكري والعسكري واستوجب علينا جميعا عدم إهماله من أجل بناء فكري وتنموي وحضاري لفضائنا على أسس جديدة وديمقراطية وأخذ ذلك بالاعتبار[25].

وهناك العشرات بل المئات من الأعلام الأمازيغيين عبر التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر، من بناة الحضارة العربية-الإسلامية بربوعنا. وهم محل افتخارنا واعتزازنا ولم ننظر إليهم إطلاقا هل هم أمازيغيون أم عرب، فالهوية الاتنية وجب أن تنمحي أمام أهمية التراث الفكري والنضال الوطني الذي أدوه يومئذ. ولا أدل على ذلك من ذكر أعلام الثورة الجزائرية ببلاد القبائل أمثال عمار أوزيغان وكريم بلقاسم ومحمد بن السعيد وأحمد بن بلة وحسين آت احمد وهواري بومدين وعميروش وآت حمودة وعبد الرحمن ميرة ويوسف اليعلاوي ورجل الفكر المؤمن حقا بالتواصل الأمازيغي المغاربي في شخصية الوزير السابق مولود قاسم، حيث عشت شخصيا معظم مؤتمراته حول الفكر الإسلامي، وكنت مندهشا جدّا لقناعاته حول هذا الملف بالعمل على تركيز ثوابت الهوية الوطنية الجزائرية. هذا فضلا عن عديد علماء الإصلاح الذين عملوا على توحيد الشعب ودافعوا عن هويته وثقافته العربية - الأمازيغية الإسلامية. أما الإيديولوجية القذافية خلال طول حكمه، فقد تم خلالها إصدار قانون عن مؤتمر الشعب، نادى صراحة بمنع استعمال غير العربية في جميع المعاملات بل وحجب الأسماء البربرية وعدم استعمالها أصلا وتضييق مجالات الفنون والآداب والموسيقى البربرية بل وتتبع الناشطين البربر منهم والذين وظفوا البوابة الثقافة لاختراق هذه الممنوعات ؛ بل وذهبت السلطات حتى إلى الطعن في وطنية ما يطلق عنهم بليبيا الجبالية أي الأمازيغية ونكران مساهماتهم في النضال ضد الإيطاليين ؛ إنه العمى والجهل والانغلاق المطلق على إيديولوجية بائسة حقا[26] وقد جارى هذا التوجه العديد من المفكرين القوميين وأصحاب

هاوڵێرێ کتێب

الطموحات الشخصية الوصولية، وهو أمر يندى له الجبين.

لقد أعتبر الباحثون المنصفون أن الأمازيغ كانوا أشد الناس عبر التاريخ حرصا على خدمة الإسلام وأداء واجباته، وأن السلوك الأمازيغي تجاه الإسلام هو سلوك متأصل فيهم ولكنهم ضد كل من مارس تجاههم التفرقة والإقصاء، وهذا موقف تبناه القوميون والعروبيون لكل ما هو غير عربي مع أسفنا العميق. ونحن الآن ندفع الثمن غاليا، تجاه هذا الإرث الذي يسعى المؤمنون بحتمية التواصل بين الهويتين والعمل على التقليل من تداعياته المباشرة على سلوكنا وتفكيرنا ومناهجنا المدرسية إلى تغييرها. إذ الأمازيغية ليست ضد الإسلام أو العروبة بل أن القيادات الأمازيغية النيرة تنادي بإنجاز ثورة هادئة وممنهجة ضد سياسة الإقصاء والتهميش من قبل مجموعات محسوبة على الإسلام والعروبة والقوميين عموما[27] إذ كيف يقبل الحزب الاشتراكي الدستوري التونسي والتجمع حزب بن علي بعد ذلك، عدم وجود ولا إشارة عابرة للأمازيغيين التونسيين في خطبهم والقوانين التي تبنوها بل أنهم تجنبوا أي معلومة عن أمازيغ تونس كما أن حركة التجديد وحركة الديمقراطيين الاشتراكيين وحركة الوحدة الشعبية والحزب الديمقراطي التقدمي فقد تناسوا جميعهم هذا الملف، وهذا يعكس غياب الرؤية الثاقبة للتركيبة المجتمعية في بلادنا[28].

يتبين لنا إذن على ضوء هذا الاستعراض السريع لأهم توجهات السياسة المتبعة حول الملف البربري مدى المسؤولية التاريخية المباشرة بالدفع بالحركة الأمازيغية للتغني والغلو المشط بالخصوصيات والإرث والتقاليد الأمازيغية الموروثة، وهذا ما دفع بباحث يعتبر من رجالات الدولة التونسية ووزير الثقافة سابقا ونعني به الأستاذ الحبيب بولعراس، غير المهتم مباشرة بالمسألة البربرية، أن يدعو سكان شمال إفريقيا إلى تجاوز العقدة البربرية... مقترحا أن تبدأ الكتب المدرسية على مستوى المغرب الكبير بعبارة "أجدادنا البربر"[29]، وهو ما يترجم كيف أنه في لحظة زمنية محددة، كان التيار البربري قويا جدا وفاعلا حتى على الشخصيات المغاربية ذوي الثقافة المزدوجة وغير المنتمية إلى الأمازيغيين، إذ كانت تنادي بهذا المبدأ دون إيجاد المناخ الفكري التوافقي مع بقية العناصر المكونة وذات الأغلبية الفاعلة على المشهد في فضائنا المغاربي.

والواقع أن الخطاب الأمازيغي ليس نقيضا للعروبة أو هو ند لها وكلاهما يكمل الآخر وعلينا أن نناهض كل المقولات والأطروحات التي تغذي صراعا خفيا ومفتعلا بين الهويتين الأمازيغية والعربية وتعمل على بث التفرقة والحقد بينهما. وهنا أعرج على بعض الأمثلة من عناوين المقالات المنشورة في الصحف المغاربية والعربية والتي تعكس التوجه السلبي والهجومي ضد مبدإ التوافق والتجانس عبر اتخاذ مواقف التحدي للرأي العام المغاربي في ثوابته وقناعاته. ولا يسعنا إلا التأكيد على أن مثل هذه الخروقات سوف تسيء حقا للجميع، كما نادى بذلك الناشط الأمازيغي الليبي مؤخرا فتحي بن خليفة ساعيا إلى تجييش المشاعر الأمازيغية ضد العرب بل أنه نادى بفصل الأمازيغ والذين يطلق عليهم بليبيا "الجبالية" عن صلب المجتمع الليبي ولا حرج لديه بإقامة علاقات مع اسرائيل، وهو ما يبرر كيف تم انتخابه رئيسا للكونغرس الأمازيغي العالمي بمباركة من أطراف مؤثرة على المشهد الثقافي المتوسطي[30].

وللتأكيد على سلامة التوجه الوفاقي بين الهويتين، أتوقف عند هذا الإهداء الرائع للباحث التيجاني بولعوالي في كتابه الإسلام والأمازيغية الذي أهدى كتابه إلى " أبي الأمازيغي الذي تعرب وإلى والدتي العربية التي تمزغت"[31].

ألا يعكس هذا الإهداء أحد أوجه التفاعل الحقيقي والتزاوج الثقافي والفكري البناء لكلا الهويتين طوال تاريخنا المشترك ؟ وعليه فإن

الأمازيغيين والعروبيين مطالبون بتجذير هاته الهوية المنفتحة على الآخر والمعتدلة والمتفاعلة وإدراجها في سلوكنا وتفكيرنا ومناهجنا المدرسية ووسائل إعلامنا، خاصة وأن رصيدنا النضالي قد وحدنا حقا ويشهد لنا الجميع بذلك، إذ ماهية هويتنا ظلت ناصعة وفاعلة على أساس أن الأخلاق هي الإرث الحقيقي للجميع، وهو سر بقاء الإنسان المغاربي أمازيغيا كان أو عروبيا وفيا لتراثه النضالي ولإسلامه النقي والتلقائي. وكما ذكر الباحث التيجاني بولعوالي أن " الشعب الأمازيغي استطاع أن يصمد ويحفر في ذاكرة التاريخ بإبائه وماضيه وكرمه، وهو خلوق وكريم ونبيل ويؤمن بالمبادئ التي يحاسب من أجل نيلها وإثباتها..."[32].

ذلك أن المواطنة ليست مفهوما فضفاضا بل هي محتوى مرتبط أصلا بأرض ووطن ودولة وجنسية وقومية، وأن القومية الحقيقية هي هذا الانتماء للخصوصيات الحضارية المشتركة والتي تستمد شرعية وجودها من الدين واللغة والتقاليد، وكلها تم تفاعلها ضمن كينونة تسمى إما الهوية العربية أو الهوية الأمازيغية. ولا سبيل لتوحيد الهوية عبر فرقعة هذه المكونات من أجل هوية واحدة وثابتة، بل الأجدى والأبقى أن تكون لدينا هوية مغاربية تنتظم فيها كل الخصوصيات المميزة لكل واحدة منها، وإن الهوية الوطنية وجب أن تشكل حجر الزاوية في تكوين الأفراد والشعوب والجماعات[33]. على أن يكون فيها انسجام وتوافق وتكامل بينها، إذ الهدف من ذلك هو عدم ذوبان الهوية المغاربية بشقيها في هوية أوروبية أو أمريكية، أو الارتماء في أحضانها أو الاستنجاد بها لدعم مساراتها ضد التوجه العربي للأغلبية العربية ـ إسلامية[34].

لقد استوجبت لوجود هوية ثقافية وحضارية اندماجية، عدم سيطرة اتنية معينة على الأخرى، ويومئذ يصبح باستطاعتنا أن ندافع عن كل الخصوصيات اللغوية والوجدانية لكل فريق ونضع بذلك حدا فاصلا للتهميش الثقافي والخطاب القومي وطمس الهوية للطرف الأمازيغي والذي مورس على جزء فاعل وحيوي من مجتمعنا، على أن يكون اللقاء بين الهويتين حضاريا وليس عرقيا[35]. مع التأكيد على أن الدراسات العلمية تثبت أن الإسلام قد أدى دور الحامي للهوية العربية والبربرية في نفس الوقت بالجزائر وتعزز ذلك الدور عبر مطالب جمعية العلماء الجزائريين قبل الاستقلال وبعده، كما أبرزت المعارضة الفكرية للنخبة الجزائرية قوة دفع وتفاعل حقيقي مع مطالب التعريب للحفاظ على سلامة الهوية الوطنية وهذا ما أكده الباحث د. المنصف وناس من أن معركة التعريب كانت جزءا أساسيا من النضال الوطني للحفاظ على الهوية[36].

إن التنمية الحقيقية للأمازيعية تبدأ من تنمية الإنسان على أساس التبادل والاعتراف بالحقوق والواجبات بين الدولة والشعب[37]، وأضيف هنا أيضا بينهم وبين القوميين المغاربيين، حيث نادينا برفض افتعال الصراع بين الفريقين، ولو حصل، فهو مؤشر مرفوض خاصة وأن المجتمع المغاربي اليوم يطمح للوصول إلى مرحلة الوحدة الثقافية باحترام الأمازيغية والعربية[38] وخصوصا عندما أقرت السلطة المغربية والجزائرية الاعتراف باللغة الأمازيغية كعنصر جوهري في الكينونة والهوية الوطنية ومنحت الأمازيغيين أحقية البث الإعلامي المباشر باللغة الأمازيغية وتعليمها للنشء، ونشر الكتب والصحف باللغة الأمازيغية، وهذا ما يعد اختراقا ذكيا ضد جدار الصمت واللامبالاة التي تواصل حتى وقت قريب جدا[39]. كما أثبت في الدستور الجزائري الاعتراف الرسمي من أن الأمازيغية هي لغة وطنية وأن الجزائر وطن العرب والبرابرة وليس فقط عربي - إسلامي[40]!

لقد آن الوقت اليوم السعي إلى إثراء هويتنا الوطنية أمام هذا الزلزال الرهيب الذي تعرفه معظم الهويات في العالم، نتيجة تداعيات العولمة الثقافية الرهيبة، حيث أصبح المنطق الاستعلائي الهجومي والممارس ضد مختلف

هويات العالم وهويتنا بصفة مباشرة هي القاعدة. وقد ساهم ذلك في التطاول على الثوابت الدينية والعقائدية والفكرية وتحقيرها عبر كل الوسائل السمعية البصرية والأقمار الصناعية والتي احتوت على الكثير من التضليل والتزييف، ونشر الرعب والخوف والحذر من الفئات والجماعات التي تقف صامدة للدفاع عن هويتها الثقافية وتراثها وذاكرتها الاتنية، أمازيغية كانت أو مغاربية عربية ـ إسلامية، وهذه رسالة جديدة وجب أن تؤديها النخب المدركة بدورها في تعميق الوعي بهويتنا.

في الختام أدعو القيادات السياسية الجديدة في تونس وليبيا إنشاء لجنة خبراء متركبة من علماء اجتماعيين ومؤرخين وانثروبولوجيين عرفوا بالنزاهة والعلم لدراسة ملف الأمازيغ وتقديم اقتراحات عملية لتعميق الوفاق الوطني الهوياتي الأمازيغي التونسي الليبي وبناء الثقة بيننا جميعا والاعتراف بالحقوق اللغوية والأدبية لكل الأمازيغيين والتكفير عن الأخطاء الجسيمة التي ارتكبت في حقهم منذ الاستقلال السياسي لبلداننا. كما أني أناشد القيادات الأمازيغية بليبيا خاصة عدم الانزلاق وراء التوظيف الإيديولوجي المشط والإقدام على رفع الأعلام الأمازيغية بدل الأعلام الرسمية على المباني الحكومية، كما فعل أمازيغيو تونس بالجنوب وجبالية ليبيا عندما أنزلوا العلم الوطني ليتم تعويضه بعلم أمازيغي، والذي لو تواصل مثل هذا التحدي والهجوم على رموز شعاراتنا القومية، فسيلحق الضرر بقسم مهم من شعبنا ويقطع الطريق عليهم للمساهمة في بناء فضائنا الجغر ـ اسياسي وإحلال الديمقراطية وإقرار التوافق الهوياتي الفكري الذي ينشده المخلصون من شعبنا

الهوامش:

(1) كما نذكر هنا بهذه الجمعية التونسية التي أنشأت تحت عنوان : جمعية لم الشمل والتي ضمت 8 جمعيات بربرية أخرى واحتفلت يوم 14 كانون الثاني/يناير 2013 براس السنة الأمازيغية، وكان الهدف الجوهري هو التعريف بلغتها وثقافتها المهملتين دوما في عهدي بورقيبة وبن علي، على أساس انتهاج سياسة الوفاق مع هوية الشعب. راجع : (الهوية المسترجعة) " Une identité retrouvée" in, Réalités, N1412, Tunis, س. le 23/1/2013 .

(2) امحمد المالكي، " الأمازيغية في المغرب: رهان ثقافي أم ضرورة سياسية"، في رهانات الثقافة والمعرفة بتونس والمغرب العربي 1956 - 2005، منشورات المؤسسة، تونس 2006، ص 129.

(3) فضل بعض الباحثين استعمال كلمة البربرية بدلا عن الأمازيغية، راجع بهذا الخصوص د. ناصر الدين سعيدوني، " المسألة البربرية في الجزائر، دراسة للحدود الاتنية للمسألة المغاربية"، في مجلة عالم الفكر، عدد 4، الكويت، نيسان/ابريل 2001، ص 142، وذكر الباحث بأن مصطلح الامازيغية كلمة موضوعة لغرض سياسي إيديولوجي قائم على مغالطة لفظية، تحاول التستر على الأصول الأولى لهذه المسألة. إلا أنني شخصيا لا أجاري هذا التحليل، مفضلا استعمال الكلمتين لنفس الدلالات التاريخية مع تفضيلي استعمال الأمازيغية والتي أصبحت كلمة جيوسياسية عالمية الاستعمال وبصفة أخص من طرف الكتّاب والباحثين والأدباء الأمازيغيين اليوم في فضائنا المغاربي. راجع أيضا: علي فهمي خشيم، سفر العرب الامازيغ، 3 أجزاء، منشورات دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت 1995، ج 1، ص 6، حيث تعرض إلى هذه التسمية.

(4) محمد المختار العرباوي، من جذور المسألة القومية : البربر عرب قدامى تدمر، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، 1993، ص 15.

(5) المصدر نفسه، ص 16، هاته القولة ذكرها المؤلف على لسان الكابتن الفرنسي Mauric Galey وهو من الضباط العسكريين بالجزائر.

(6) المصدر نفسه، ص 17، هاته القولة ذكرها د. بوديشون (Bodichon)سنة 1845.

(7) عثمان سعدة، عروبة الجزائر عبر التاريخ، منشورات الحركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 10، راجع أيضا د. ناصر الدين السعيدوني، نفس المصدر، ص 149، كلمة استقاها من كتاب دليل بجاية، القبائل الصغرى Guide de Bougie : La Petite Kabylie، منشورات باريس 1914، كما قدم د. ناصر الدين سعيدوني مثالا مثيرا للغاية حول شخصية المحامي أبازيزي الذي استبدل اسمه بأغسطين بعد اعتناقه المسيحية، وهو الذي يعتبر أن القبائلي ليس ساميا في أصله... وهو في ميوله اقرب إلى الشعوب اللاتينية!

(8) G.H Bousquet, Les Berbères, p. 105, 2ème édition, Paris, 1961.

(9) Katherine E. Hoffman and Susan Gilson Miller, Berbers and Others : Beyond Tribe and Nation in the Maghrib, Indiana University Press, 2010, p. 3.

(10) المالكي، نفس المصدر، ص 129.

(11) التيجاني بولعوالي، الإسلام والأمازيغية : نحو فهم وسطي للقضية الأمازيغية، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2008، ص 126.

(12) سالم الأبيض، الأقلية البربرية في تونس، ص 43 - 44، منشورات المركز العربي للدراسات السياسية والاجتماعية، تونس 2011.

(13) المصدر نفسه، ص 44.

(14) التيجاني بولعوالي، نفس المصدر، ص 126.

(15) محمد ضيف الله : "الهوية البربرية من خلال المجلة الإفريقية"، في المجلة التاريخية المغاربية عدد 135، تونس، 2009، ص 108 - 109.

(16) محمد ضيف الله، نفس المصدر، ص 109.

(17) التيجاني بولعوالي، نفس المصدر، ص 126.

(18) 40 سنة من النضال الأمازيغي، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، القنيطرة، 2007، ص 26، شكل هذا الكتاب إحدى المرجعيات التوثيقية الهامة لمعرفة كل أوجه نضالات الأمازيغيين بالمغرب الأقصى انطلاقا من سنة 1967 وعلى جميع الأصعدة السياسية والثقافية واللغوية.

(19) المنصف وناس، الدولة والمسألة الثقافية في الجزائر، منشورات أليف، تونس، دون تاريخ، ص 167.

(20) Katherine E. Hoffman, op. cit., p. 2 هذه هي الفقرة التي عكست هذا الموقف :

From the mid-sixties until the late 1990s, it was difficult to conduct original ethnographic research on Berber issues because of a hostile political climate in North Africa, where recognition of ethnic or linguistic "difference" was considered a challenge to the legitimacy of the state and the unity of the nation".

(21) سالم الأبيض، نفس المصدر، ص 122، حيث أثبت الأرقام التالية : 12 مليون بالمغرب و6 ملايين بالجزائر وما بين 20 و50 ألفاً بتونس و300 إلى 500 ألف في ليبيا، وهناك ما بين 12 إلى 20 ألفاً بمصر و2 مليون يتوزعون بين مالي والنيجر وبوركينافاسو. راجع أيضا : W. Marçais et A. Barset: "Les parlers arabes et Berbères", in Initiation à la Tunisie, Maisonneuve et Larose, Paris, 1950, p. 220.

أورد الباحثان أن مجموع البرابرة بحدود خمسين ألف. وأثناء الاستقلال، بقيت القرى البربرية بتونس تحافظ على الضمير البربري راجع أيضا: A. Louis, op. cit., p. 119.

(22) 40 سنة... نفس المصدر، راجع أيضا: Berbers and Others, op. cit., p. 3.

(23) راجع الموقع التالي: Haut commissariat de l'Amazighite (H.C.A)

وهذا المجلس الأعلى للأمازيغية أنشئ بقرار رئاسي بتاريخ 27 أيار/مايو 1995.

(24) كامب، ج، البربر الذاكرة والهوية، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات المترجمة (44)، ص 24، ليبيا، 2005.

(25) ولا سبيل إلى ذكر الأعلام الأمازيغيين الذين تركوا لنا العديد من المؤلفات المرجعية في التاريخ والآداب أمثال : البيان المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب لإبن عذارى المراكشي، وكتاب البكري وغيرهما من الأعلام الأمازيغيين الأفذاذ. أما بالنسبة للفترة المعاصرة فهناك المئات من الشخصيات الفكرية الأمازيغية والتي شرفت المعرفة ونذكر هنا بدور المفكر والفيلسوف محمد عابد الجابري أبرز القامات الفكرية على المستوى العربي.

(26) سالم لبيض، نفس المصدر، ص 74.

(27) التيجاني بولعوالي، الاسلام والأمازيغية نحو فهم وسطي للقضية الأمازيغية، منشورات افريقيا الشرق، المغرب ، 2008، ص 130.

(28) سالم الأبيض، نفس المصدر، ص 89، راجع مقالا نشر هذه الأيام بجريدة " الجزيرة" التونسية لشهر شباط/فبراير 2013 وحوصل الكاتب فيه المعاناة الشديدة التي تعرض لها أمازيغيو تونس من النظامين السابقين، وقد حرر المقال باللغة الفرنسية السيد كمال تمارزيزات:

Kamel Tmarzizet, Les Amazighes : une ethnie dite berbère, d'art et de culture d'un passé lointain affirmé."

الأمازيغيون : اثنية بربرية، للفن والثقافة لماضي بعيد).

(29) Habib Boulares: "Nos ancêtres les berbères", Jeune Afrique, n 1015, Juin 1980.

(30) وإليكم بعض العناوين الصادرة خلال السنتين الماضيتين :

- "الحزب الأصولي نشر وثائق عن صلب ناشطين أمازيغ دعما أميركياً لمواجهة العرب: عشرات الجمعيات الأمازيغية تشن حربا إعلامية على حزبي الاستقلال والعدالة والتنمية" والمقال نشر بجريدة " القدس" اللندنية بتاريخ 14 سبتمبر 2011.

- مهرجان كبير للموسيقى الأمازيغية في وسط العاصمة الليبية" في جريدة القدس بتاريخ 29 أيلول/سبتمبر 2011.

- " أمازيغ ليبيا يطالبون بإدراج لغتهم ضمن الدستور الجديد للبلاد، في القدس العربي بتاريخ 2011/9/27.

- "أول مؤتمر أمازيغي في تونس" (CMA) جريدة المحرر التونسية بتاريخ 1 تشرين الأول/أكتوبر 2011.

- "رئيس الكونغرس الأمازيغي العالمي : الأمازيغ الليبيون لا يجدون حرجا في التعامل مع اسرائيل"! في القدس بتاريخ 2011/10/5.

- " الكونغرس الأمازيغي سيطر على المعابر ويرفض أداء اليمين" في جريدة الشروق التونسية بتاريخ 2011/12/7.

(31) التيجاني بولعوالي، المصدر نفسه، ص 6.

(32) المصدر نفسه، ص 83.

(33) راجع دراستنا :" جدلية الهوية الثقافية العربية على محك العولمة" في المجلة العربية للأرشيف والتوثيق والمعلومات، عدد 23 - 24، ص 20 - 21، تونس 2008، يذكر في كلمة الرئيس الفرنسي ساركوزي من ان هوية فرنسا هي: روح وهو مبدأ روحاني La France est une âme, un principe spirituel.

راجع أيضا د. محمد عابد الجابري، مسألة الهوية العروبة والإسلام والغرب، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، 192ص. وقد ضم هذا الكتيب آراء أكبر المتخصصين العرب في مسألة الهوية.

(34) راجع جريدة القدس العربي بتاريخ 14 كانون الأول/ديسمبر 2011.

(35) حوار أجراه معي منذ مدة بالدوحة السيد عبد الحكيم أحمين، بجريدة التجديد المغربية، راجع أيضا سالم الأبيض، نفس المصدر، ص 141، حيث نادي العقلاء بين الجانبين أن يكون الالتقاء بين الأمازيغية والعربية، فكريا وليس عرقيا.

(36) المنصف وناس، الدولة الوطنية.. نفس المصدر، ص 41 وص 121.

(37) التيجاني بولعوالي، نفس المصدر، ص 66.

(38) سالم الأبيض، نفس المصدر، ص 93.

(39) وفي هذا السياق نذكر أن الجزيرة الوثائقية قد أعدت فيلما توثيقيا سنة 2009 بـ27 دقيقة بعنوان : " بربريات : قرى الصمت في تونس". ومنذ البداية يفاجئ المشاهد بهاته الشحنة الإيديولوجية المشطة، بدءا بالعنوان الذي عكس ظاهرة الخضوع والهيمنة لجزء من سكان عديد القرى التونسية والتي عاشت حالة من التهميش المجتمعي طوال عهدي بورقيبة وبن علي. راجع أيضا سالم الأبيض، نفس المصدر، ص 133.

(40) Chérif Ouazzani, "L'Algérie : le paradoxe Berbère", in Dossier Jeune Afrique, N. 2549 du 21 Novembre 2009, p. 28

هەواڵنامەی کتێب

طوشا عامودا 1937

فايق زورو

تهدف هذه الدراسة الى تسليط الضوء على الاسباب الحقيقية الكامنة وراء الستار التي حركت الاحداث وأدت الى ما يسمى (طوشا عامودا) كما هو دارج بين اوساط الشعب الكردي.

وكما تهدف الى تقويم هذا الحدث في محاولة لاعادته الى المجرى الحقيقي لارث المقاومة الكردية من اجل الخلاص واقامة كيانها في روج افا.

ونرى لزاما علينا ان نوضح للرأي العام الكردي والعالمي بأن اعادة قراءة هذا الحدث في سياقه التاريخي و فيما لو وقفنا في ذلك لتوضيح مصطلح الوطنية سيما وقد اعتراه الكثير من التشويه والتحريف تحت ضغط الفكر الشوفيني السائد منذ ذلك التاريخ ومحاولة تنوير ماذا يعني مصطلح الكردي الوطني والكردي المتماهي كرديته في مصطلح الوطنية العربية .

وهكذا وخلاف ما هو سائد ومتفق عليه بين المهتمين بالقضايا العامة حول تراتبية التسلسل المنطقي لدى البدء بكتابة هكذا دراسات. اقصد من حيث الشكل فان المصادر المستندة تاتي في نهاية الابحاث كما جرت العادة ولكننا في هذا البحث نضع المصادر في المقدمة لاسباب نراها منطقية متعلقة بطبيعة الحدث واخرى متعلقة بالقوى والكتل المتصارعة والتي اسفرت في النهاية الى خسارة الطرفين.

ما جرى كان عملية تعتيم تام على المفهوم الوطني الكردي، وكالعادة عندما يتعلق الامر بالجانب (الكردي). والذين درسوا تاريخ المنطقة و سوريا ابان الانتداب الفرنسي لم يقرأوا كما يبدو من كتب التاريخ حول حقيقة الاحداث التي جرت في عامودا في خريف عام 1937 م . اي انه و بحسب المعطيات المتوفرة قد تم اخفاء كافة الوثائق في تلك الاحداث بصورة مقصودة و عن سابق اصرار وترصد , لذلك سوف نورد ما هو متوفر بين ايدينا و هي عبارة عن:

- محضر اجتماع رؤساء العشائر الكردية الذي انعقد في قرية توبس بادارة الباشا عبدي خلو ومستشاره السياسي ملا علي ملا خليل.

هذا المحضر موجه الى المندوب السامي الفرنسي في سوريا ولبنان والذي كان مقيما في بيروت الجنرال دي مارتيل وممهورا بأختام كل من حضر الاجتماع وكما هو معروف فان المحضر قد كتب باللغة الرسمية في ذلك الوقت وهي اللغة العثمانية. وكذلك اعتمدنا على مخطوطة بعنوان " صفحة من تاريخ الجزيرة " عبدي اغا خلو و مؤتمر توبس عام 1937م بقلم كوني رش في 13 شباط 2013 م فيما عدا ذلك يمكن اعتماد مذكرات الجنرال الفرنسي ذاته وباللغة الفرنسية.

مدخل :

في الخامس من كانون الاول من عام 1924 م وعلى اثر القرار رقم /298/ الصادر عن المندوب السامي الفرنسي والقاضي بتأسيس دولة سوريا وبموجب هذا القرار فأن دولة سوريا تعددية فدرالية استنادا الى الملحق السري باتفاقية *سايكس بيكو* وفي السادس

وعشرين من نيسان عام 1926م صدر قرار رقم /296/ القاضي بتسمية السيد احمد نامي رئيسا لدولة سوريا و عبد الرؤوف الايوبي وزيرا للداخلية و معروف عنهما انهما من اصول كردية ما يسهل اقامة كيان مسيحي في منطقة الجزيرة و محافظة الحسكة، وعلى اثره دعت سلطات الانتداب الى بحث كيفية تنفيذ المشروع مع مكونات المنطقة وعملت على تجميعهم وتوحيد صفوفهم تمهيدا للمباشرة بالتنفيذ . وكان الجنرال دي مارتيل و الجنرال كاترو قد زارا المنطقة الحدودية بين روج افا (ROJAVA) و شمال كردستان . و وقفا على تلة القرية المعروغة الان بأسم * حاصدة * المتاخمة للحدود وكان برفقتهما السيد عبدي خلو ومستشاره ملا علي ملا خليل و بعض بيكوات المنطقة بالاضافة الى السيد الياس الطويل (المترجم)، بحثوا امكانية عقد مؤتمر في قرية توبس تضم كافة مخاتير ورؤساء العشائر الكردية بالاضافة الى وجهاء اشور وسريان المنطقة، وكان الهدف منها بالنسبة لشعوب المنطقة اقامة كيان كردي مسيحي تحت الانتداب الفرنسي وتكون بحكومة ذات صلاحيات كونفدرالية تابعة لدولة سوريا التي تأسست في الخامس من كانون الاول عام 1924م، والجدير بالذكر ان الاغا عبدي خلو قد نال وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الثالثة تقديرا لجهوده في بناء هذه الدولة و كان الرئيس احمد نامي قد اصدر هذا المرسوم برقم /529/ بتاريخ 30 مارس 1927 م و هذا يؤكد ان الاكراد قد ساهموا بشكل مباشر في بناء سوريا تلك .

ومن الجانب الفرنسي فأن اهم مكاسبه كانت تتضمن البقاء في المنطقة اكبر مدة ممكنة وذلك بتفويض من هيئة الامم بحجة الانتداب على شعب منطقة الجزيرة و تعليمه اصول الحكمو بناء المؤسسات المسالمة و وضع القوانين و الدساتير الضامنة و غير ذلك .و فعلا عقد في قرية توبس في خريف 1936م منتدى واسع ضم كافة الشخصيات الكردية النافذة والفاعلة آنذاك وكان مجموع الحضور قد بلغ /150/ شخصية عامة وقد تم فيها بحث اقامة كيان كردي مسيحي في ارض الجزيرة بمساعدة الحكومة الفرنسية وحلفائها في العالم على ان تبقى فيها الادارة الفرنسة لمدى خمس وعشرين سنة وبعدها ستسلم مقاليد الحكم الى حكومة كردية مسيحية وستغادر بعدها .

وبالنتيجة وقع المجتمعون على عريضة من اربع صفحات وعليها ختم وتوقيع جميع الحضور وهي مكتوبة باللغة العثمانية وموجهة الى الادارة الفرنسية في بيروت حيث مقر المندوب السامي الفرنسي .

تمت في تلك الوثيقة بحث كافة الامور التي تخص المنطقة من حيث الاثنيات المختلفة الموجودة واللغة والعادات والتقاليد والحرمان من الحقوق العامة والطاقات والميزات الموجودة فيها وطلب فيها من المندوب السامي اصدار امر.بانشاء او ادارة محلية في منطقة الجزيرة ولادارة شؤون ابنائها تحت وصاية حكومة الانتداب حتى فترة زمنية محددة تكون الادارة خلالها جاهزة لادارة شؤونها من كافة النواحي الادارية والعسكرية والسياسية وغيرها.. لكن المؤتمرون اختلفوا فيما بينهم حول المناصب الادارية المتاحة لهم وكان الخلاف شديدا فيما بينهم وكانت نتيجة الاختلاف شق وحدة الصف والتحول الى فريقين اي جهتين ثم تحولا فيما بعد الى جبهتين.

على اثر ذلك قام عبدي باشا باعلام الفرنسيين بالخلافات الظاهرة على السطح وكانت النصيحة بان يقوم عبدي باشا وزملائه بزيارة لكافة الفعاليات المختلفة والمخالفة معه بالراي. وفعلا تم ذلك لكن لم يتمكن من رأب الصدع الموجود.وقام بزيارات أخرى دون جدوى.

أن الذين انسحبوا من مقررات الؤتمر لم يقفوا على شكل معارضة وطنية كردية بل أنحازوا الى الطرف الأخر كليا أي انهم أعلنوا رفضهم لأقامة كيان كردي مسيحي في المنطقة.

وأصبحوا يعرفون بالوطنيين وعلى رأسهم سعيد آغا الدقوري أي موالين للعرب الرافضين للوجود الفرنسي على كامل تراب سوريا وليس فقط في منطقة الجزيرة.

((الوطنيين العرب)) الذين قاموا بالثورة ضد الأستعمار الفرنسي والشريحة الكردية الموصوفة أعلاه هم ضمن تلك الكتلة أي كتلة(الوطنيين العرب).هم اكرادا من حيث الأصل.لكنهم عربا من حيث مواقفهم السياسية وهذه معضلة لا مثيل لهل في العالم. وبقي حوالي مئة شخصية كردية قبلت المشروع وعملت على تنفيذه ومن هؤلاء بالأضافة ألى مدير المشروع وقائده الأساسي عبدي خلو.

نستطيع أن نذكر مثلا نواف حسن الملي وبعض اتباعه من عشيرة المليه.بعد ان أنحازت غالبية العشيرة لكتلة (الوطنيين العرب). وحاج درويش العزيزي من عشيرة كيكان وعبدي تيلو والشاعر جكر خوين. وغيرهم بالأضافة إلى غالبية المسيحيين في الجزيرة بقيادة المطران ألياس حبي.

وتردد البعض منهم بين هذا وذاك وكان حاجو آغا من أشهر المترددين ألا انه انحاز أخيراً ألى الطرف العربي.

بالتيجة كانت فرنسا مصرة على انجاح المشروع ولأجل ذلك عملت على وجوب افتعال فتنة في عامودا بين الطرفين لتتمكن من التدخل واسقاط وطرد المناوئين للمشروع من جهة واعلام عصبة الأمم من أن هناك مواجهات دموية تجري في شمال شرق سوريا وانها سوف تقوم بواجبها الأنتدابي لوقف القتال ومن ثم الحصول على موافقتها للبقاء فترة اطول في المنطقة ووضعت خطة لأجل ذلك وحددت يوم 1937/10/1 للقيام بالتنفيذ وهي على الشكل التالي: سيقوم المسيحيون في عامودا بضرب بعض الناس الموالين للوطنية العربية من الأكراد وتكون هي الشرارة الأولى ومن ثم سيتم طرد هؤلاء من عامودا واذا أبدوا مقاومة ستقوم حكومة الانتداب بقصفهم بالطائرات وستستلم لجنة من عدة أشخاص من الوطنيين الكرد وعلى رأسهم الشاعر الكبير جكر خوين مقاليد الأمور في عامودا وماحولها.وهكذا في بقية المناطق ورغم أن الشرارة الأولى قد أحدثت في غير موعدها بثلاث ايام متقدمة الا ان هذا لم يكن يشكل فرقا في التنفيذ. و بدأ الوطنيين الكرد بالتدفق الى عامودا ورغم المقاومة التي ابدتها الوطنيين العرب من الكرد الا انهم لم يستطيعوا الصمود و خاصة بدأت حكومة الانتداب بتحريك سلاح الجو و قصفت عدة قرى.... اتخذتها الوطنيين العرب من الكرد ملاذا لها. ولما لم ياتي احد من العرب الوطنيين لنجدتهم، وتخلخلت صفوفهم، ولاذوا بالفرار صوب حدود تركيا شمالا وصوب حدود العراق وخاصة الى شمال شنغال ويذكر ان اعداد البنادق المسلمة الى حرس الحدود الكردية كانت تتجاوز خمسة الاف بندقية ومثلها من الذخيرة وبالنتيجة تم تطهير عامودا من رجال الدولة السورية العربية، وقامت اللجنة المدنية المكلفة بتسيير امور البلاد والعباد برئاسة جكرخوين في عامودا حيث القت القبض على كافة الموظفين العرب من الداخل السوري في كل من عامودا والدرباسية وغيرها تم تجميعهم في محطة حمدونة للقطار القريبة من عامودا وعلى حدود تركيا (شمال كردستان) وتم ترحيلهم مع عائلاتهم الى الداخل السوري وبدأت اللجنة بممارسة عملها بشكل اعتيادي وتم كذلك القاء القبض على اول محافظ تم تعينه من قبل الحكومة السورية وهو توفيق شامية ووضعه اسيرا في قرية علي فرو.

وبقيت الامور على هذا المنوال قرابة سنة او اكثر، الى ان حصلت تغيرات دولية مرتبطة بظروف الحرب العالمية الثانية واحتلال المانيا لفرنسا وتسليم الامور فيها الى حكومة موالية لها (الجنرال فيشي) وظهور جماعة الجنرال ديغول، وما رافقها من مستجدات أثرت على قواعد اللعبة في العالم كافة و منطقة الجزيرة (ROJAVA) التي تهمنا خاصة .

من وثائق ومراسلات الشخصيات ورجال العشائر في الجزيرة والمسؤولين الفرنسيين

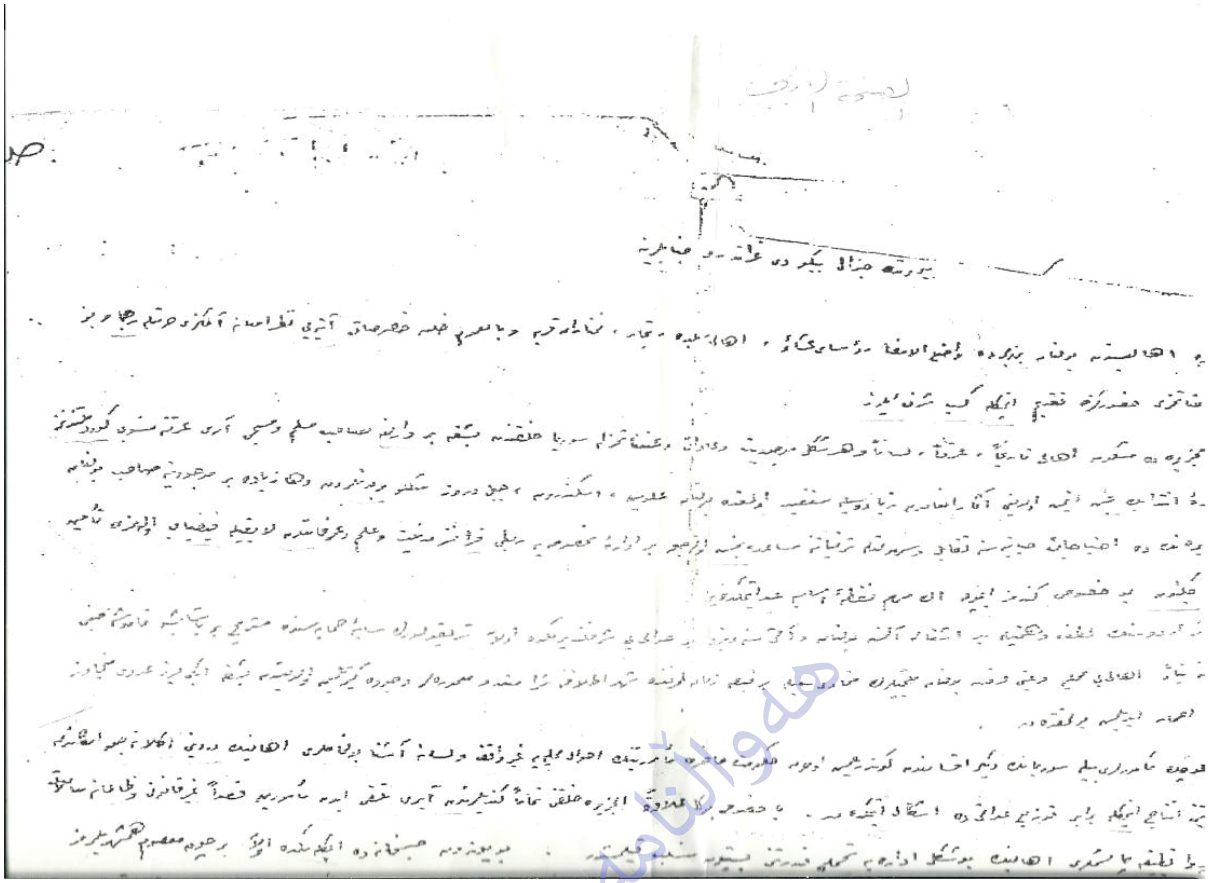

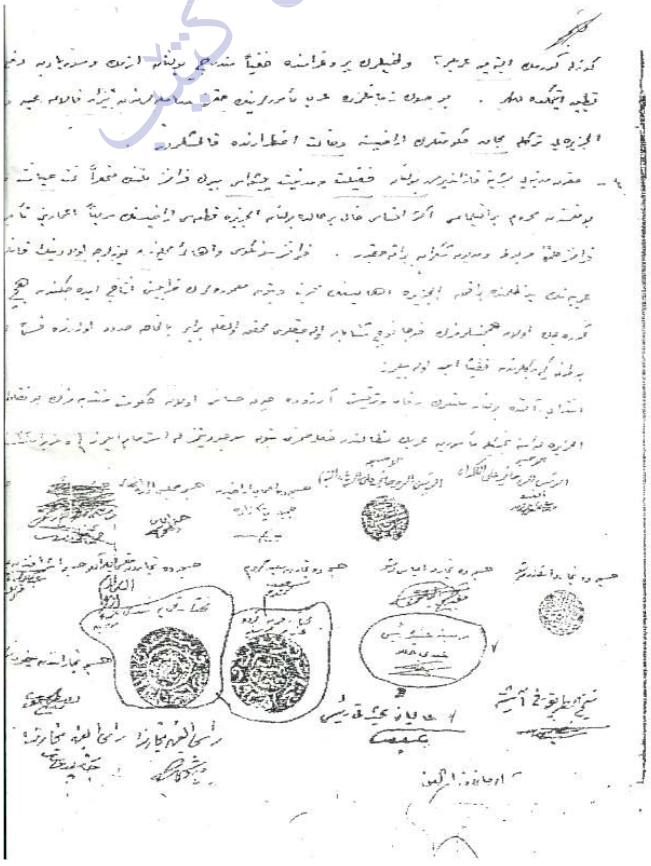

التناحر المجتمعي سلاح الغرب الجديد

سلطان تمو

تعتبر الماسونية العالمية وفرسان الهيكل من أخطر المنظمات السرية التي تتحكم بالعالم من خلال سيطرتهما على قيادات أمريكا والكثير من الدول الغربية.

نعم ثمة مشروع سري يخص الشرق الأوسط تقوده هذه الأخوية العالمية المتمثلة بكلتا المنظمتين يجري تطبيقه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. يهدف هذه المشروع إلى منع أي استقرار وسلام وتطور في المنطقة من خلال حروب أهلية ودولية تبقيها دائما ضعيفة متوترة متخلفة. واللجوء أحياناً إلى التدمير الشامل لبعض البلدان حسب النموذج العراقي، لكي يتم فيما بعد إعادة بنائها بالصورة الملائمة تماما لمصالح أمريكا، حسب المبدأ المعروف (النظام ينبثق من الخراب) وهذا هو مختصر المشروع:

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تم الاتفاق السري بين القوى الغربية على أن ترث أمريكا المستعمرات الأوربية الانكليزية والفرنسية، ولكن بطرق استعمارية جديدة تتميز بالتخطيط البعيد المدى، وتعتمد أساساً الوسائل الثقافية والسياسية والمخابراتية أكثر من اعتمادها على الجيوش والتدخل المباشر.

بالنسبة لمنطقة شرق البحر المتوسط (البلدان العربية وتركيا وإيران)، فقد توصلت القيادات الأمريكية الفاعلة، العلنية والسرية، إلى القناعة التالية:

إن هذه المنطقة الواسعة الواقعة شرق البحر المتوسط، شكلت عبر التاريخ المركز الحضاري الخطير المنافس للمركز الحضاري الأوربي (غرب البحر المتوسط)، وهي بكل بساطة المنطقة المجاورة مباشرة لأوربا، حيث تمتد من مضيق البوسفور التركي إلى مضيق جبل طارق المغربي ـ الاسباني. وهذه المنطقة هي التي تفصل أوربا عن باقي العالم القديم (قارتي آسيا وإفريقيا)، وفيها تشكلت أولى حضارات التاريخ البشري (الحضارة السومرية والبابلية في بلاد الرافدين، الحضارة الفرعونية في مصر، الحضارة العمورية والكنعانية والفينيقية في بلاد الشام)، ومنها جاءت إلى أوربا غالبية المعارف والمكتشفات مثل الأبجدية، وكذلك العقائد والأديان، ومن أبرزها المسيحية واليهودية والإسلام. ومن هذه المنطقة انطلقت القوى الغازية لأوربا (فينيقيون ثم عرب ثم أتراك)، وكانت الإمبراطورية العثمانية آخر القوى العالمية الشرقية التي احتلت شرق أوربا وظلت تهدد الغرب لعدة قرون، ولكن الغرب نجحوا أخيراً بتدمير هذه الإمبراطورية من خلال التأثير في النخب العثمانية نفسها وجعلها تتبنى الثقافة الغربية وتتبنى الفكر القومي الداعي إلى التقسيم والتناحر المجتمعي الرافض للوحدة الاسلامية العثمانية.

ولخطورة واهمية هذه المنطقة بالنسبة للغرب، فأنه طيلة التاريخ جهدت القوى الغربية الفاعلة من اجل اضعافها والسيطرة عليها من خلال البيزنطيين والحملات الصليبية ومن ثم الفتوحات الاستعمارية في القرون الاخيرة، حتى سياسة التغلغل والاضعاف والسيطرة الممارسة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الآن.

بالاعتماد على هذا الفهم لتاريخ العلاقة بين الشرق ـ والغرب، فأن الأخوية العالمية تهدف من خلال استراتيجيتها الطويلة الأمد إلى تحقيق الهدف الرئيسي والنهائي التالي:

1-العمل على منع اية امكانية لتوفر شروط ثقافية ودينية وسياسية واقتصادية مستقرة وآمنة تسمح لشعوب المنطقة بأن تتقارب وتتعاون وتبني قوة حضارية كبيرة قد تشكل مستقبلاً إمبراطورية خطرة تهدد سلامة الغرب ومصالح امريكا بالذات، كنا منذ وقت طويل نردد بأن إسرائيل هو الابن المدلل لأمريكا، ولكن لا بد من الاعتراف بأن أمريكا هو الابن المدلل للماسونية العالمية وفرسان الهيكل. باختصار شديد: إن سلامة الغرب وأمنه يستوجب الضمان الأكيد بوجود انظمة ملائمة ومتحالفة مع الغرب ومع امريكا بالذات، وليس هنالك اية امكانية لتحقيق هذه الضمانة الا باللجوء الى المبدأ المعروف "فرق تسد" أو نظرية المؤامرة والاستفادة من الفوضى الخلاقة لتوطيد الأنظمة الموالية (النظام ينبثق من الخراب)، أي العمل على خلق التناحر المجتمعي وتهيئة جميع الأسباب لتدمير المنطقة بكاملها من اجل إعادة بنائها، دول وشعوب وثقافات وقناعات ومصالح، بما ينسجم تماما مع مصالح الغرب...

ان هذا الهدف الاستراتيجي للتدمير الكامل يعتمد على خلق التوتر والعداء والتعصب بين الجماعات الاساسية التي تتكون منها مجتمعات الشرق الاوسط (التناحر المجتمعي)، هنالك عدد كبير من الدول والجماعات السياسية والقومية والدينية، ولكن الجماعات الفعالة التي تعتبر اساس مجتمعات الشرق هي:

ـ المسلمون السنة، المسلمون الشيعة، العلمانيون، المتدينون، اليهود، المسيحيون، بالإضافة الى الجماعات القومية المختلفة من عرب وترك وفرس وكرد، وغيرهم.

اما التطبيق الفعلي فقد تركز على مبدأ إنهم لا يقومون باختلاق المشكلة، بل يبحثون عنها ويعثرون عليها ويساعدون على استفحالها، فهم مثل المنقبين عن النفط، لا يصطنعونه بل ينقبون عنه وما ان يعثروا عليه حتى يحفروا الآبار من اجل تفجيره واستثماره.

بناء على هذا المبدأ شرعت اللجان المختصة التي تضم العديد من الباحثين من أبناء الشرق الأوسط وغيرهم في مختلف المجالات، للتنقيب عن المشاكل الكبرى الكامنة تحت الأرض والمعتم عليها، من أجل إظهارها وإنضاجها وتفجيرها، عليه فقد رسموا استراتيجية الشرق الأوسط الجديد على محاور منها:

أولاً: تدمير الاسلام من خلال إثارة العداء والتناحر بين الشيعة والسنة، إن هذه النقطة تعتبر من أهم وأخطر أهداف الاستراتيجية الجديدة في اضعاف المنطقة وانهاكها وتغذية روح الضغينة والحروب بين شعوبها.

والإسلام، وبعد هزيمة الشيوعية، ظل هو العقيدة الوحيدة في العصر الحديث التي تمتلك هذه الطاقة الروحية العجيبة في مواجهة الحضارة الغربية بكل جبروتها وعنفوانها، رغم ضعفهم وتخلفهم الحالي لكنهم يصرون على امتلاك تلك القناعة الدينية العميقة بأن (الله والحق) معهم, و إن ديانتهم هي أحق الديانات على الأرض, فأما بقية الديانات إما أن يتبعوا دين الحق أو يقتلوا, ومهما اعترفوا بأن الغرب حالياً هو الغالب والمهيمن والمالك للحضارة والعلم، إلا إنهم رغم ذلك يصرون على التمسك بـ (ماضيهم المجيد) و(مجتمعهم السالف العظيم) الذي حسب اعتقادهم هو تطبيق شرع الله الذي أنزله على محمد بين عباده، وبالتالي هم يمتلكون كل المبررات للنظر بعين الاحتقار للحضارة البشرية الحالية، من اجل بناء حضارتهم الإسلامية الموعودة، لهذا ولدرء استفحال هذا الخطر لجأت المنظمات السرية التي تحكم العالم إلى تدمير أية عقيدة عنيدة، أي من خلال المؤمنين بها أنفسهم، نعم تدمير الإسلام من خلال المسلمين أنفسهم. فمنذ الخمسينات ركزت الماسونية العالمية على هذا الهدف بصورة

هادئة وحساسة باذلةً الجهود والاموال الطائلة، حتى نجحوا أخيراً في بلوغ مرحلة متقدمة, لقد توصلت لجان باحثيهم التي تضم مسلمين ومختصين بالإسلام إلى أهم خطوة من أجل ذلك، وتكمن بإثارة الفتنة بين قطبين متناحرين يشقان الاسلام والمسلمين في الصميم, و قد وقع الاختيار على أن تكون المملكة العربية السعودية مركزاً للقطب السني، وإيران مركزاً للقطب الشيعي, وقد عملوا سنين طويلة بمهارة ودبلوماسية على كلتا الدولتين, فهم قاموا بتشجيع السعودية على نشر الفكر الوهابي بين الحركات الإسلامية وخصوصا الإخوان المسلمين وبناء الجوامع والمؤسسات الوهابية في انحاء العالم الاسلامي والجاليات المسلمة، وتشجيع الافكار السلفية والمتعصبة ضد الشيعة خصوصا, و لا يخفى على أحد مدى تبعية السعودية للغرب و من ناحية أخرى استعانوا بحليفهم شاه إيران لدعم تأسيس الأحزاب والمؤسسات الدينية الشيعية في العراق ولبنان وباكستان وغيرها من البلدان. وبعد أن انتهى الدور المناط بالشاه تم التخلص منه للبدء بالمرحلة الثانية من المشروع، ألا وهو دعم سلطة الملالي في إيران خفية لكي تكتسب مشروعية أقوى كزعيمة دينية طائفية لشيعة العالم، مرادفة للعربية السعودية كزعيمة سلفية للسنة.

وفي أعوام السبعينات استفادت المنظمات السرية كثيراً من ردود فعل المسلمين ضد الاحتلال السوفيتي الشيوعي لأفغانستان، وبالتعاون مع حليفتهم السعودية، استثمروا الكثير من العناصر الشابة المسلمة الثائرة التي وافقت على التعاون مع تلك المنظمات السرية لمكافحة الوجود السوفيتي، وشرعوا من خلال عملائهم بتأسيس الحركات السلفية الإسلامية وعلى رأسها الطالبان والقاعدة, فمن يصدق بأن (ثقافة العمليات الانتحارية الإسلامية) هي من إبداعات الماسونية العالمية بواسطة لجانها المختصة، ثم نجحوا من خلال عملائهم ببثها بين الاسلاميين الجهاديين لكي يمارسوها في عملياتهم الارهابية ضد اخوتهم المسلمين انفسهم.

ان أحداث 11 أيلول 2001 والتي كانت على شكل هجمات انتحارية بطائرتي ركاب لتدمير برجي مركز التجارة الدولي في نيويورك إلى جانب استهداف البنتاغون بطائرة ثالثة كانت من صنع القاعدة، ولكن من صنع القاعدة؟ فالقاعدة هي صناعة استخباراتية أمريكية بامتياز، فكان لا بد من نجاح أحداث 11 أيلول. وقد قام جهاز المخابرات السري التابع للتنظيمات السرية التي تحكم العالم بتهيئة كل أسباب نجاح هذه العملية, إلى درجة بأنه لم يتواجد قسم كبير من الموظفين اليهود على رأس وظائفهم في ذلك اليوم, فمن خلال ذلك و تحت ما يسمى بمكافحة الإرهاب الإسلامي و الجماعات المتشددة المتطرفة، تمكنت تلك التنظيمات من استعادة كامل قواهم وتنظيم صفوفهم وإبعاد وتصفية كل المعارضين لمشروعهم داخل القيادات الأمريكية والغربية، و دفعت بالأساطيل الأمريكية و الناتو لغزو الشرق بدءً من أفغانستان ثم العراق, و بالطبع الهدف هو سلب و اغتصاب مهد الحضارة و تدمير حضارة الشرق، ولا زالت الحركات الاسلامية ذات الطابع السلفي تخدم مشاريعهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال مساهمتها الفعالة في تدمير العالم الاسلامي وتأجيج التناحر الدامي مع الشيعة، و لجأت تلك التنظيمات السرية إلى بعض الأشخاص المقربين من الجماعات الاسلامية لتغذية ودعم هذه الجماعات مالياً وعسكرياً واستخبارياً, والواقع مهما صدقت هذه الجماعات الاسلامية المتشددة بمعاداة الغرب وأمريكا ومهما نجحت بقتل بعض من الجنود الأمريكيين و الناتو و ضربت بعضاً من مؤسساتهم، إلا أن مهمتها الأولى والكبرى تبقى محصورة في تدمير العالم الإسلامي وإضعافه من الداخل وكانت الخطوة التالية في المشروع التدميري الذي يستهدف حضارة الشرق، وإزالة العقبة الإسلامية من طريقها تتمثل في احتلال العراق لتحويله إلى ساحة للصراع الدامي والشامل

بين قطبي العالم الإسلامي أي القطب الشيعي والسني.

ثانياً: منع أي تقارب بين الجماعات القومية الأساسية التي تشكل الشرق الأوسط، من خلال دعم التيارات القومية العرقية المتعصبة ذات الأحلام الإمبراطورية والتوسعية، مثل تيارات القومية العربية والإيرانية والتركية والكردية. فتيار القومية العربية مثلاً، قد لعب دوراً كبيراً في تأسيس وبث ثقافة الحقد القومي المتعصب ضد جيران العرب من أتراك وإيرانيين، وكذلك فرض ثقافة العزل والتغريب للجماعات القومية غير العربية التي تتعايش مع العرب، مثل الكرد والتركمان والزنوج وغيرهم. لقد نجحوا في منع أي تفاهم وسلام بين الكرد وشركائهم.

ثالثاً: منع أي تقارب بين العلمانيين والمتدينين، من خلال دعم الاتجاهات المتعصبة والمتطرفة لدى الطرفين. فقد قامت تلك القوى الخفية بتسخير كافة امكاناتها الاعلامية والثقافية والسياسية من اجل نشر الثقافة الغربية وتشجيع النخب العلمانية الحداثية، وبنفس الوقت وبصورة غير مباشرة قاموا دائماً بدعم التيارات السلفية والمتعصبة من خلال التركيز الإعلامي على رموزها ونشاطاتها والتحالف مع العربية السعودية مركز السلفية الوهابية في الشرق. وحتى إنهم كثيراً ما قاموا بدعم التيارات اليسارية والماركسية لأنها بعدائها المتعصب للدين تساهم بصورة فعالة في تغذية الانشقاق العلماني ـ الديني وتعمق التطرف. فمؤسساتهم ومراكزهم الإعلامية والثقافية والاستخبارية هي وراء انتشار تلك الفضائيات المتحاربة والمتطرفة في العالم العربي إما (دينية سلفية ظلامية، أو حداثية تتبنى آخر الصرعات الغربية فنيا وثقافيا واجتماعيا).

رابعاً: منع أي تقارب بين العرب (مسلمين ومسيحيين) واليهود. إن أي تقارب عربي ـ يهودي يمكن أن يشكل أكبر خطر على الهيمنة الغربية. ويجب التذكير بالحقيقتين التاليتين:

ـ إن اليهود شرقيين بديانتهم وثقافتهم وانتمائهم وأصلهم، بالإضافة إلى أنهم ظلوا خلال القرون الطويلة في تقارب وتحالف مع المسلمين وساهموا في صنع حضارتهم.

ـ إن الجاليات اليهودية في بلدان الغرب نشطة ومهمة، وأي تقارب عربي ـ يهودي، يعني أن تتحول هذه الجاليات اليهودية إلى جاليات شرقية فعالة تخدم مصالح الشرق وحضارته المنافسة للغرب.

لهذا فأن الغاية الأولى والكبرى من إنشاء دولة إسرائيل ودعم وجودها وقوتها، هي أن تقوم بدور القوة المانعة لأي تقارب عربي ـ يهودي، وتُبذل جميع الإمكانيات لإثارة التوتر بين الطرفين الإسرائيلي والعربي والحفاظ على ديمومة هذا الصراع، وتقوم خفية بدعم العناصر المتعصبة، وتغذي وتنمي القوى العسكري الحربية لديهما وتشيع النميمة والأحقاد في وسائل الإعلام. وبالطبع كانت هذه المنظمات السرية هي الداعم الرئيسي بصورة غير مباشرة للجماعات الفلسطينية المتطرفة من أمثال أبو نضال، والذي كان اليد الضاربة في التنظيم وكان له دور فعال بتصفية الكثير من الكوادر المثقفة والسلمية الفلسطينية. وجهدت كثيراً لإفشال انتفاضة الحجارة لأنها كانت سلمية ومناقضة لأهدافهم العنيفة، وأقنعوا اسرائيل لكي تتفق مع عرفات، حتى نجحوا بتسهيل عملية فوز حماس الإسلامية والاستحواذ على غزة لكي يدوم الصراع الفلسطيني ـ الفلسطيني، والإسرائيلي ـ الفلسطيني. ولكن في نفس الوقت حرصوا على الإيحاء للجميع بأنهم يفعلون المستحيل لحل القضايا بينهم والعمل على التقارب بين الجانبين، وبين حين وآخر أخذوا يمارسون مسرحية دبلوماسية إعلامية للتوسط بينهما، وهي عادة ما كانت محكومة بالفشل وديمومة الصراع، وهم نجحوا في منع أي تقارب عربي يهودي، وبنفس الوقت تخلصوا من إزعاجات اليهود وعدائهم التاريخي للمسيحية وللغرب من خلال تحويل

هذا العداء ناحية العرب، إخوتهم في الدم والتاريخ.

خامساً: منع أي تقارب مسيحي ـ إسلامي في الشرق الأوسط، خصوصاً في (لبنان، العراق، مصر)، من خلال دعم العناصر المتعصبة لدى الطرفين، وتشجيع التوترات والحروب والمذابح بينهما. والعمل على خلق نخب مسيحية دينية وعلمانية مرتبطة تماماً بالغرب وتشعر بأن مسيحيتها تعني بأنها غربية وليست شرقية. وكذلك تشجيع الهجرة المسيحية إلى بلدان الغرب وفتح الأبواب لهم. وقد جهدوا كثيراً لإنشاء دولة مسيحية في لبنان تابعة للغرب لتكون مركز تجمع مسيحي الشرق على غرار إسرائيل. إلا أن القادة المسيحيين تراجعوا عن اتفاقاتهم معهم وأدركوا خطورة الواقع اللبناني. إن الهدف النهائي من هذه السياسة هو تفريغ مجتمعات الشرق من الوجود المسيحي بعد إفراغها من الوجود اليهودي بإنشاء دولة إسرائيل، وكذلك من باقي الأقليات الدينية، لكي يصبح شرقاً مسلماً بكل معنى الكلمة. إن وجود اليهود والمسيحيين وباقي الجماعات الدينية وتعايشهم مع المسلمين، يجعل من الشرق منبراً للتعايش السلمي ولكنها لا تخدم بذلك القوى الغربية ويصعب على الغرب آنذاك اتهام دول الشرق بالتعصب والتخلف ومعاداة الغرب لأنهم هم أيضاً مجتمعات مسيحية ويهودية، ولكنهم يلعبون الآن بالورقة الإسلامية من أجل هذا الهدف بتحويل الشرق إلى إسلامي 100% لكي تسهل عليهم مهمة إقناع شعوبهم وقياداتهم والعالم أجمع بضرورة مواجهة هذا الشرق ومعاداته وتدميره باعتباره قوة إسلامية كاملة خطرة وتتمدد.

إن الشرق الأوسط بشكل عام له أهمية تاريخية وحضارية وجيوسياسية واقتصادية وبلاد الرافدين على وجه الخصوص بما يشمله من العراق وميزوبوتاميا العليا لها أهمية تاريخية وحضارية لفتت انتباه العالم الغربي بشكل ملحوظ على مر التاريخ وما تلك الأسباب الظاهرية التي دفعت بالغرب إلى التدخل في العراق والشرق الأوسط إلى أسباب وهمية تضليلية، ألا وهما:

1- إن العراق وميزوبوتاميا العليا أي موطن الكرد، جغرافياً هما مركز الشرق الأوسط. والسيطرة عليهما تعني السيطرة على قلب الشرق الأوسط، جغرافياً وعسكرياً وحضارياً.

2- وهو كذلك اقتصاديا يمتلك أكبر خزان نفطي، بالإضافة إلى المخزون المائي المتمثل بالنهرين الكبيرين دجلة والفرات وعدد لا يحصى من الينابيع والكثير من المعادن المهمة المكتشفة وغير المكتشفة.

لكن في الحقيقة إن هذين السببين ثانويين في استراتيجية الغرب الخفية. فلو كانا هما الأساسيين، لما كانت هنالك حاجة أبداً لاحتلال العراق في عام 2003، لأن صدام حسين كان مستعداً لتقديم كل التنازلات، ومنح حق استثمار البترول كما يرغب الغرب، وكذلك التعاون العسكري الكامل مع الغرب كما سبق ذلك إبان الحرب العراقية الإيرانية بما فيه إنشاء قواعد عسكرية مشتركة في أنحاء العراق كافة.

لكن الطموحات الغربية إزاء هذا البلد بالذات كانت أكبر من إمكانات صدام، إذ تتجاوز إلى حد بعيد المصالح النفطية والعسكرية، إلى مصالح إستراتيجية سياسية وعقائدية وتاريخية تعتبر هذا البلد من أخطر المناطق في الإستراتيجية الكبرى لهذه المنظمات السرية للسيطرة على العالم، وبالتالي تطلب حضورهم المباشر في أرض العراق في عام 2003 والعمل على إنشاء الخلايا التي ستعمل لصالحهم في المستقبل والتي تتمثل حالياً في الأحداث المأساوية الدامية التي يعيشها العراق والتي يعرضه للشقاق المؤكد والتناحر المجتمعي.

وللتعرف على الأسباب الرئيسية التي دفعت الغرب إلى التدخل في الشرق الأوسط من بوابته الرئيسية أي العراق، أذكر ما يلي:

1- سياسياً ـ دينياً، وهذه نقطة هامة جداً ومصيرية: إن شعب العراق يتنوع إلى الشيعة في الجنوب والسنة في الوسط والكرد في الشمال بالإضافة إلى التركمان والمسيحيين وغيرهم، ويقع مباشرة وسط القطبين الإسلاميين المتصارعين: القطب الشيعي الإيراني والقطب السني السعودي. وهذا يعني أنه البلد الوحيد المهيأ جغرافياً وسكانياً، لأن يكون ساحة للصراع بين القطبين المتحاربين وتعميق الفرقة والشقاق في العالم الإسلامي أجمعه بين الشيعة والسنة.

2- رمزياً وباطنياً، وهذه النقطة تعتبر إحدى أكبر الأسرار التي تؤمن بها الماسونية العالمية و التي تعمل جاهدة لإخفائها : إن للعراق أهمية تاريخية و حضارية تتمثل بكونه مهد الحضارة المركزية، و يتميز شعبه بالانتفاض و السعي دوماً لتمجيد جذوره الحضارية و تواق دوماً إلى السلطة و البناء و لم تكن صدفة أبداً عندما أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب اختيار يوم إعلان الحرب الأولى على العراق عام 1991 ليعلن عن نهاية نظام القطبين المتنافسين وانبثاق (النظام العالمي الجديد) أي ميلاد أول حضارة عالمية موحدة في التاريخ, متوعداً بالقضاء على حضارة الشرق و معلناً البدء بتدميرها و القضاء عليها, إن الماسونية العالمية و فرسان الهيكل يؤمنون من خلال قناعاتهم الباطنية السرية الموروثة بأن هناك قوى جبارة خفية مجهولة تتحكم بالكون، لغتها هي الرموز الكونية المعروفة، ومن أهمها أبراج النجوم. وإن هذه القوى الجبارة منذ الخليقة قد اختارت بعض المناطق لتكون مقرات ثابتة لها. ويبدو أنها قد اختارت الشرق الأوسط ليكون موطنها وأرض نشاطها وإبداعها التاريخي والحضاري. وقد اختارت عاصمتين لها هما (العراق) ليكون مركز الإبداع الناري الفعال الاجتياحي والتوسعي. و(مصر) لتكون مركز الإبداع المائي الإنكفائي والمستقر. لهذا فأن هذين البلدين بقيا مركزا للحضارة وتاريخ الشرق الأوسط وعموم العالم القديم،لآلاف السنين. وليس صدفة أبداً إنهما كانا مقرا لأولى وأعظم حضارات البشرية، لأن تلك الحضارات كانت من صنع تلك القوى الجبارة المجهولة.

من المهم التوضيح هنا بأن الحضارة المصرية لا تخيف الغرب لأنها طيلة التاريخ ظلت حضارة مسالمة، ولم تنبثق فيها دولة توسعية ولم تمارس الغزو الخارجي إلا لأسباب دفاعية، إذ ظلت دائما معتكفة على ذاتها وعلاقتها مع الجيران قائمة على الحماية والدفاع وليس التوسع والغزو. إنها حضارة روحانية آخروية جوهرها تقديس الحياة الأخرى، لهذا فأن أعظم رموزها هي الأهرامات، والتي هي أساسا قبور لملوكهم، وكتابها المقدس هو (كتاب الموتى) الذي فحواه كيفية تجاوز يوم الحساب وبلوغ الآخرة!

بينما حضارة بلاد ما بين النهرين هي على النقيض تماماً، إنها مادية دنيوية لا تؤمن بالحياة الأخرى ولا بجنة موعودة، بل غايتها الدنيا والمتعة، لهذا فأن أعظم رموزها هو برج بابل والحدائق المعلقة وهي رموز دنيوية غايتها العظمة والمتعة، أما كتابها المقدس فهو (قصة كلكامش) الذي أعلن صراحة استحالة بلوغ الخلود وان غاية الإنسان هو التمتع بالدنيا. نعم أن الروح العراقية نقيض الروح المصرية، لأنها نارية استحواذية توسعية، فكان العراق مقراً لإمبراطوريات كبرى توسعية منذ السومريين والبابليين والآشوريين، وصولاً لأخطرها ألا وهي الإمبراطورية العباسية التي حكمت نصف آسيا وشمال إفريقيا طيلة قرون عديدة. بل إن هذا البلد كان كذلك مقراً وعاصمة لإمبراطوريات أجنبية كبرى، مثل إمبراطورية الإسكندر المقدوني والإمبراطورية الساسانية والذين اختاروا المدائن عاصمة لهم.

ولهذا فإن فيدرالية الإخوة العالمية قد آمنت بأن الحضارة المصرية لا يمكنها أن تنافسهم أو تشكل خطراً عليهم، وهم دائما في علاقة ايجابية معها بل جعلوها ركناً مقدساً في

عقيدتهم الباطنية واستطاعوا فهم الكثير من رموزها الدينية ويجهدون دائماً لتسليط الأضواء عليها في وسائل الإعلام والمؤتمرات والجامعات والمتاحف والمكتبات.

أما حضارة بلاد الرافدين فهي المنافس الأكبر للحضارة الغربية لأنها الأقرب إليهم من حيث حب السلطة والتوسع، فالحضارة الغربية هي صورة محدثة عنها، أي ذروة الحضارة المادية الدنيوية. فهم يدركون تمام المعرفة بأن جذور الحضارة الغربية ترجع إلى بابل، ولا يتنكرون لها أبداً، ولكنهم في نفس الوقت يخشون التصريح بذلك علناً خوفاً أن يشكل هذا دافعاً للنهوض بحضارة بلاد الرافدين من جديد وتستولي عليهم، فتصبح بغداد هي باريس ولندن ونيويورك. لأن معتقدات الماسونية العالمية تؤمن بامتلاك شعب بلاد الرافدين للروح المقدسة القادرة بالنهوض بحضارة الشرق، ولكنهم لا يريدون الاعتراف بها خشية منها، فهم يعترقون ضمنياً بعمق جذور الحضارة السومرية والآشورية في بلاد الرافدين ويعتبرون أنفسهم كالأبناء اليافعين، وهم بحاجة إلى الكثير من النضج والاستعداد لكي يتصالحوا مع معلمهم الأول والتمكن من التفاهم الايجابي معه والاستفادة من خبراته وثرواته. إن العراق حضارة خطيرة بقدر ما هي جبارة وغنية وعظيمة. إنه أشبه بالحيوان البري المفترس الذي يحتاج إلى الكثير من القوة والسيطرة والمراوغة والتركيع والتجويع من أجل تدجينه وترويضه. وقد سمعنا جميعاً بعصر الدولة العباسية وفترة حكم الحجاج بن يوسف الثقفي ورأينا جميعاً صدام، وكيف بدأ يشرع فجأة بتنفيذ مشروعه الإمبراطوري الشرق الأوسطي، من خلال التوغل في إيران ثم احتلال الكويت للسيطرة على السعودية لينفث حلمه الإمبراطوري الموروث والمتجذر في أرض موطنه وهذا ما يمكننا تسميته بروح بلاد الرافدين التوسعي والهائج والثائر لإعادة تشييد حضارة الشرق في مهد الحضارة.

ولأجل ذلك ومنذ سنوات طويلة تمحورت سياسة المنظمات السرية التي تتحكم في الغرب والرامية إلى التحكم بالعالم أجمع إزاء هذه الحضارة الخطرة في ناحيتين:

- التعتيم عليها في جميع وسائل الإعلام والمؤسسات المعنية، رغم التقديس السري لها. وليس هذا فقط بل العمل على تشويهها من خلال التركيز على الموقف التوراتي منها ومسألة (سبي اليهود) ونقمة الله على بابل وتدميرها. والتعتيم أيضاً على حضارة بلاد الرافدين والإرث الثقافي لشعوب هذه المنطقة وتراثهم الحضاري والتي نهبها الغرب من متاحف العراق ويحتفظون بها في متاحف أوربا ساعين بذلك للاستفادة من جوهر هذه الحضارة وامتلاكها وتزوير الحقائق وإخفاء أصحابها الحقيقيين دور العرب والمسلمين والحضارة العباسية في تنوير أوربا. وجعل (ألف ليلة وليلة) وحكايات العبيد والجواري هي الصورة الإعلامية الوحيدة الشائعة في الإعلام العالمي.

- بنفس الوقت، فهم يعملون جاهدين بكل إمكانياتهم للتعمق في معرفة تواريخ وتفاصيل وخفايا هذه الحضارة من خلال النبش والتنقيب والدراسات السرية، على أمل فك أسرارها والسيطرة عليها والاستعداد لمواجهة كل مفاجأتها غير المنتظرة. وهم يؤمنون إن هنالك أسرار كبرى تحت الأرض تركتها القوى الجبارة المؤسسة لها والمتحكمة بالكون. بل ربما هنالك أدواراً مفترضة لقوى معينة قادمة من كواكب أخرى قد ساهمت بتأسيس الحضارة في سومر وبابل. لهذا فأن من أهم غايات اجتياح العراق والسيطرة عليه، كان الاستحواذ على آثاره المهمة والتنقيب بصورة سرية عن بعض الآثار الخاصة التي تقودهم إلى تلك الأسرار المخفية الخطيرة. ومن المعروف أنهم في أول يوم من سيطرتهم على العراق، قاموا بالتحضير لسرقة المتحف العراقي في بغداد وتدميره من أجل التعتيم على استيلائهم على الكثير من الآثار الهامة. كذلك قاموا بالسيطرة على الموقعين الأثريين لمدينتي (بابل) و(أور)، وحولوهما إلى معسكرين خلال عدة سنوات من أجل التغطية

على عمليات التنقيب السرية بحثاً عن الآثار الهامة التي قد تساعدهم على فك أسرار حضارة وادي الرافدين العظيمة والتمكن من السيطرة عليها.

بالطبع مشروعهم الشرق أوسطي الكبير، يسعى إلى بناء الشرق الأوسط وتنميته، ولكنهم سيقومون ببنائه بعد تدمير حضارته بالكامل وتفكيك مفاصله ودراسة بنيته الاجتماعية وفهم جميع أسراره وتجريده من كافة قيمه التاريخية والحضارية ودق إسفين بين شعوب المنطقة بأسرها من خلال ما يقومون به من التناحر الاجتماعي ليضمنوا تماماً كل مفاجأته ووثباته الغادرة. فبسيطرتهم الروحية التاريخية على وادي الرافدين وميزوبوتاميا العليا سيضمنون سيطرتهم الفعلية على الشرق الأوسط بأكمله، وبالتالي عموم العالم.

وصل مشروعهم التدميري القائم على التناحر المجتمعي بين جميع مكونات الشرق الأوسط والتقسيم الطائفي للعالم الإسلامي إلى المرحلة الأخيرة في مطلع الألفية الثانية، وذلك باللجوء إلى فرض الممارسة الفعلية لهذا الصراع أي بلوغ مرحلة الحرب الدامية بين الطرفين. وقد وقع اختيارهم على العراق نظراً للتنوع الحضاري والثقافي الذي يضمه بالإضافة إلى توافر أفضل الشروط الملائمة للصراع الشيعي ـ السني فيه. فهنالك طائفة شيعية قوية عددياً ومظلومة تاريخياً ومجاورة للقطب الشيعي الإيراني، وتقابلها طائفة سنية قليلة عددياً لكنها فعالة ومتمرسة بالحكم ومدعومة طائفياً من الجوار العربي وخصوصاً من قبل القطب السني السعودي. إذن موقع العراق الجغرافي المجاور لإيران والسعودية خصوصا ثم باقي المشرق العربي بالإضافة إلى تركيا، وانقسامه الطائفي الواضح جعلت منه أفضل ساحة للصراع الشيعي الإيراني ـ السني السلفي السعودي.

هكذا، وقد قاموا بإضعاف وخنق العراق حربياً واقتصادياً وبشرياً طيلة أعوام التسعينات، ونجحوا بفضل دعم القيادات الكردية القومية في جنوب كردستان والدعم الاستخباري الإسرائيلي وجهود إيران في جنوب العراق وأتباع السعودية الموجودين في وسط العراق، واستطاعوا إقناع قادة شيعة العراق وباقي الناقمين على صدام من السنة، أن يكونوا أداة طيعة في مشروعهم التدميري للعراق وللعالم الإسلامي بأجمعه، بحجة مكافحة الدكتاتورية وبناء الديمقراطية.

ويتوجب التنويه إلى الدور الكبير الذي لعبه صدام حسين طيلة فترة حكمه، فهو قد دخل في خدمتهم منذ صعوده إلى السلطة عام 1979، إذ قام بإعدام القادة البعثيين المناوئين للسياسة الغربية وقام بهدم الوحدة مع سوريا، ثم دخول الحرب التدميرية مع إيران والتي امتدت لثمانية أعوام والتي استنفذ من خلالها الكثير من قوة العراق، ثم اجتياح الكويت حسب ما كان يخطط له الغرب، وبذلك توفرت كل الحجج للغرب بضرب العراق وحصاره وتجويعه وإذلاله حتى اجتياحه واحتلاله وسط دعم وتأييد عربي. بل إن صدام حسين (المسكين) قد قام بخدمتهم دون قصد حتى بعد الإطاحة به، إذ نجحوا من خلال مسرحيات محاكمته التلفزيونية أن يخلقوا منه بطلاً عربياً سنياً ذهب ضحية المتعصبين الشيعة، وهذا الأمر لعب دوراً حاسماً في تغذية الصراع الطائفي بين السنة والشيعة.

المرأة في السياسة والديمقراطية

تشكي تاف

ان تحرر المرأة وتقدمها واحترام مكانتها ودورها في المجتمع وحفظ كرامتها الانسانية ليس فقط ذات محتوى قيمي ديمقراطي حضاري وانما ايضا قضية وطنية تحررية تنموية، فالازدهار والتحرر الوطني والتقدم الاجتماعي يرتبط جذريا بالموقف من المرأة في جميع مناحي الحياة، في الفكر والسياسة والاقتصاد والقوانين والتقاليد والقيم، وان تعزيز الديمقراطية وحقوق الانسان على اسس سليمة سيكون له التأثير المباشر على وضع المرأة باعتبارها المستفيدة الاولى من اشاعة الديمقراطية وترسيخها في مختلف المجالات ان كان على صعيد الاسرة والمجتمع او العمل ولا نبالغ حين نقول بان تاريخ البشرية هو تاريخ النضال من اجل الديمقراطية وكانت الديمقراطية في جميع العصور هدفا وشعارا مرفوعا للأغلبية الفقيرة من طغيان الاقليات الحاكمة فهل وجدت المرأة نفسها ضمن هذه الديمقراطية وهل مارست حقها الديمقراطي وماذا اعطت الديمقراطية للمرأة ؟

لم تعد الديمقراطية ترفا ثقافيا او موضوعا يهم المثقفين والمثقفات فقط بل هي ضرورة حيوية تهم مختلف افراد المجتمع لعلاقتها الوثيقة بتقدم المجتمعات منذ الثورة البرجوازية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وهناك خلاف حول مفاهيم الديمقراطية والمدارس المختلفة في تعريفها كالمدرسة الليبرالية والمدرسة الماركسية ثم التطور الذي حدث داخل كل مدرسة فليبرالية القرن الثامن عشر ليست هي ليبرالية القرن العشرين والشئ نفسه ينطبق على المدرسة الماركسية وهناك خلاف حول التعبير المؤسسي والاشكال التنظمية للديمقراطية فاذا اخذنا موضوع التمثيل النيابي والذي يؤخذ عادة كإحدى مسلمات النظام الديمقراطي نجد انه يثير جدلا واسعا في الفقه القانوني والفكر السياسي، فجان جاك روسو على سبيل المثال يعتبر ذلك تشويها للديمقراطية ويؤدي الى اقصاء الشعب عن ادارة اموره وانه ينقل السيادة من الشعب الى البرلمان والجدل نفسه يدور حول تعدد الاحزاب ابتداء من القول بان الديمقراطية هي حكومة تعدد الاحزاب، الى اولئك الذين يرفضون عقد صلة بين الديمقراطية وبين تشكل تعدد الاحزاب ويتصورون انه يمكن ضمان الحريات الديمقراطية في اطار الحزب او التنظيم السياسي الواحد وبالذات في ظروف بلدان العالم الثالث وهناك خلاف حول السياق الاجتماعي اللازم او الضروري للنظام الديمقراطي باعتبار ان الديمقراطية ليست مجرد شكل او اطار للتنظيم السياسي ولكن استمرارها وازدهارها يرتبطان بوجود بيئة اقتصادية واجتماعية وثقافية ملائمة وهناك رأي يربط بين ديمقراطية النظام السياسي وديمقراطية التنظيمات الاجتماعية الاخرى بمعنى ان ازدهار ديمقراطية الاولى مرتبط بوجود ممارسات ديمقراطية على مستوى المؤسسات الاسرية والدينية والنقابية والمهنية والتعليمية فالإنسان الذي لم يتعود ان يمارس قواعد السلوك الديمقراطي في الاسرة او النقابة كيف يتوقع منه ان يكون مواطنا مشاركا؟ وفي اطار المدرسة الليبرالية ظهرت افكار تربط بين استقرار النظام الديمقراطي ووجود طبقة وسطى عريضة او انتشار التعليم او غياب تناقضات اجتماعية واقتصادية حادة

وفي المدرسة الاشتراكية فان نقطة الانطلاق هي ان الديمقراطية السياسية لا تنفصل عن الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية وان لا حرية لجائع او محتاج وان حق التصويت لا ينفصل عن لقمة العيش ان الطرح الاشتراكي لقضية الديمقراطية يرى انها ليست قضية قانونية او سياسية بقدر ما هي مسالة وضعية الانسان الاجتماعية والاقتصادية وان الشكل القانوني والسياسي وثيق الصلة بمجمل الاوضاع الاقتصادية والقوى المتحكمة في مصادر الثروة ومن ثم فان قضية الديمقراطية ينبغي ان تدرس في سياقها التاريخي والاجتماعي ومن مبادئ الديمقراطية –الحرية والمساواة والمشاركة –لأنها تمثل ابعاد المثل الاعلى للديمقراطية والاعتداء على أي من هذه الابعاد يمثل اعتداء وابتعاد بالقدر نفسه من هذا المثل الاعلى فالحرية ليست حقا قانونيا وحسب ممارستها تتطلب قدرة اجتماعية واقتصادية وتعليمية لا يمكن لمن لا يمتلكها ان يمارسها بشكل منتظم ومستمر حتى ولو امتلك الحق القانوني في ذلك فلا حرية بدون حد ادنى من المساواة السياسية والعدل الاجتماعي ولا مساواة حقيقية دون مشاركة او حرية ولا مشاركة بالطبع في غياب الحرية وفي العالم الثالث فان الديمقراطية لا يمكن ان تسير الا بجناحيها الجناح السياسي والجناح الاقتصادي وان الديمقراطية كالطائر لا يمكن ان يطير بجناح واحد فالديمقراطية تعني ايضا وفي الوقت نفسه ضرورة اعادة توزيع الدخل القومي توزيعا عادلا لأنه في مجتمع لا تتكافأ فيه الفرص تصبح الديمقراطية والعمليات الانتخابية بيعا وشراء وتجارة النفوس وكل المشاهد التي نألفها بكل اسف ولا يكفي ان يصدر دستور ديمقراطي بل يجب ان يرى الناس تربية ديمقراطية وان يتعودوا ممارسة الديمقراطية وان تصبح الديمقراطية قيمة مستقرة في اعماقهم يقيسون بها من ضمن ما يقيسون كل ما يعرض عليهم او يطرح لأخذ رأيهم ان الديمقراطية حرية ومسؤولية معا والديمقراطية يجب ان لا تفهم على انها مجرد حق في النقد فهذا اسهل جوانب الديمقراطية التي نطمح اليها وهي ديمقراطية المشاركة في صنع القرار سواء نجح او اخفق ومن هنا يتم التدريب الحقيقي على الحكم ومن هنا يشترك الشعب بالفعل في الحكم وصعودا من هذه القاعدة الى اعلى مستويات الدولة وفي كل نواحي الانشطة والعلاقات يجب ان يكون مبدأ المشاركة هو الاساس ولكن للأسف لم يطبق وخاصة من ناحية المرأة فكانت دائما بعيدة عن حق المشاركة الفعلية رغم ادعاء الدول بالحرية والديمقراطية ووضع الاقنعة وتجاهل حق المرأة والاختباء وراء قاعدة عدم قدرتها في النضال الديمقراطي

المرأة والديمقراطية

يعود اول ارتباط بين الحرية وقضية المرأة الى ماري ولستونكرافت في كتابها الشهير حول الدفاع عن حقوق المرأة في 1792 ويظهر نفس الارتباط في اعمال جون ستيورات ميل وهاريت تايلور في اعمالها حول اخضاع المرأة في 1869 حيث اوضحا التناقض بين القيم الديمقراطية الليبرالية من ناحية وقهر المرأة من ناحية اخرى . إلا ان النظرية الليبرالية تعرضت لانتقادات حادة من جانب الفكر الاشتراكي النسوي وحتي من الجانب الراديكالي فقط وعابا على التوجه الليبرالي فرديته وإغفاله لعلاقات القوى القائمة فعليا في الواقع ومخاطبته الوسطى في الاساس اما اذا عدنا الى التاريخ الانساني الشرقي القديم فيمكن تلخيص وضع المرأة في المجتمع الانساني بصورة بائسة لاستغلالها واعتبارها سلعة تباع وتشترى ووجدت لرعاية الاولاد ولإشباع رغبات الرجل ولقد ظهرت عدة مظاهر وتعريفات وتقسيمات خاصة بالديمقراطية وحمل قاموسها مصطلحات من مثل الديمقراطية النيابية والديمقراطية الليبرالية والديمقراطية المركزية (لدى الاحزاب الشيوعية) والديمقراطية الشعبية (في الصين الشعبية وفي دول اوربا الاشتراكية) وحتى حركات اسلامية اعترفت خلال العقدين الماضيين الى هذا الحد او ذاك بوجود طموحاتها في ديمقراطية اسلامية وان بعض

الاحزاب الاسلامية في كثير من الدول الاسلامية صارت تدعو الى الديمقراطية ولو بشكل بسيط لحرية المرأة المسلمة بعد ان ظهرت الكثير من التجاوزات على حرياتها وحقوقها خاصة في ايران عندما منعوا عنها حتى ارتداء (بناطيل الجينز) كانت للمرأة دائما مصلحة قوية في الديمقراطية وتتطلب الديمقراطية الاستماع لمصالح المواطنين ومناقشتها وسن تشريعات بشأنها والمرأة هي نصف سكان العالم ومن ثم ينبغي سماع صوتها في العملية الديمقراطية وتحتاج الديمقراطية للمرأة كي تكون ديمقراطية حقا وتحتاج المرأة للديمقراطية اذا ارادت تغيير النظم والقوانين التي تمنعها وتمنع المجتمعات ككل من تحقيق المساواة ويمكن عن طريق التمثيل الديمقراطي تمثيل مصالح المرأة وسماع صوتها وتؤكد المادة 7 من اتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة واهمية تمثيلها في الحياة السياسية وعندما بدأت الحركة النسائية الدولية تكتسب زخما خلال السبعينات اعلنت الجمعية العامة في عام 1975 بوصفها السنة الدولية للمرأة ونظمت المؤتمر العالمي الاول المعني بالمرأة الذي عقد في المكسيك وفي وقت لاحق وبدعوة من المؤتمر اعلنت السنوات 1976-1985 بوصفها عقد الامم المتحدة للمرأة وتكفل للمرأة على قدم المساواة مع الرجل الحق في

التصويت في جميع الانتخابات والاستفتاءات العامة والاهلية للانتخاب لجميع الهيئات التي ينتخب اعضاءها بالاقتراع العام المشاركة في صياغة سياسة الحكومة وفي تنفيذ هذه السياسة وفي شغل الوظائف العامة وتادية جميع المهام العامة على جميع المستويات الحكومية وثم تاكيد دور المرأة في العمليات الديمقراطية كذلك في القرار الذي اتخذته الجمعية العامة في عام 2011 بشان المرأة والمشاركة في الحياة السياسية والذي اكد ايضا ان المشاركة الفعالة للمرأة على قدم المساواة مع الرجل في صنع القرارعلى جميع المستويات امر سياسي لتحقيق المساواة والتنمية المستدامة والسلام والديمقراطية. ورغم هذه الانجازات المعيارية وعالمية هذه الاهداف فقد ظلت مع ذلك بعيدة المنال لعدد كبير من النساء فقد كان التقدم المحرز ابطأ مما كان ينبغي في زيادة اعداد النساء اللاتي يشغلن مناصب تمثيلية فهي لا تزال تشكل في المتوسط اقل من واحدة من كل خمسة برلمانيين كما ان تمثيلها ضعيف في هيئات صنع القرار المحلية سواء كعمدة او اعضاء في المجالس المحلية ولا تزال المرأة ممثلة تمثيلا ناقصا في المناصب المنتخبة وما زالت معظم البلدان بعيدة عن الوصول الى الكتلة الحرجة التي اقترح منهاج عمل بيجين لعام 1995 تحديدها بنسبة 30 في المائة وكثيرا ما تفتقر المؤسسات السياسية – من الاحزاب السياسية الى لجان الانتخابات – الى القدرة على كفالة التعبير عن مصالح المرأة ومعالجتها في السياسة العامة ولا يوجد اتساق لدى مؤسسات المساءلة بشان كفالة ذوي السلطة امام المرأة عن العجز عن حماية حقوق المرأة او الاستجابة لاحتياجاتها واقتصار الامر على مجالها المنزلي اكثر من عملها الخارجي 3-الديمقراطية في عصر ما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي من الطريف ان الشيوعيين او الماركسيين هم الذين دفعوا ثمن انحراف ثورة اكتوبر الاشتراكية وكذلك هم الذين دفعوا ثمن سقوط النظام السوفييتي والقطب الشرقي الذي انحرف قبل 75 سنة من التجربة السوفييتية على اثر السياسات التحريفية للحزب الشيوعي السوفييتي وهزيمتها أمام إنجاز المهمات الاقتصادية للثورة بعد وفاة لينين. ولذلك فإن الظل الثقيل لذلك الانهيار قد وقع مرة اخرى على كاهل الشيوعيين. ولكن الديمقراطية في عصرنا الراهن وقبل ان نتحدث عن تفاصيلها نرى من الضروري وضعها في إطارها الملموس وبذلك فإن الديمقراطية هي الإطار الاجتماعي والسياسي لحكم وسلطة رأس المال. أما بهذا الخصوص فهناك نقطة مهمة ينبغي ذكرها ألا وهي انه يجب التفريق بين الديمقراطية بوصفها الاطار السياسي والاجتماعي لسلطة رأس المال وبين الحقوق والحريات الانسانية،

حيث ان هذه المسألة مهمة لتحديد الماهية الطبقية والمحتوى الطبقي للأنظمة الديمقراطية. ان الحقوق والحريات الانسانية ليس لها علاقة على الاطلاق بطبيعة الانظمة الديمقراطية في معظم بلدان العالم. ذلك ان النزعة الانسانية كالمساواة والحرية والعدالة الاجتماعية هي نزعة اصيلة متجذرة في النفس البشرية رافقت التاريخ الانساني منذ فجره ولحد هذه اللحظة. وهناك الكثير من الامثلة المهمة بهذا الخصوص فهناك في العهود الغابرة ثورة سبارتكوس (الدولة الرومانية) وثورة الزنج في جنوب العراق والتمردات الفلاحية في أوربا ضد النظام الأقطاعي والثورات المستمرة ضد أنظمة الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية. وإن كل تلك الثورات والانتفاضات قد قام بها الانسان من اجل الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية المتأصلة في النفس الاجتماعية. ولكن الديمقراطية هي مسألة اخرى مختلفة تماما عن هذه المفاهيم والافكار الانسانية الاصيلة لان الديمقراطية هي الاطار الاجتماعي والسياسي لسلطة رأس المال. وكما اشار الى ذلك منصور حكمت فان انهيار الاتحاد السوفييتي والقطب الشرقي لا تعني اطلاقا بزوغ نظام يكون فيه الانسان مرفها او متحررا. بل ان الذي حصل بعد انهيار الاتحاد السوفييتي والقطب الشرقي والذي نلمس نتائجه قد زادت مأساة الانسان وزادت الكوارث والمأساة الانسانية التي لحقت بالمجتمعات وحتى المكتسبات والمنجزات التي حققتها تضحيات العمال والكادحين في مختلف مراحل نضالاتهم التاريخية فبعد ذلك الانهيار قد تم تشديد الرجعية السياسية التي تهدف في عموم مناطق العالم الى سلب تلك الحريات والحقوق.

وعلى هذا الأساس فان الديمقراطية او تشكيل الانظمة الديمقراطية بأعتبارها الإطار التاريخي والأجتماعي المناسب والضروري لحركة وتراكم رأس المال، قد ساعد في بداية تكوينها على تطور وتوسع رأس المال وكان يستحيل تحقيق ذلك من دون سيادة الطبقة البرجوازية على الصعيد الاجتماعي وهذا ما لمسناه تاريخيا في كل البلدان الرأسمالية العريقة كبلدان اوربا الغربية وأمريكا وانكلترا وكندا واستراليا. اما البعد الآخر فان الديمقراطية في بقية بلدان العالم ونقصد بذلك بلدان العالم الثالث في المناطق الخاضعة لسيطرة المراكز الأقتصادية. فان تحقيق الديمقراطية في تلك البلدان أو حتى الحديث عنها ليس سوى وهم ساذج للبرجوازية بكل فئاتها وأجنحتها الاجتماعية ذلك لأن ظروف الأستثمار الرأسمالي وآليات حركته يقوم على أساس الاستغلال الوحشي لقوة العمل الإنساني حيث أن حركة وتراكم رأس المال ومجمل العلاقات الاقتصادية في تلك البلدان خاضع كليا" لأحتياجات حركة وتراكم راس المال على الصعيد العالمي. وعلى هذا الأساس يستحيل على البرجوازية من دون السياسة الأستبدادية ومن دون قمع الحريات وسلب الحقوق ومن دون الأستعانة بالانظمة الدكتاتورية أن تحافظ على سلطتها السياسية التي تحمي وتخدم الاستثمار الاقتصادي القائم على الأستغلال الوحشي لقوة العمل. ومن هنا ينبع وهم الديمقراطية البرجوازية في البلدان الخاضعة للسيطرة الأمبريالية. ولكنه وعلى الرغم من وجود سقف معين من الحريات والحقوق في البلدان الراسمالية العريقة ينبغي أن لا ينخدع العمال والكادحين بها. لأنه يستحيل أن ينمو ويتطور الراسمال الأحتكاري من دون ذلك.

الديمقراطية والدفاع عن حقوق الطبقات المضطهدة إن ولادة وظهور الانظمة الديمقراطية تاريخيا قد رافقت عملية التحول التاريخي للمجتمع الانساني من المجتمع الاقطاعي الى المجتمع المدني. أما بهذا الخصوص فقد تحقق للإنسانية تقدما تاريخيا كبيرا تمثل بتحقيق الديمقراطية البرجوازية وسيادة علاقات الإنتاج الرأسمالي على العلاقات الأقتصادية. وهذا ما ساعد على إنقاذ المجتمع الانساني من براثن القيود الاقطاعية والمظالم التي كانت تلحق بالبشرية من جراء

العصور المظلمة وسياسات الطبقة الاقطاعية. ولكن الديمقراطية في عهد سيادة النظام البرجوازي على العلاقات الاقتصادية العالمية ومع تعزيز سيطرتها الطبقية على المجتمع الإنساني فقد تغيرت هذه المفاهيم كثيرا من حيث المحتوى الطبقي والمعنى التاريخي الملموس. وبذلك ينبغي ان نميز بين الديمقراطية العمالية وديمقراطية بقية الطبقات الأجتماعية. وعلى الرغم من أن كل طبقات المجتمع قد إستفادت من التحول التاريخي للمجتمع الإنساني إلى النظام الراسمالي والتي رافقتها تحول سياسي إلى الديمقراطية البرجوازية ولكنه مع تعزيز السيطرة الطبقية للطبقة البرجوازية الصاعدة فقد تحولت الديمقراطية البرجوازية إلى اهم أداة سياسية للقمع والأستبداد الطبقي وبذلك فإن الديمقراطية قد فقدت معناه التاريخي المطابق للطبيعة البشرية. وما يهمنا من هذه المسألة فإن الديمقراطية البرجوازية قد ساعدت كثيراً الطبقة العاملة على تنظيم نفسها وتعبئة قواها الطبقية ونمو وعيها الطبقي بغية الاستعداد والتحضير لمعاركها الطبقية الهادفة إلى إلغاء نظام العمل المأجور وبناء النظام الأشتراكي على أنقاضه. وبهذا المعنى فقد أستفادت الطبقة العاملة من الديمقراطية البرجوازية. أما في المراحل التاريخية اللاحقة لهذه الحقبة من تاريخ النظام الراسمالي، وخصوصاً في مرحلة النضال ضد الامبريالية وظهور حركات التحرر الوطني في معظم بلدان العالم فقد نادت الكثير من الطبقات مثل البرجوازية الصغيرة وحتى العمال، ولا اقصد الطبقة العاملة عندما تكون مستقلة وعند وجود حزب سياسي يمثل الطبقة العاملة من الناحية الفعلية بل اقصد ان بعض الاحزاب التي ادعت الماركسية والتي تظاهرت بتمثيل الطبقة العاملة، بتبني الديمقراطية وتبني المنهج الديمقراطي في نظرتها السياسية وكانها تخدم الطبقة العاملة وبقية طبقات المجتمع الكادحة ولكنه مع إنجاز مهمات التحرر الوطني وقيام الأنظمة الوطنية فإن مجمل القوى السياسية والأجتماعية التي تبنت مثل تلك التوجهات قد تحولت إلى أنظمة أستبدادية ووحشية. وعليه ففي المرحلة الراهنة فإن التوجه الديمقراطي بكل اشكاله لا يمكن ان يخدم مصالح العمال والكادحين بل ان المنهج الديمقراطي الوحيد الذي يدافع عن مصالح العمال والكادحين ويحقق اهدافهم الاقتصادية والاجتماعية هي الديمقراطية العمالية وانها من حيث المضمون الطبقي ومن حيث توجهاتها الفكرية والسياسية تختلف اختلافا جذريا عن الديمقراطية البرجوازية القائمة على النظام البرلماني وفصل السلطات.

الديمقراطية البرجوازية البرلمانية والديمقراطية العمالية المجالسية إن الديمقراطية في عهد النضال ضد الامبريالية، وكما أشرنا إليها فيما سبق، والتي تبنتها الكثير من الاحزاب والقوى السياسية والأجتماعية وجعلت منها منهجا سياسيا بالشكل الماركسي تحت تأثير ثورة اكتوبر العظمى وتحت تأثير المدى والعمق الإنساني للماركسية ومدى محبوبيتها إلى قلوب الجماهير . فقد شكل ذلك تناقضاً مستعصياً. ذلك لان الماركسية والديمقراطية هما شيئان مختلفان ومتناقضان لبعضهما البعض. فالماركسية هي علم لتحرير الطبقة العاملة وإنها كفكر وأيديولوجية تحمل مضمون طبقي عمالي ونقد ثوري أثبتت حتمية أنهيار مجمل النظام الراسمالي وإقامة الاشتراكية على انقاضه. بينما الديمقراطية هي اطار سياسي واجتماعي يجسد سلطة رأس المال. فاذا كانت الديمقراطية قد حققت في بداية ولادتها انجازا كبيرا للبشرية تمثل بالقضاء على النظام الاقطاعي وخلقها لسقف معين من الحريات والحقوق في البلدان الرأسمالية العريقة فهذا لا يعني ان الديمقراطية تدافع عن مصالح العمال والكادحين والشرائح والطبقات المظلومة في النظام الرأسمالي.

ان الديمقراطية هي طريقة للسلطة السياسية والليبرالية السياسية هي أيديولوجية ذلك النظام وتنادي بسقف معين من الحريات والحقوق إلى الحد الذي لا تتعارض مع المصالح العمومية

للطبقة الرأسمالية وعلى هذا الاساس يمكننا الاستنتاج بان وجود بعض الحريات والحقوق في النظام البرجوازي ليس له علاقة بطريقة الحكم بل تتعلق بتوازن القوى الطبقية داخل المجتمع. وعلى هذا الاساس فإن الديمقراطية البرجوازية تعتمد على النظام البرلماني التي يجسد الإرادة الفردية وذلك لعلاقتها بالملكية الخاصة الرأسمالية وبموجب ذلك فيتم اختيار مجموعة من الاشخاص من قبل الرأسماليين وأحزابهم البرجوازية بمعزل عن الإرادة الجماهيرية ويتم انتخابهم وفق التصويت الجماهيري ليقوموا بتشكيل البرلمان البرجوازي الذي يعتبر مصدراً للسلطة التشريعية والقانونية ومن ثم يقومون بتكليف شخص موالي للأغلبية البرلمانية بتشكيل الحكومة البرجوازية لتكون مصدرا للسلطة التنفيذية وكذلك تشكيل السلطة القضائية بنفس الاسلوب لتكون بمثابة السلطة القضائية.

ولهذا نرى أن النظام السياسي البرجوازي قائم على فصل السلطات وهذا ما يسهل سيطرتهم الطبقية على المجتمع. أما الديمقراطية العمالية فأنها تختلف من حيث المضمون والمحتوى الطبقيتين اختلافا كليا عن الديمقراطية البرجوازية. الديمقراطية العمالية المجالسية هي الوحيدة التي تدافع عن المصالح العمومية للطبقة العاملة. من الممكن تطبيق هذه الديمقراطية في كل مكان اذا توفرت لها الامكانية الموضوعية ولكن الديمقراطية العمالية تختلف عن الديمقراطية البرجوازية لانها قائمة على تحقيق إرادة الجماهير العمالية والغالبية العظمى من السكان ولذلك فإن اسلوب واليات ممارستها تختلف عن تلك الديمقراطية البرجوازية. حيث أن النواب العمال في المجالس العمالية يتم اختيارهم من قبل العمال أنفسهم ويتم انتخاب النواب على شكل هرم للسلطة تشكل الجماهير العمالية قاعدتها الأجتماعية وأعلى قمة في الهرم يسمى المجلس الأعلى. وتتركز كل السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية في يد ذلك المجلس. وأهم خاصية لهرم السلطة في كل مؤسساتها وهيئاتها هو إمكانية عزلهم من قبل الفئات الجماهير الذين قاموا بانتخابهم كما وأن امتيازاتهم في أية هيئة كانت وفي أي موقع كان من هرم السلطة لا تختلف عن امتيازات أي عامل في المصنع أو المزارع أو القطاع الخدمي. وبذلك فإن الديمقراطية العمالية وعلى عكس الديمقراطية البرجوازية تقوم على اساس جمع السلطات

هل المشاركة السياسية للمرأة تحقق الديمقراطية أم الديمقراطية تحقق المشاركة السياسية للمرأة؟ تهميش دور المرأة اجتماعيا و سياسياً في المجتمع منذ بدأ التأريخ البشري و حتى يومنا الحاضر، و حصر حركتها تحت ظل الرجل كتابع له في كل المجالات الاجتماعية، و حرمانها من كسب القوت و إبقاءها تابعاً للرجل اقتصاديا، و تجاهل دورها التربوي وإثبات دورها الحقيقي في تنشئة الأجيال ووضعها في الهامش دائماً إزاء المهام التي تتطلب منها مشاركة فعالة، وحبسها في بوتقة الرجل، و بالتالي حرمانها من ممارسة مهامها الوطنية والسياسية ومشاركتها في السلطة بحجج واهية، كل هذه الأمور مجتمعة وغيرها من الأذى النفسي و الأخلاقي الملحق بها على طول التأريخ، و بمختلف السبل هي من القضايا التي لا زالت تعاني منها المرأة والمجتمع على حد سواء، و الأمر الذي ترتبت عليه نظرة إجتماعية متخلفة لمكانة المرأة وأفرزت واقعاً متخلفاً ضحيته الأولى والأخيرة هي المرأة، والذي خلف ذلك الإرث الإجتماعي والأخلاقي الذي هو وليد العادات الإجتماعية والدينية المتحجرة المتخلفة الذي يتوارثة الأجيال عقداً بعد عقد، وبالرغم من أن هذا الموضوع يأخذ نصيباً لا بأس به من الكتابة والتحليل والدراسة، إلا أن النتائج المرجوة على خلفية تلك التحاليل والدراسات لا تزال دون المستوى المطمح إليه. لا داعي للخوض في السرد التأريخي لنضال المرأة وكفاحها من أجل نيل حقوقها، غير أن من المهم الإشارة إلا أن التحصيل الدراسي العالي على وجه الخصوص والإستقلال الإقتصادي

والمشاركة في صنع القرار السياسي هي من أهم الحقوق التي تحقق للمرأة المكانة التي تطمح إليها في المجتمع، و التي توفر الأرضية الملائمة لولادة طموحات تليق بالأجواء الديمقراطية لأي مجتمع كان، فتلك الحقوق هي تحصيل حاصل لتحول المجتمع إلى الديمقراطية بطريقة طبيعية وليس بطريقة مصطنعة، على طريقة النظم الدكتاتورية التي تنادي بشعارات في السماء لا تنزل إلى أرض الواقع خوفاً من آثار ونتائج بروز الوعي النسوي ونهوضهن بمستواهن الذي سيرافقه نهضة إجتماعية حضارية فكرية تغير الواقع الإجتماعي من الجذور وتفرز ثورات فكرية سياسية علمية، تنير العقول و ترفض النظام الدكتاتوري والواقع المرير المترتب عليه، إذ ليس هناك مجتمع يرفض فيه الرجال فقط الواقع المرير الذي يصنعه الحكام المستبدين، فليست هناك ثورة بالمعنى الحقيقي للكلمة تنجح مالم تشارك فيه المرأة، وحتى الإنجازات التي حققتها المرأة في أي مجال كان طوال التأريخ كان نصيبها التهميش والإهمال وعدم الإعتراف، مما ترك آثارها السلبية على عقلية المرأة نفسها ونظرتها السلبية للحياة والمستق.

يقال أن السياسة فن الممكنات، وبما أن الديمقراطية فن من الفنون السياسية و عملية من العمليات التي تتحقق مع أو إثر التغييرات السياسية، والتحولات التي تمر بها المجتمعات من الدكتاتورية إلى الديمقراطية، وبناء مؤسسات ديمقراطية سليمة، فإن السياسة وكونها فن الممكنات تتيح الأرضية المناسبة لإعادة التوازن للميزان الإجتماعي المختل من خلال تهيئة الظروف المناسبة لدخول المرأة فعلياً إلى معترك السياسة بإعتبارها الجزء الفعال في المجتمع و طاقة إنتاجية غير مستفاد منها، و تخطي العقبات بإتجاه تفعيل قدراتها ديمقراطياً و الإستفادة من إمكاناتها السياسية، من أجل تحقيق المشاركة السياسية لها وعلى مستوى السلطة تحديداً . فلولا مشاركة المرأة في دفع دفة الحكم جنباً إلى جنب مع الرجل، لن تكتمل المعادلة السياسية و الإجتماعية في المجتمع، ولن يتوازن المجتمع سياسياً في عملية التحول الديمقراطي، فمن غير الممكن تحول العالم الذكوري ديمقراطياً وتطبيق مباديء الديمقراطية فقط من قبل الذكور، وأن يكون دور المرأة مقتصراً على الإستظلال بظل الرجل تحت شجرة الديمقراطية، أي أن تنال نصيبها من الديمقراطية و هي جالسة في ظل رجل، وإختفى الرجل غابت شمس الديمقراطية من حياتها، وإنما عليها أن تنتقل بمكانتها إلى جانب الرجل و أن تنتزع حقوقها وواجباتها السياسية والإجتماعية في ظل الديمقراطية بيدها.. فلو أخذنا بالمقولة التي مفادها أن مستوى رقي المجتمعات تقاس بدرجة رقي المرأة في ذلك المجتمع، فمن البديهي أن نضيف أن من أهم العوامل التي يجب أن تقاس بها درجة رقي ووعي المجتمعات هو قيام المرأة بمهامها السياسية ووظيفتها الوطنية بشكل فعال و مشاركتها في صنع القرار السياسي، لذا يمكن القول أن أية حكومة في الدنيا لن تنجح في إقرار و تثبيت مباديء الديمقراطية، في ظل تهميش دور المرأة، وإذا لن تفسح المجال أما الكادر النسوي لأن تقتحم الميدان السياسي والمشاركة الفعالة في صنع القرار السياسي من مستويات عليا في المجتمع و السلطة و الحكم. فلو أخذنا الأسرة مثالاً مصغراً لمفهوم السلطة وممارسة السياسة، ولو مسحنا مفهوم المجتمع الأبوي والذكوري من القواميس الفكرية المتخلفة، وأخذنا في نظر الإعتبار أن الأسرة هي حكومة مصغرة، فإذا إنعدم فيه دور الأم أو المرأة في إدارتها، على إعتبارها الجزء المهم إلى جانب الرجل (ولا أقول بعد الرجل)، ستكون للأسف أسرة غير صحية وبالمفهوم التقليدي أسرة قائمة على مبدأ السلطة الأبوية والحكم الذكوري، بالتالي سيتحول شكل الحكم فيها شيئاً فشيئاً نحو نوع من الدكتاتورية الأبوية، التي تمارس سلطتها من داخل أسرة صغيرة، وتُنشيء جيلاً إنغرست فيهم صورة الأسرة التي تنعدم فيها سلطة الأم ولا تؤمن بقدرات المرأة التي من المفترض أنها نصف

المجتمع، وينشأ جيل لا يفهم معنى أن تكون المرأة نصف المجتمع، إذ يقتصر دور المرأة أمام عينيه و في وجود رجل مستبد إلى مخلوق مهمته في الحياة إنجاب الأطفال والسهر على راحة الرجل و أطفالها، و هكذا تأتي الأجيال اللاحقة التي تأخذ الحكمة من الجيل الذي قبله.. وعليه فإن بناء السلطة في أجواء ديمقراطية مئة بالمئة تتيح للمرأة المشاركة الفعلية في صنع القرار السياسي، هو الذي يهيئ الأجواء المناسبة لولادة مجتمع قائم على العدالة وإحترام حقوق الإنسان.

من هنا يجدر بنا أن نسأل هل يجب أن تشارك المرأة في صنع القرار السياسي لكي تتحول الدولة ومعها المجتمع إلى دولة ومجتمع قائمين على أساس نظام ديمقراطي؟ أم يجب أن تتحول الدولة أولا سياسياً إلى نظام ديمقراطي ومن ثم تهيء هي الطريق السهل لولوج المرأة في عالم السياسة والمشاركة في صنع القرار السياسي، أي أن تناول الدولة لقمة المشاركة السياسية للمرأة، بمعنى آخر أن تنتظر المرأة قرار الرجل لكي تشارك في صنع القرار السياسي، تلك الخطوة التي لا تأتي أبداً من جانب الرجل مالم تتحرك المرأة بنفسها. الأمران لازمان وملزمان لبعضهما، لكن لو أن المرأة أجهدت نفسها وإقتحمت الميدان السياسي بنفسها، وفرضت وجودها، من ثم تخلق هي لنفسها الأرضية المناسبة التي تمارس عليها واجباتها السياسية التي تؤمن بها، وتعمل على إكتساب ثقة المجتمع بها على أنها نصف و نصف مهم من جسد المجتمع، والتي تهيئها لمرحلة صنع القرار السياسي، لكان الأجدر والأنفع. مع أن أي مشاركة سياسية فعلية للمرأة في صنع القرار السياسي هو تفعيل حقيقي لمباديء الديمقراطية، وبالتالي التفعيل الحقيقي للديمقراطية لن يكتمل مالم تشارك المرأة سياسياً في صنع القرار السياسي في بلدها. وانهاء ظاهرة عدم تمكن المرأة من تفعيل دورها السياسي فهي سياسية ماهرة من خلال بناء اسرتها فمن يستطيع ادارة اسرة فهي بالتأكيد ستدير وطن بكامله لان الاسرة هي اصغر خلية واهم خلية في بناء مجتمع ديمقراطي إنَّ تقييمَ القضايا التي تَحياها المرأة أولاً في المجتمعِ ضمن أبعادِها التاريخيةِ – الاجتماعيةِ يتحلى بالأهمية.

هەولێر بۆ کتێب

الثورة والإعلام

عبدالله حسو

تعاني المجتمعات البشرية من صراعات مذهبية، طائفية وعرقية وتبدلات سياسية، إيديولوجية وفكرية ومنازعات عسكرية وتحولات ديمقراطية، وتعيش الأمم حالة من التطور الدراماتيكي، حيث يتأثر الفكر السياسي والحوار الديمقراطي بالعديد من المتغيرات العالمية المتسارعة، في مقدمتها النظام العالمي الجديد أو ما يسمى بالعولمة، والإرهاب المنظم، وتبعات الاحتباس الحراري، والنفط والخلافات والنزاعات في العديد من بقع العالم المهددة بكوارث إنسانية وطبيعية في ظل عودة نشوء نظام عالمي متعدد الأقطاب إلى بروز قوة مهيمنة في الشرق الأدنى في مواجهة الغرب بالرغم من أن السوابق التاريخية قد أثبتت بأن مثل هذه الصراعات و التحولات و التبدلات والنزاعات لها أبعاد داخلية وإقليمية ودولية. ولها تأثير مباشر على كافة جوانب ومجالات الحياة المتعددة والمتنوعة بما فيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والأكثر تأثرا هو المجال الإعلامي الذي يواكب كافة التطورات بمختلف أشكالها.

حيث أن الإعلام يمارس دوره في نهوض المجتمعات وفي انهيارها، وبالتالي يتعذر على الباحثين و المفكرين أن يدرسوا تاريخ الإعلام من بداياته وفق المعطيات الدولية المتغيرة والمتلاحقة، وأن يعالجوا وضعه الراهن والتنبؤ بآفاق تطوره بمعزل عن التطور السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، الفكري، التقني والثقافي الذي يبرز فيه دور الإعلام. لذا كانت لتلك الأحداث والمتغيرات أثرا بارزا في المجال الإعلامي الدولي والمحلي على حد سواء، وساهمت في نشوء ظواهر وأليات إعلامية جديدة ومتنوعة على مستوى العالم، تساهم بدورها في حراك المتغيرات المعاصرة والمتسارعة في المجتمعات المختلفة، منتجة في الوقت نفسه متغيرا إعلاميا مستقلا بذاته، وحاضنا لكافة المتغيرات الدولية والإقليمية.

حيث إن العولمة فرضت نفسها بعد انتهاء الحرب الباردة، وأفرزت نظاما عالميا يعتمد على الانفتاح الاعلامي الدولي، وعلى التجدد السريع للتكنولوجيا، وزيادة التقارب الاتصالي بين الدول، الذي كان من ميزات ثورة الإعلام التي رافقتها حركة اجتماعية دولية، وأصبحت تستخدم بموجبها أشكالاً جديدة من وسائل النقل وتكنولوجيا الاتصال المرئية، بذلك تجاوزت حدود الدول والقارات.

ومن هنا يبدوا الاعلام قد اضحى جزء لا يتجزأ من النظام العالمي بوصفه عملية تهدف الى التعاظم المتسارع والمستمر في قدرته على مواكبة الثورات والاحداث وعلى تجاوز الحدود السياسية بين المجتمعات.

وبدون شك فأن للإعلام دور بارز وفعال في تشكيل سياق الإصلاح السياسي في المجتمعات المختلفة، حيث تعكس طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع، وبين النخبة والجماهير وفي إبراز الحريات، وتعدد الآراء والاتجاهات داخل المؤسسات المتنوعة، بجانب طبيعة العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية المتأصلة في المجتمع. فطبيعة ودور وسائل الإعلام في تدعيم الديمقراطية وفي كشف الحقائق، وتعزيز قيم المشاركة السياسية وصنع القرار السياسي، يرتبط بشكل مباشر

بفلسفة النظام السياسي الذي تعمل في ظله والتي تتبنى النهج السائد في أوساطه السياسية والاجتماعية، ودرجة الحرية التي تتمتع بها داخل البناء الاجتماعي المكون له.

وبذلك أضحى الإعلام ركيزة أساسية في بناء هيكلة الدولة ونظامها السياسي، بل بات يمثل إحدى مقومات السيادة الوطنية، أذ يعتبر السلطة الرابعة. حيث إنه للإعلام دور هام في شرح القضايا وطرحها على الرأي العام من أجل تهيئته إعلاميا، لتقبل التوجهات العامة للسلطة الحاكمة. ولا يمكن للإعلام أن يمارس الدور المنوط إليه إلا إذا حقق قدرا كافيا من الحرية والتحرر من القيود التي تمارس عليه من أي سلطة كانت. وبذلك يعتبر الإعلام بوسائله المختلفة المتطورة، أقوى وأشد أدوات الاتصال العصرية التي تمكن البشر من مواكبة العصر والتفاعل معه. والواقع ان الاعلام في العصر الحديث أصبح جزء من حياة الناس، كما ان بناء الدولة من كافة الجوانب والنواحي يتطلب الاستعانة بكافة وسائل الاعلام لتحقيق التغير والتطور المطلوب. وغالبا ما ترتبط السياسة الاعلامية بالأوضاع السياسية، الاقتصادية والاجتماعية. بمعنى ان الاعلام يرتبط بقدرة الدولة لتحقيق الاستقرار والامن المطلوب.

ولأننا ندرك جيدا حجم المسؤوليات و المهام الملحة الملقاة على عاتق الاعلام كونه يعبر عن آمال وتطلعات الشعوب. كما وأنه إحدى أهم الوسائل النضالية لتغير الواقع المتردي. فأن الاعلام الحر تكون الحقيقة غايته الاساسية والموضوعية وبذلك يمكننا أن نتحدث عن اعلام يرتقي الى مستوى التحديات لتلبية احتياجات وغايات وتطلعات شعوبها. لما له من دور بارز في بناء المجتمعات من خلال الرقابة على عمل الحكومات وعلى توعية الناس حول القضايا التي تؤثر في حياتهم. فالضمانة الرئيسية لتحقيق التغير المطلوب في نظم المجتمعات هي الصحافة الحرة والاعلام المتحرر من قيود الانظمة الدكتاتورية. فقوة الرأي العام لا يمكن مجاراتها او الحد منها عندما يسمح لها بالتعبير عن حريتها وعن افكارها.

وبإمكان الباحثين والمختصين لجدلية الثورة و الإعلام بأن يدركوا الارتباط الوثيق والمتبادل بين مقومات الثورة وحالة الإعلام ضمن ظروف مختلفة. فالثورات كتجسيد مباشر لإرادة الشعوب لا يمكن تصورها في غياب نظام اتصالي ومعرفي قادر على حشد قوى الثورة وتنظيمها لإدراك الهدف المنشود. وفي الظروف التي تهيمن فيها الانظمة الحاكمة على الآلة الإعلامية لا يجد الثوار بداً من السعي لإحداث ثغرات في النظام الإعلامي القائم وإيجاد مساحات مؤثرة بين جنباته أو العمل على ابتكار بدائل اتصالية ومعرفية جديدة لتجسيد رؤى الثورة ومتطلباتها. وتؤكد ثورات ربيع الشعوب أن قوى التغيير في بلدان الشرق الأوسط مضت ولا تزال تمضي في هذين المسارين معاً. وهو الأمر الذي يبرز المكانة الهامة لدور الاعلام في الحراك الثوري وفي مواكبة التطورات الحاصلة بغض النظر عن القيود المفروضة عليها. إلى جانب استغلال قوى الثورة لهذه الظاهرة الاعلامية للوصول إلى أهدافها المرجوة.

فقد لعبت ثورات ربيع الشعوب دور مهما وحاسما في بلورة الاعلام الحر وفي زعزعة النظام الاعلامي المهمين من قبل الاجهزة المتسلطة خلال السنوات المنصرمة، وتجلى ذلك بوضوح أكبر في البلدان التي تفجر فيها الحراك الثوري والاحتقان السياسي والاجتماعي. وأخذت الثورات تنتشر وتمتد من رقعة إلى أخرى تعبيرا عن رفضها للظلم وللفساد والحرمان دون أن تمتلك مشروعا واضحا ومخططا لمستقبلها. بدأت عفوية في بدايتها من قبل شعوبها ولكنها أصبحت مبهمة في نتائجها، دون أن تدرك إلى أين ستصل وما المبتغى من حراكها لأنها أضحت أسيرة لسياسات وأجندات خارجية تم تشحينها والتخطيط لها من قبل دوائر غربية وإقليمية، مدعومة بأدوات إعلامية مرئية وإلكترونية. ولا يخفى علينا بأن دور الاعلام يبرز جليا في

تحريك الثورات أو إخمادها. وفي توجيه هذه الثورات نحو شعارات متمثلة بتحقيق الديمقراطية والتعددية السياسية.

فقد لعب الإعلام دوراً ريادياً في التقلبات السياسية التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط والتي لازالت مستمرة في تجاذباتها وربما كانت للمنظومات التواصلية العامة الأثر الأكبر مثل الإنترنت والقنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية كالفيس بوك وتويتر في صناعة الرأي العام وتغيير الرؤية الجماهيرية نحو الكثير من القضايا المتشابكة، وصياغتها على النحو الملائم لمستخدميها أو القائمين عليها. والجدير ذكره بأننا نعيش عصر جديد ضمن نطاق عولمة الإعلام والذي يمثل جيل جديد يسمح بتبادر الأفكار والمعلومات والتفاعل المباشر مع الأحداث والثورات وبشكل خاص في ثورات ربيع الشعوب في كل من تونس، مصر، ليبيا، اليمن، وسوريا. حيث منح للإعلام أفاق شاسعة لتعكس إلى حد كبير مستوى الحرية الذي أصبح واقعا يوميا جعل الناس يتلهفون لمتابعة الأحداث عبر الشبكات التواصلية وأجهزة الإعلام المتنوعة.

فقد ألقت الثورة الإعلامية بالإضافة لثورات الشعوب تداعياتها على الفكر الإنساني وعلى بلدان كثيرة، فاهتزت الرؤى السائدة في العديد من المجتمعات، وأصبح الإعلام المحلي والدولي يتجرآن على تخطي المحرمات والموانع. وتحطمت القيود التي كانت تحول دون إصدار صحف ومجلات وإنشاء مواقع على الشبكة العنكبوتية. ففي تونس التي انطلقت منها شعلة ثورات الشعوب، انهارت إمبراطورية إعلام السلطة الحاكمة التي مارست قيود صارمة على الإعلام التونسي على مدى عقود من الزمن من خلال جعله يعيش في قوقعة التعتيم من جهة والتمجيد وتضليل الراي العام من جهة أخرى إلى أن تغيرت مجرى الأحداث وأصبحت معظم القنوات الفضائية والإعلام التونسي يساير مناخ الثوار. لكن بقدر انتشار المواقع الاجتماعية واقبال فئات واسعة من الشباب على التدوين والتصفح عبر المواقع الالكترونية، برزت القنوات الفضائية على استقطاب جمهور واسع تخطت القنوات المحلية والعربية. وأنفتح الاعلام على المجتمع المدني وعلى المعارضة ليتجسد دوره في تأجيج نار الثورة. ومن هنا بات الاعلام يلعب دورا بارزا في قلب التجاذبات السياسية، وخلق حالة من الانفتاح بعيدا عن الرقابة المباشرة.

وفي مصر التي انتصرت فيها الثورة إلى حد ما، سلك الاعلام المصري دورا شبيها بالإعلام التونسي وظلت الثورة بلا اعلام ثوري بغض النظر عن الدور الريادي للشبكة التواصلية في نقل الاحداث ومواكبة الثوار في كافة الميادين والساحات ونقل الصورة الحية للرأي العام لدعم الثورة وبلورتها لكي تتحول إلى ثورة حقيقية، يتيح للثوار الحقيقيين أن يعبروا عن أنفسهم وعن طموحاتهم في التغيير المطلوب.

أما في ليبيا، فأخذ المشهد الاعلامي يتوزع بعد الثورة على ملامح متنوعة، إعلام يمثل الدولة، وإعلام يمثل الحراك الثوري، بالإضافة لإعلام المدن التي تنوعت من منطقة لأخرى لتبقى أسيرة للتجاذبات السياسية والإقليمية. ولعب الفيس بوك وشبكة Swissinfo دورا مهنيا تخطت حدود الدول والأنظمة الحاكمة في كل من مصر و ليبيا، ليتواصل الثوار مع العالم الخارجي وكسر قيود الاحتكار السلطوي للمنظومات الاعلامية المحلية. ولكن انقسمت مواقف الاجهزة الاعلامية من الثورات إلى اعلام تبنى الثورة والحراك الثوري في الميادين وتبث اخبارها بشكل مباشر وتصف الحراك الثوري بالثورة وتوجه الثوار على نحو مبرمج وتنفذ اجندات خارجية بعيدا عن مسار الثورة

واهدافها، كما فعلت قناة الجزيرة في الثورة المصرية. فقد تبنت التحرك الشعبي في ميدان التحرير غير مكترثة لرد فعل النظام الذي منعها من البث وأغلق مكاتبها والتشويش على

بثها. وأظهرت الجزيرة بانها منحازة لتطلعات الناس مما أعطاها فرصة أكبر في تحريك الشارع وأثارتهم ضد النظام ورموزه. وبلا شك فإن الأعلام على الرغم ما يشهده العالم من تطور في تكنولوجيا الاتصال وثورة المعلوماتية مازال رهن السياسات الاعلامية لأنظمة الحكم ولسياسات الدول المهيمنة على موازين القوى العالمية.

وفيما يخص الثورة اليمنية التي انتهجت مسار مختلفا عن مثيلاتها في بلدان ربيع الشعوب. حيث إن الاعلام الإلكتروني لم يكن منتشرا على نطاق واسع، ولم يلعب دورا جوهريا في تحريك الحراك الثوري وحض الشباب على الثورة بسبب تردي الاوضاع المعاشية لدى عامة الشعب اليمني، وندرة الحواسيب إلى جانب انقطاع التيار الكهربائي في معظم المناطق.

ولكن منذ اندلاع الثورة السلمية السورية، لعب الإعلام الحر دورا بارزا في نقل الصورة الحية للثورة إلى العالم الخارجي، ليظهر طموحات الشعب السوري في الحرية و الكرامة، ونقل ما يجري من أعمال قتل وقمع من قبل اجهزة النظام الحاكم في بدايات الثورة، والذي بدأ يتضاءل تدريجيا مع أتساع رقعة الحرب الدائرة على كافة الأرض السورية ليقع تحت تأثير أجندات الدول المهيمنة على القرار السياسي، ليملئ قلوب السوريين معاناة وآلم جراء الازدواجية في المواقف الدولية تجاه طموحات الشعب السوري والسبب هو نجاح الإعلام المضاد للثورة تحت ذرائع شتى، مما أكسب آلة القمع السورية تعاطفا ومساندة من قبل أجهزة الإعلام الدولية التي أخذت تروج رواية النظام بأن ما يجري في سوريا ليس إلا حرب أهلية، أو هي من فعل الكتائب الجهادية التكفيرية التي أصبحت جزء من سياسات النظام لتبرير أعمالها القذرة في تدمير بنية المجتمع السوري وبأن الحل يجب أن يكون عبر الحوار مع بقاء النظام

فإذا أخذنا بعين الاعتبار بأن ثورات ربيع الشعوب هي ثورات إعلامية إلى حد ما، فهذا ينم عن الدور الريادي لوسائل الإعلام وأجنداتها السياسية في دعم أو تسيس هذه الثورات بدعوى تمثيل تطلعات الشعوب.

هەولێر هەی کتێب

المدخل الي العلاقة بين الطب و الاخلاق

د. ابراهيم خليفة

لا جرم ، ان الجسد و الروح ، لا يمكن ان يعيش احدهما بمعزل عن الاخر

وهكذا حال العلاقة بين الطب والاخلاق، حيث لا يمكن ، ان نتخيّل و لو لوهلة ,امكانية ان يؤدي الطبّ دوره الذي خلق لاجله ، بعيدا عن القيم الاخلاقية لان انسانية الانسان –بلا مواربة – تبقى محور ، وغاية هذه المهنة النبيلة، و التي تعدّ من ارقى المهن, و انبلها منذ الازل و حتى يومنا هذا .

تعاريف هامة :

1- الطبّ

الطبّ, هو فن العلاج و الاهتمام بالانسان ، وكلّ ما يعتريه من امراض واصابات في بدنه، او نفسيته او البيئة التي يعيش فيها. وهو مختصّ لحفظ الارواح البشرية وحمايتها. وبناءعلى ذلك ، لم يكن خطأ تسمية مهنة الطب، بانها مهنة مقدسة ، ولها وضعها الخاص بين كل المهن قديمها و حديثها.

2- الاخلاق

اما الاخلاق –عموما-، فهي مجموعة من القيم المستحبة، المفيدة لفاعلها ومحيطه ، والتي ينبغي اتباعها اثناء العمل ، وفي الحكم على الافعال من وجهة نظر الخير والشر. الخير الذي هو كل ما يبعث على الرضا والاستحسان، في حين ان الشر الذي هو نقيض الخير، حيث نرفضه، لانه يهدد الصالح العام، و يلحق الضرر بالفرد و المجتمع.

اذا, هي مجموعة القيم، و المبادئ التي تحرك الافراد و الشعوب. و قد تعرّف عليها الانسان باعتبارها جالبة للخير ، وطاردة للشر. وهي على كل تكتسب صفة النسبية ، حيث تتبع واقعا، او بيئة، وتعتمد بالدرجة الاولى على وعي الانسان ، الذي ترتقي قيمه الفردية ، لتتحول تدريجيا الى قيم اجتماعية ، لها غاياتها لتصبح فيما بعد ، مرجعية ثقافية، لمجتمع او شعب ولتسنّ على اساسها القوانين الناظمة لحياة افرادها. ولاجل ذلك فان الانسان ، الذي يصنع هذه القيم، لا يكفي ان يكون حاملا لها ، حتى يكون ذو اخلاق. فعليه ان يتمثلها على ارض الواقع ، ويمارسها سلوكا ، كالتزامات وواجبات، لا يجوز ان يحيد عنها.

3- علم الاخلاق الطبية

بلا ريب ، ان لكل مهنة من المهن ، معايير اخلاقية تحكم عملياتها، و تحدد ضوابطها.

ومهنة الطب ّليست مستثناة من هذه القاعدة ، حيث تعتبر القيم الاخلاقية جزءا اصيلا منها، لا يمكن الاستغناء عنها ، باي شكل من الاشكال. و لقد تطورت هذه القيم عبر التاريخ، بتطور مفهوم حقوق الانسان ، ليس هذا فحسب، بل اصبحت الاخلاقيات الطبية مع الزمن، ذات ارتباط متين بهذه الحقوق ، حيث سنت الكثير من دول العالم ، قوانين يجب اتباعها، خلال ممارسة هذه المهنة ، ومع ان هذه القوانين، تختلف من دولة الى اخرى ، الا ان هذه الاخلاقيات على اهميتها ، تكاد تكون واحدة تقريبا في كل دول العالم ، ومع التقدم العلمي، والتقني الهائل في المجال الطبي ، فقد طفت على السطح مشكلات ، وتحديات جمة ، ادت الى استحداث علم جديد، هو علم الاخلاق الطبية، الذي يبحث في القواعد الاخلاقية ،

لمارسة مهنة الطب ّ,بهدف رسم السلوك القويم للاطباء، وفي طبيعة علاقاتهم مع المريض ، وزملائهم والمجتمع عموما.

ويجدر بالذكر ، انه وبعيدا عن هذه القوانين الناظمة لمهنة الطب ، فان هناك اخلاقيات ، لا تفرضها القوانين ، ولكن يقبلها عن طيب خاطر، كل العاملين في السلك الطبي ، وهي تفرض قيودا وواجبات على هؤلاء ، اكثر بكثير من القيود القانونية ، التي تفرضها حكوماتهم، باعتبار ان هذه الاخلاقيات الطبية ، الضمانة المثلى لانسانية الانسان ، وحجر الزاوية في مهنة الطب المقدسة، التي تعلو ولا تعلو عليها ، اية مهنة اخرى.ان آداب الطب ، والاخلاقيات الطبية موغلة في التاريخ. وقد كشفت التنقيبات الاثرية ، عن وجود شرائع بابلية، منذ الاف السنين كما في شريعة اورنمو (2047-2030 ق م) ذلك الملك ، الذي وضع اول شريعة قانونية، في التاريخ الانساني، وقد سبقت شريعة حمورابي بثلاث قرون.

وفي شريعة حمورابي (1728-1686ق م) ، مواد تشريعية تدل على وجود ضوابط ,تحدد سلوك الاطباء ، واستقلالية المهنة وتحديدها بالاطباء وليس بالكهنة ، وقد حددت هذه الشريعة، اجور الاطباء ، وعدد من العقوبات المهنية، التي تترتب على الطبيب ، جراء اخطائه الطبية وكانت هذه العقوبات قاسية جدا، حيث كان القصاص -غالبا- سيد الموقف، في هذا المجال على خلاف ما جاء في شريعة اورنمو حيث كانت الغرامة تفرض على كل من يمارس مهنة الطب عند تسببه باذية للمريض.

وجدير بالذكر ان شريعة حمورابي هي من اقدم الشرائع المكتوبة في التاريخ ومن اشد الماخذ على شريعة حمورابي في ما يتعلق بالبنود الطبية التي ذكرت في شريعته. انه قد ميز بين مريض و اخر من الناحية الطبقية ، حيث كان التعامل الطبي يختلف بين الحر والعبد سواء من جهة اجور المعالجة ، او من جهة العقوبة المترتبة على الطبيب عند حدوث أي خطا طبي. ولكن ظهور ابقراط (460-377ق م) في القرن الخامس قبل الميلاد كان له ابلغ الاثر في مفهوم الاخلاقيات الطبية عبر التاريخ، وهو طبيب اغريقي زاول الطب في مدينة كوس اليونانية وتعلم الطب من ابيه وجده وبرع فيه حتى اصبح من اعظم اطباء عصره وهو اول من قام بتدوين كتب الطب ومخلص الطب من اثار الفلسفة وظلمات السحر والشعوذة واعتبر مبتكر مفهوم الاخلاق الطبية.

وقد كانت صناعة الطب قبل ابقراط وبالتحديد عملية تعلم وممارسة مهنة الطب ، حكرا على طبقات خاصة لا يستطيع من يشاء الدخول في عوالمها حيث كان ملوك اليونان والحكماء منهم يخصون اولادهم واولاد اولادهم بشرف تعليم هذه المهنة ليس هذا فحسب بل كانت طريقة التعليم في منتهى الغرابة حيث كانت تعتمد في اعطاء المعلومات لطلاب الطب شفاها وبعيدا تماما عن وجود اية مراجع مدونة وحتى ان وجدت هذه فقد كانت المعلومات الطبية تكتب فيها كالطلاسم لا يفهمها الا المعلم في هذه الصنعة وتترجم للابناء عند الضرورة، أي ان المعارف الطبية والخبرات كانت اسرارا لا تنتقل من الاباء الا للابناء، وذلك عند اليونانيين وفي كل الحضارات التي سبقتها وكانت تحت سيطرة الطبقات المسيطرة الى درجة ان الكهنة الاطباء كانت علاجاتهم حصرية فقط للسادة والاغنياء اما العامة من الناس فكانت تتم معالجتهم من قبل مسنين او مسنات وباعتمادهم على السحر والشعوذة .

اما في عهد ابقراط ,فقد حدث انقلاب جذري في كل هذه المفاهيم ويعود الفضل اليه في كسر ذلك العرف الذي لم يكن يجيز للاخرين خارج دائرة معينة من تعلم وممارسة مهنة الطب. حيث قال ان الجود بالخير يجب ان يكون على كل احد, يستحقه قريبا كان ام بعيدا وقد وضع عهدا يعد اشهر قسم للاطباء عبر التاريخ. ولاهميته ساورده تفصيلا :

اقسم بابولو الطبيب ، واسقلبيوس وهيجيا وباناسيا وجميع الالهة و الالهات ، واشهدها جميعا علي بان ابر بهذا القسم وافي بهذا العهد بقدر ما تسمح به قواي وقدرتي. اقسم اني ساصنع معلمي في الطب في منزلة ابوي، وان اشركه في مالي الذي اعيش به ، وان اقوم باوده ان احتاج الى ذلك وان اعد ابناؤه اخوة لي. فاذا رغبوا في تعلم الطب علمتهم اياه من دون اجر او الزام بشرط وان القن ابنائي وابن استاذي و التلاميذ الذين ارتبطوا بالالتزام بالقسم بحسب قانون الطب الارشادات والدروس الشفهية، وسائر المعلومات الاخرى والا القنها احدا سواهم ، واقسم ان استخدم العلاج لمنفعة المرضى بحسب مقدرتي وحكمتي وان امتنع في استخدامه عن فعل فيه اذى، او ظلم ، والا اعطي احدا سما اذا طلب الي ان افعل ذلك ، والا اشير بفعله والا اضع لامراة مزرجة تسقط جنينها وان اقضي حياتي امارس مهنتي في النقاء والطهارة ، والا اشق مثانة فيها حصيات بل اتخلى عن ذلك لمن يحترف هذا العمل، والا ادخل منزلا الا لمنفعة المرضى وان اتحرز على كل اساءة مقصودة او اذى متعمد وان امتنع بوجه خاص عن اغواء أي امراة او فتى سواء اكان من الاحرار او الارقاء ، والا اتحدث بما لا يجوز افشائه مما ارى او اسمع في اثناء علاج المرضى، او في اوقات اخرى معتبرا ان الكتمان واجب فاذا الزمت نفسي باطاعة هذا القسم و لم احنث به فانني ارجو ان انعم بحياتي وبمهنتي، وان ابقى دوما وابدا محمودا في الناس اجمعين. اما اذا نقضت هذا العهد وحنثت بقسمي فليحل بي نقيض ما رجوت.

وما ان نمعن النظر مليا في هذا القسم نستنتج ان المسؤولية الاخلاقية للطبيب ثلاثية الابعاد.

1- مسؤولية الطبيب تجاه الخالق

جاء قسمه بالالهة في بداية القسم ,كدلالة واضحة لا لبس فيها ، احساسه بكبر المسؤولية الملقاة على عاتقه. ولاجل ذلك فانه لن يقوم باي عمل يغضب هؤلاء يوما في كل ما يتعلق بمهنته كطبيب ، وان فعل بما يناقض ذلك فلتنزل عليه لعنتهم ليصبح مغضوبا عليه في حياته العامة والخاصة لا يحمده ولا يشكره احد.

2- مسؤولية الطبيب تجاه المريض

وهي حجر الزاوية في قسمه و تتضمن صور هذه المسؤولية:

ان تكون الغاية من التطبيب منفعة المريض اولا و اخيرا وعدم ايذائه باي شكل من الاشكال، كاعطاء دواء قتال او مسقط للجنين وعدم اللجوء الى التطبيب بغرض التطبيب ليس الا دون امتلاك المعلومات والمهارات الكافية لممارسه المهنة واذا اقتضت الضرورة استشارة زميل اخر لديه من الخبرات ما يؤهله لاجراء ما يلزم للمريض ,في حال وجود حالات مرضية مستعصية عليه .

3- مسؤولية الطبيب تجاه نفسه

وتتجلى هذه المسؤولية بابهى صورها في تعهده امام الالهة بان يكون في قمة الوفاء ورد الجميل ومبادلة المعروف بالمعروف تجاه من علمه صنعة الطب ، يبجله ويرعاه ويعينه ماديا ان احتاج لذلك وتقديم العون الطبي لاولاده من اراد منهم تعلم هذه الصنعة دون قيد او شرط ، اضافة الى جعل معلمه في الصنعة قدوة له في مد يد العون لكل من يريد تعلم صنعة الطب هذه ، كما ويعد ان يحفظ نفسه ويكون طاهرا من كل ما قد يؤدي الى اغواءها و تلوثها.

لا شك انه من خلال التدقيق في هذا القسم العظيم يمكن ملاحظة جملة من الحقائق، والتي يمكن اعتبارها قواعد اساسية للاخلاق الطبية بقيت خالدة منذ ذلك الوقت حتى وقتنا الحاضر واهمها:

1- العمل وتسخير كل الطاقات الطبية الممكنة, في سبيل التخفيف من معاناة المريض وعدم اتباع اية وسيلة علاجية تؤذيه ، لتكون منفعة المريض الغاية من كل عملية التطبيب اولا واخيرا.

2- التعامل مع المريض بشكل حسن, والاهتمام اللائق به وبشكواه وبطريقة تحفظ بها كرامته وسرية ملفه الطبي.

3- تجاوز حالة الاحتكار في تعليم صناعة الطب ضمن دائرة محددة ، والعمل على شيوع هذه الصنعة وجعلها في متناول كل من يبتغي العمل فيها دون قيد او شرط.

4- ايلاء ذوي الخبرات اهتماما خاصا ، وافساح المجال لهم للاستفادة القصوى من خبراتهم هذه لما فيه منفعة المرضى.

5- في الوقت الذي يجب ان تكون فيه كرامة الطبيب مصانة وموضع ثناء الناس وحمدهم عليه ان لا يستغل مهنته وسطوع نجمه لنيل مارب شخصية خاصة في علاقاته ضمن مجتمعه.

6- تبجيل الاساتذة في صناعة الطب ، وترقيتهم الى مستوى الاباء والعناية الخاصة بهم ماديا والاهتمام باولادهم من الناحية العلمية دون قيد او شرط.

7- تركيز ابقراط على نقطة جوهرية في قسمه، يتعلق بطبيعة الطبيب كانسان له قدرات محددة يستطيع من خلالها التقيد بمضمون القسم، و لهذا السبب او ذاك قد يضعف ولا يلتزم عندئذ بمضمونه تماما.

ان اعظم ميزة لهذا القسم: هو في كونه اساس كل قسم وضعته الهيئات الطبية عبر العصور ففي اول دستور اخلاقي اعتمد من قبل هيئة طبية مهنية تم وضعه من قبل الطبيب الانكليزي توماس بيرسفال (1740-1804 م) سنة 1749 ووضع معيارا للاخلاق الطبية يتبعه مزاولو المهنة ، و قد اعتمدته الجمعية الطبية الامريكية, و قد تضمن هذا الدستور الاخلاقي لهذه الجمعية سنة 1846 ما يلي:

1- احترام القانون.

2- احترام خصوصية المرضى وسرية المعلومات الخاصة بهم.

3- احترام حقوق المرضى.

4- احترام حقوق الزملاء .

5- الكفاءة والتفاني والمحبة.

6- الصدق وواجب التبليغ عن أي خداع او كذب.

7- التعليم المستمر والدراسة واستشارة الاخرين في المهنة.

8- الحرية في مزاولة المهنة.

9- المسؤولية في بذل الجهود لتحسين المستوى الصحي للمجتمع.

وكانت خلاصة ما توصل اليه هذه الجمعية سنة 2001 ما يلي :

1- يلتزم الطبيب بنوعية الرعاية الشاملة, بما يحفظ كرامة المريض وحقوقه.

2- على الطبيب الالتزام بالمعايير الاخلاقية في العلاج والتعامل مع المرضى والزملاء. ويقوم بالابلاغ عن أي خطا طبي او تصرف شائن لاي زميل للجهات المعنية.

3- ان يكون الطبيب ملما بالقوانين المتعلقة بممارسة المهنة وان يطوع القوانين بما فيه مصلحة المريض.

4- على الطبيب ان يحترم حقوق مرضاه وزملائه، و ان يكون امينا على اسرار المريض.

5- ان يطلع الطبيب على كل ما هو جديد وحديث في مجال الطب ، وان يقوم بنشر المعلومات الطبية للمرضى والزملاء وطلاب الطب والعامة ، وان يعمل على الاستفادة من خبرات العاملين في المجال الصحي.

6- للطبيب الحق فيما عدا المباشرة بالاعمال الاسعافية في اختيار من يقوم بمعالجتهم ، او العمل معهم والمكان الذي يفضل العمل فيه.

7- للطبيب ان يساهم في الانشطة المجتمعية التي تزيد من الثقافة و الوعي الصحيين.

8- ان يكون حقوق المريض ومصلحته في المقام الاول لديه.

9- ان يحرص على توفير الرعاية الصحية للجميع بدون تفرقة او استثناء.

وفي اعلان جنيف سنة 1948 والذي اقر من قبل كافة الجمعيات الطبية العالمية ، بعد الفظاعات التي ارتكبت باسم الابحاث العلمية في معسكرات الاعتقال النازية تضمن ما يلي :

1- خدمة الانسانية.

2- الاحترام و الوفاء بالجميل للاساتذة.

3- ممارسة المهنة بضمير و نبل.

4- الاحساس بواجب الاهتمام بصحة المريض والزملاء و تقاليد المهنة.

5- ممارسة المهنة بما يتناسب مع القوانين الانسانية.

6- احترام الحياة الانسانية بما فيها الجنين.

7- الواجب المهني يتقدم على العرق والدين والسياسة او التمييز الاجتماعي.

في الحقيقة اذا امعنا النظر في ما ورد في الدستور الاخلاقي للجمعية الامريكيه ، وكذلك في بنود اعلان جنيف نلاحظ بشكل جلي انهما لم يأتيا بجديد فيما يتعلق بالاخلاقيات الطبية التي وردت في قسم ابقراط ما عدا في البند المتعلق, بان اخلاقيات الطب تقتضي ممارسة المهنة وفق مبدأ العدل، الذي ينص حرفيا على عدم التمييز بين مريض واخر ، فيما يتعلق بعرقه او جنسه او لونه او مكانته الاجتماعية او السياسية عند الممارسة العمليه لهذه المهنة ، وفي الوقت الذي لم تكن هناك اية اشارة لمسالة العدل في تطبيق الطب في قسم ابقراط الا من يتابع سيرة هذا الطبيب والذي سمي ابو الطب وابتكر الاخلاق الطبية وكان من اعظم الشخصيات الطبية في التاريخ علما واخلاقا. نجزم انه لم يكن يرضى لنفسه و لا لتلامذته ان يميزوا بين مريض و اخر من جهة العناية الطبية و تطبيق كامل الكفاءة التي يمتلكها الطبيب للجميع دون تمييز ، دون نسيان ان ما جاء في قسمه بخصوص الاحرار او الارقاء كان لجهة عدم استغلاله لمهنته لتحقيق مآرب خاصة في موضوع الاغواء ليس الا ، و قد تكون العبارة المذكورة ذات علاقة ضمنية بموضوع العدالة الطبية ، ولكن يجب وضع الامور في نصابها الصحيح كما جاء في القسم حرفيا.

من جهة اخرى لم يأتي المؤتمر العالمي الاول للطب الاسلامي بجديد والذي انعقد في الكويت في 1981/12/16 فيما يتعلق بقسم ابقراط حيث لم يكن القسم الذي وضعه المؤتمر الا صياغة عصرية، ودينيةاسلامية لقسم ابقراط, فقد استبدلت فيه كلمة الالهة بكلمة الله عز وجل، وجملة الا اضع لامراة مزرجة تسقط جنينها بجملة اصون حياة الانسان في كافة ادوراها، و هي اشارة واضحة للجنين و قد اضيف في قسم المؤتمر العالمي مسالة العدالة في تطبيق الطب.

وفي ما عدا ذلك ، كانت التعليمات وكافة التفاصيل الواردة في قسم المؤتمر العالمي للطب الاسلامي، نسخة مطابقة تماما لما جاء في قسم ابقراط. وقد تضمن القسم ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

اقسم بالله العظيم, ان اراقب الله في مهنتي وان اصون حياة الانسان في كافة ادوارها ، في كل الظروف والاحوال باذلا وسعي في استنقاذها من الموت والمرض والالم والقلق وان احفظ للناس كرامتهم واستر عوراتهم واكتم اسرارهم وان اكون على الدوام من وسائل رحمة الله باذلا رعايتي الطبية للقريب والبعيد ، الصالح والطالح الصديق والعدو وان اثابر على طلب العلم واسخره لمنفعة الانسان لا لاذاه وان اوقر من علمني واعلم من يصغرني واكون اخا لكل زميل في المهنة الطبية في نطاق البر والتقوى، وان تكون حياتي مصداق ايماني في سري وعلانيتي نقيا مما يشينني امام الله ورسوله والمؤمنين، والله على ما اقول شهيد.

في النهاية ,يجب التاكيد ان الاخلاق ركن اساسي من اركان عملية مزاولة مهنة الطب،

لما لها من دور كبير في حسن سير هذه العملية وما يثمر عنها بالتالي من نتائج عظيمة، تنعكس ايجابا على المريض الذي يعتبر حجر الزاوية في عملية التطبيب اساسا.

ان هذه الاخلاقيات رغم انها تختلف تبعا للمجتمع، وتتبدل تبعا لتطور الطب عموما ولكن مهما تبدلت ، يجب ان لا تتجاوز الخطوط الحمر وتبقى ابدا في اطار الرحمة والكفاءة والاستقلال الذاتي للطبيب و المريض فما دون ذلك ستكون النتائج وخيمة وكارثية على المريض . فالرحمة من خلالها يصغي الطبيب للمريض بشكل جيد ويحسن التعامل به ويدخل في اعماق مشكلته, مع الاهتمام التام به وعدم ايذائه مهما كان دون تفريق.

وتخوله كفائته من ممارسة مهنته بافضل ما يكون، وهذا ينعكس بشكل مباشر و ايجابي على المريض. اما استقلالية المريض فيجب احترامها حيث يكون المريض حرا في اختيار طبيبه و طريقة علاجه، هذا الثالوث الاخلاقي يجب التاكيد مرة اخرى على انه مقدس ولا يجوز الا الالتزام به مهما كانت الظروف .

المراجع:

1- Hippocratic oath from wikipedia

2- Journal of medical ethics

3- ww. Bio ethics.georgetown .edu

4- Doctors,honour and the law medical

Short introduction ettics-a very

5- The Hippocratic oath today

6- كتاب الاخلاقيات الطبية _ ترجمة د. محمد الصالح بن عمار

7- الخالدون من اعلام الفكر –احمد الشنواني ج 1 دار الكتاب العربي للنشر و التوزيع 2007

8- الموسوعة المعرفية الشاملة

9- الدستور الاسلامي لاداب مهنة الطب _د . عبد الرحمن شيخ امين و د. احمد الطائي.

10- عادل العوا _ الاخلاق و الحضارة _دمشق 1989

11- طاهرة سلوم الجمل –التربية الاخلاقية – العين 2009

هەولێر بۆ کتێب